الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح - ورقلة
كلية الآداب واللغات
اللغة والأدب العربي

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث

الميدان :اللغة والأدب العربي
الشعبة :الدراسات النقدية
التخصص: نقد معاصر

المقصديَّة في الخطب المنبريّة الدّينيّة

- دراسة تداوليَّة -

إعدادالطالب(ة)

وداد بوصبيع

إشراف
أ.د علي حمودين

لجنة المناقشة

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
01	كمال علوش	أستاذ	جامعة قاصدي مرباح ورقلة	رئيسا
02	علي حمودين	أستاذ	جامعة قاصدي مرباح ورقلة	مشرفا ومقررا
03	عمار حلاسة	أستاذ	جامعة قاصدي مرباح ورقلة	مناقشا
04	هاجر مدقن	أستاذ	جامعة قاصدي مرباح ورقلة	مناقشا
05	علي رحماني	أستاذ محاضر – أ -	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقشا
06	صليحة سبقاق	أستاذ محاضر – أ -	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقشا

2022/2023

العنوان

المقصديَّة في الخطب المنبرية الدينية

– دراسة تداوليَّة –

إعداد الطالب (ة)
وداد بوصبيع

قال تعالى:

(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)

سـورة التّوبـة 105

شكروتقدير

(لَـــئِـن شَـكَـرْتُـمْ لَأَزِيــدَنَّــكُـمْ ﷺ)

أتقدّم بالشّكر الجزيل ووافر التّقدير إلى أستاذي الدّكتور المشرف علي حمودين الذي أضاء لي الجوانب المظلمة من الأطروحة بملاحظاته النّقدية القيّمة وتوجيهاته البنّاءة

فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما أتقدم بشكري الجزيل إلى أعضاء اللّجنة العلميّة المناقشة لهذه الأطروحة لبذلهم جهد قراءتها وما سيضفونه لها من ملاحظات تسمو بها نحو الأفضل.

وأتوجه بالشّكر الخالص إلى الدّكتور القدير إبراهيم إيدير الذي أعانني بتذليل الأفكار الصّعبة وبتوجيهاته النيّرة التي أفادتني جدًّا.

فشكرًا كثيرًا لك

كما أشكر وأمتن لكلّ قريب وبعيد ساعدني على إنجاز أطروحتي هذه.

وداد

إ ه ـــــــــــــد ا ء

إلى روح أبي الغالي رمز العلم والمعرفة رحمة الله عليه

إلى الغالية أمّي أطال الله في عمرها

إلى صديق دربي زوجي العزيز

إلى أبنائي شهد الإيمان، أحمد بشير، فردوس وغيثاء

أدامهم الله لي كنزًا وذخرًا

إلى إخوتي وأخواتي وكلّ من كان دافعًا لي لإنهاء هذه الأطروحة

إليكم جميعًا أهدي ثمرة جهدي

مـــقـــدّمـــــــــــــــة

يحاول الإنسان جاهدا عبر مسيرة حياته التّعبير عمّا يدور في ذهنه ونفسه، من تفكير وشعور وسلوكيّات يتبادلها مع بني جنسه، بحكم مدنيّة طبعه التي تضعه أمام عمليّة تواصليّة، يسعى فيها لإثبات ذاته ووجوده وكيانه، وبتطوّر العلوم والدّراسات البشريّة استطاع التّوصّل إلى كيفيّة حدوث هذه العمليّة وشروطها وكذا الكشف عن أدقّ تفاصيلها، كي يكون تفعيلها مقنّنًا وفق معايير مدروسة واضحة، تجعل من اللّغة نواةً لها، سواء أكانت اللّغة الطّبيعية أو التي تقوم على أساس العلامات والرّموز والإشارات،وقد استظلّت كلّها تحت مظلّة علم اللّسان (اللّسانيات)، ثمّ انبثقت عنها أنواع وتخصّصات مختلفة يهمّنا منها الذي يُولي عنايته باللّغة أثناء استعمالها ألا وهو " التّداوليّة".

التّداوليّة: إنّها ذلك المبحث المنبثق من الدّراسات اللّسانية الحديثة أواخر القرن التّاسع عشر وبداية القرن العشرين، بعد أن قامت بنقد الأبحاث التي اهتمت بمختلف المستويات اللّغوية متجاهلة قضايا الاستعمال اللّغوي، ومقتضيات التّواصل، إضافة إلى قضايا أخرى تندرج تحت مسمّى مباحث التداولية، كالملفوظيّة والافتراض المسبق والاستلزام الحواري النّاتج أثناء التّفاعل الإنساني والحجاج و المقصديّة.

لهذا فإنّ التّداوليّة استقطبت اهتمام العديد من الدّارسين، نظرًا للإشكالات الكثيرة التي تطرحها من جهة، ومن جهة أخرى اتّسامها بالشّموليّة؛ إذْ اعتبرها البعض من بين مآخذها، حتّى أُطلق عليها بسلّة مهملات اللّغة، إلّا أنّ هذا الأمر لم يقلّل من شأنها بقدر ما دلّ على أنّها علم يستحقّ خوض غماره والغوص فيه من زواياه الكثيرة المتعدّدة التي تصلح لجميع أنواع الخطابات.

إنّ الخطاب الدّيني أحد الخطابات التي عملت التّداوليّة من خلال أبحاثها ودراساتها على البحث فيه، وعمدت على كشف ما غمض منه إجلاء لحقيقة العمليّة التّواصليّة أثناء الاستعمال التّلفّظي، منطلقةً من اللّغة السّطحيّة وصولًا إلى المقاصد العميقة الثّاوية خلف أسوار اللّغة، وما تحيل إليه من مرجعيّات محيطة بها من سياق ثقافيّ، تاريخيّ، سياسيّ، دينيّ...لتتشكّل أخيرًا رؤية تداوليّة واضحة متكاملة-إن صحّ التّعبير-.

وتُعدّ الخطب المنبريّة الدّينيّة وسطًا ملائمًا لتطبيق إجراءات التّداوليّة ومباحثها عليها خصوصًا المقصديّة،نظرًا لتوافر شروط التّواصل والتّداول فيها أولًا، ولأنّها تُعدُّ من الخطابات الإقناعيّة بالدّرجة الأولى ثانيًا، وعليه فإنّ تتبّع مقاصد الخطيب (إمام المسجد) فيها سيكون أمرًا مقنعًا بحكم أنّه المتكلّم الذي يصرّح أحيانًا بمقاصده، ويضمرها في بعض الأحيان، ليترك الجمهور السّامع (المتلقي) هو الذي يكشف عنها وفقًا لما توافر فيه من شروط للتّلقي التّداولي، وبناء على ما يوظّفه المتكلّم (الخطيب) من آليّات وتقنيّات يُمكنها مساعدته على ذلك، شرط أن تكون في سياقها اللّغوي المناسب؛ فكشف المقاصد لا يكون بمنأى عن السّياق بمختلف أنواعه، وهو ما يجب أن يراعيه الخطيب أثناء وضع الخطّة والإستراتيجيّة لخطابه المتضمّن لمقاصد سيؤدّي فهمها وإجلاؤها إلى إذعان المتلقي والتّأثير فيه ودفعه إلى الاقتناع بما يتلفّظه الإمام.

هذا لأنّ الوقوف على المقاصد شكّل محورًا هامًّا في الدّراسات الحديثة والمعاصرة، فقد اتّخذها منتجو الخطابات في استغلال نصوصهم من أجل بلوغ أهدافهم ومراميهم، وإن لم يُفردوا لها أبوابًا خاصّة بها، إلّا أنّهم أدركوا أنّها لُبُّ العمليّة التّواصليّة التّداوليّة، وعامل أساسي في الكشف والإبانة عن استعمالات اللّغة والأفعال النّاتجة عنها؛ فلا وجود لفعل دون قصد يسبقه، وبالتّالي فتح المجال أمام المتلقي لتأويل كلّ ما تقع عليه حواسه أثناء العمليّة التّواصليّة، خاصّة وأنّ الخطب المنبريّة الدّينيّة يعتمد الخطيب في إنشائها على استعمال اللّغة والإشارة والرّمز وحتى نبرة الصّوت وهلمّ جرًّا من الوسائل التّواصليّة المؤدية إلى إبراز المقاصد وإجلائها، وهذا بدوره ما ولّد فيَّ رغبة البحث حول:**"المقصديّة في الخطب المنبريّة الدّينيّة – دراسة تداوليّة"**. محاولةً من خلالها الوقوف على أهمّ المقاصد المتوافرة فيها ومن آليّات وتقنيّات تداوليّة تساعدهم على إنشائها.

ولقد وقع اختياري على أربع خطب منبريّة دينيّة مختلفة من كلّ الجوانب، وذلك لمواضيعها الملامسة للواقع، ولتوافرها على جملة من الآليّات والتّقنيّات التّداوليّة التي تخدم الموضوع، وتساعد على كشف المقاصد المضمرة.

الخطبة الأولى: حقوق الطّفل في الإسلام لمحمد راتب النّابلسي.

الخطبة الثّانية: التّداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشّريعة الإسلاميّة لأحمد بن علي سعود.

الخطبة الثّالثة: أهميّة النّصيحة وآدابها لسعود بن إبراهيم الشّريم.

الخطبة الرّابعة: المرأة في الإسلام لأحمد طهراوي.

ونظرًا لشساعة الدّراسة التّداوليّة ومباحثها ارتأيت أن تكون إشكاليّة الأطروحة كالآتي: **ما هي الاعتبارات التي من خلالها يتمّ الكشف عن مقاصد الأئمة في خطبهم المنبريّة الدّينيّة؟**

وقصد إضاءة الجوانب المظلمة فيها انطوت تحت هذه الإشكاليّة مجموعة من التّساؤلات الأخرى:

- فيم تتمثّل مقاصد الخطب المنبريّة الدّينيّة أثناء عملية التّواصل والتّداول؟
- هل للسّياق دور في فهم مقاصد الأئمة في خطبهم؟
- ما هو دور الآليّات اللّغويّة والتّداوليّة والبلاغيّة في الكشف عن المقاصد المضمرة التي يضمّنها الأئمة خطبهم المنبريّة؟ وما مدى توفيقهم في اختيارها؟

ورغبة منّي في الوصول إلى إجابات مقنعة حول هذه الإشكالية اعتمدت المنهج الوصفي واستعنت بأداة التحليل موظفة إجراءات التحليل التداولي، هذا لأنّ طبيعة الموضوع تقتضي ذلك.

على هذا الأساس جاءت الأطروحة في شكل مقدمة وثلاثة فصول تطبيقيّة وخاتمة تعرض نتائج البحث، هذا تفصيلها:

أمّا الفصل الأوّل فقد عُنون بـــ: **مقصديّة الخطاب الافتتاحي واستراتيجيّات التّخاطب،** فعرضت فيه:تقديم للمدوّنة والذي ضمّ: مفهوم المقصديّة لغةً واصطلاحًا عند القدامى

والمحدثين، بالإضافة إلى عرضٍ لأنواع المقاصد. ثمّ عرّجت على دلالة العنوان ودرسته من حيث الوظائف، ثمّ علاقته بالمتن، لأتطرّق بعدها إلى الإستراتيجيّة التّخاطبيّة التي انطوت تحتها: تعريف للخطابة لغةً واصطلاحًا، ثم يليها عناصر الخطابة، ثمّ تناولت مقصديّة المرسِل في الخطب المنبريّة الدّينيّة والذي ضمّ كفاءته اللّغوية والتّداوليّة والشّروط التي يجب توافرها فيه أثناء عمليّة التّخاطب، وأخيرًا دور السّياق وعناصره في تحديد المقاصد في الخطب المنبريّة الدّينيّة، ثمّ الإشاريّات الزّمانيّة والمكانيّة، لأصل أخيرًا إلى دراسة ما يتعلّق بالمرسَل إليه.

بينما خُصّص الفصل الثّاني الذي عُنون بـــ:**مقصديّة الإقناع وآليّاتها في الخطب المنبريّة الدّينيّة،** لإظهار المقاصد اللّغويّة والتّداوليّة والبلاغيّة بناء على نوع الأداة ووظيفتها ودورها في السّياق التّداولي الذي وردت فيه، نذكر منها:

الآليّات اللّغويّة: الدّفاع بالتّعليل والتّبرير كـــ: لأنّ، لام التّعليل، المفعول لأجله، ثمّ رهن النّتيجة بالسّبب وذلك من خلال أدوات الشّرط كـــ: إذا، إنْ، حينما، كما وقفت على المقاصد التّوضيحيّة الوصفيّة التي يمكن اكتشافها من خلال الصّفة، واسم الفاعل، وكذا اسم المفعول، أما مقاصد تحصيل الحاصل فكانت متنوّعة ومتعدّدة نذكر منها: تكرار لشدّ الانتباه ولإبراز الحجّة، وتكرار قصد الحثّ والتّوجيه وقصد التّعظيم.

الآليّات التّداوليّة:شملت دور السُّلميّات الحجاجيّة في إبراز المقاصد في الخطب المنبريّة الدّينيّة وكذا الرّوابط الحجاجيّة مسلّطة الضّوء على الرّابطين: الفاء، وبـــل.

الآليّات البلاغيّة: حوت إشراك المتلقي في بناء المعنى كالمجاز والتّشبيه والاستعارة والكناية، ثمّ مقاصد الحجاج بالطّابع الجمالي التّحسيني من خلال تردّد السّجع والطّباق والمقابلة والجناس ودورها في إجلاء المقاصد، لأصل إلى مقاصد آليّات الحجاج (الوصل والفصل) من منظور البلاغة الجديدة لدي "بيرلمان"، حيث تناولتُ هذا الجانب عن طريق إبراز آليّات الوصل والفصل في الخطب المنبريّة الدّينيّة المختارة.

فيما خُصّص الفصل الثّالث **للكشف عن المقصديّة من خلال المنجزات الكلاميّة في الخطب المنبريّة الدّينيّة،** فتطرّقت إلى مفهوم الأفعال الكلاميّة، ثمّ الفعل الكلامي ومقاصده التّواصليّة الذي ضمّ المقصديّة الإخباريّة، والمقصديّة الموضعيّة بما فيها من النّداء والأمر والاستفهام، لأُعرّج بعدها إلى دور القرينة والإشارة في إبراز المقاصد، وأصل إلى المقصديّة الإجماليّة التي ركّزتُ فيها على إبراز دور الافتراض المسبق والقول المضمر في إجلاء مقاصد الخطب المنبريّة المختارة.

ثمّ خلُصت الأطروحة إلى خاتمة حوت كلّ ما توصّلت إليه الدّراسة من نتائج.

وقد اعتمدت في هذه الأطروحة على مجموعة من المصادر والمراجع أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

اللغة والحجاج **لأبي بكر العزاوي،** اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي **لطه عبد الرّحمن،** في تداوليّات القصد **لإدريس مقبول،** الحجاج في الخطابة **لعبد الواحد بن السّيد،** الخطاب اللّساني

في رسائل الجاحظ (مقاربة تداوليّة) **لمهاباد هاشم إبراهيم**...، وكذا رسالة الدّكتوراه الموسومة بـــ: المقصديّة في الخطاب الرّوائي عند إبراهيم سعدي **لعفاف سايح**،إضافة إلى رسالة الماجستير المعنونة بـــ: القصديّة في الأدب الكبير "لابن المقفع" – دراسة تداوليّة، **لإبراهيم إيدير** وغيرهما الكثير.

أما عن الدراسات السّابقة التي تمتّ بصلة لموضوع بحثي فلم أعثر على أطاريح ولا كتب في مجال المقصدية إلّا ما جاء منها على شكل مقالات وهي كالآتي:

- الوسائل الحجاجية في الخطب المنبرية الدينية **لشيماء بن خالد الرافعي**.
- إستراتيجية الخطاب الديني عند الشيخ محمد راتب النابلسي **للعيد علاوي**.

حقًا وصدقًا، كانت هذه المراجع وغيرها من هيّأت لي الانطلاقة الفعليّة في انجاز الأطروحة، فقد فتحت لي شهيّة الاطّلاع حول هذا الموضوع والمواصلة فيه إلى أن استوت على ما هي عليه الآن، ولا أزكّيها ولكن أحسبها جهدًا معتبرًا يستفيد منه طلبة العلم.

وبطبيعة الحال قد اعترضتني بعض الصّعوبات لاتّساع دائرة المقصديّة واختلاف الآراء حولها قديمًا وحديثًا، ذلك ممّا فرض عليَّ دقّة في البحث والتّنقيب، إضافة إلى فوضى المصطلحات المترجمة التي تعاني منها الدّراسات اللّغويّة والنّقديّة العربيّة، وليست المقصديّة بمنأى عن ذلك، ممّا اضطّرني لعرض وجهات النّظر واختلافها والأخذ بالأنسب منها لثقافتنا العربيّة، هذا بالإضافة إلى صعوبة تحديد آليات تحليل المقصديّة في الخطب المنبريّة الدّينيّة وذلك لتداخلها مع بعضها، ممّا أوجب تكرار البعض منها في مواضع مختلفة.

إلّا أنّني حاولت جاهدة تذليل تلك الصّعوبات بتوفيق من الله تعالى وبمساعدة الأستاذ المشرف الدّكتور القدير **"علي حمّودين"**الذي أتقدّم له بجزيل الشّكر والعرفان على كلّ ما تكرّم به من توجيهات ونصائح أفادتني في انجاز أطروحتي هذه.

كما أتقدّم بالشّكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة الأفاضل على تجشّمهم عناء قراءة الدّراسة وتقويمها وتصويبها، فجزاهم الله عنّي خير الجزاء.

" وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ"

الفصل الأوّل: مقصديّة الخطاب الافتتاحي واستراتيجيّات التّخاطب

1- تقديم المدوّنة

1-1 مفهوم المقصديّة

1-1-1- لغةً

1-1-2 - اصطلاحًا :

أ* المقصديّة عند القدامى

ب* المقصديّة عند المحدثين

ج* أنواع المقاصد

1-2 دلالة العنوان

1-2-1 وظائف العنوان

1-2-2 علاقة العنوان بالمتن

2- الاستراتيجيّة التّخاطبيّة في الخطب المنبريّة الدّينيّة

2-1 مفهوم الاستراتيجيّة

2-1-1 تعريف الخطابة لغةً واصطلاحًا

2-1-2 عناصر الخطابة

2-2 مقصديّة المرسِل

2-2-1 الكفاءة اللّغوية

2-2-2 الكفاءة التّداوليّة

3-السّياق وعناصره في الخطب المنبريّة الدّينيّة

3-1 حضور المرسِل في الخطاب

3-2 الإشاريّات الزّمانيّة والمكانيّة

3-3 المرسَل إليه

تمهيد:

لطالما كانت الخطب المنبريّة الدّينيّة على مرّ العصور الموجّهة والمصحّحة لمسارات المتلقين؛ إن حثًّا أو نهيًا نصحًا أو إرشادًا وفقا لأوامر الله ونواهيه واستنادا لسنّة النّبي صلّى الله عليه وسلم، واقتداء بأصحابه الكرام عليهم من الله الرّضا والرّضوان، لهذا فقد تعدّدت موضوعاتها حسب مجالات الحياة المختلفة سواء الثّابتة منها أو المتجدّدة والمستحدثة وفقًا للظّروف الطّارئة، وعليه فإنّ المخاطِب يلجأ أثناء نسج خطابه إلى تلك الظّروف وما تحيل إليه من مرجعيّات باختلاف مناحيها ومشاربها، لأنّها تُعدّ بحق جزءًا هامًّا من أجزاء تكوين الخطبة؛ فالألفاظ وحدها تكون قاصرة عن تبليغ المعنى والهدف ما لم تُوضع في سياقاتها أثناء الاستعمال، وهو ما يجعل المخاطَب مؤهّلا لاستقبال ما يُلقى أمامه من خطاب ويفهم المقصديّة المرجوّة منه.

1- تقديم المدوّنة:

1-1 في مفهوم القصد والمقصديّة:

تحتلّ المقصديّة في الخطاب عمومًا مكانة بارزة أثناء التّواصل والتّداول؛ إذ من دونها لا يستطيع المرسِل ولا المتلقي تداول الكلام بينهما تداولًا صحيحًا، لهذا فهي"من مصطلحات التّداوليّة التي تتطلب النّظر في مضمون خطاب المخاطِب ومقاصده وتكوينه الثّقافي؛ لأجل دراسة المعنى الذي يرمي إليه المخاطِب من خلال ما يقوله وما يقصده من الخطاب فضلًا عن المخاطَب الذي يشاركه في الحدث الخطابي ضمانًا لتحقيق عمليّة التّخاطب من جهة الوصول إلى غرض المخاطِب ومقاصده"[1]، إلّا أنّ هذا المصطلح يتداخل مع مصطلحات أخرى قد تكون مرادفة له أو تتقاطع معه، تمّ توظيفها قديمًا وحديثًا بمعنى القصد منها:

***القصد هو المعنى:**

لو تطرّقنا إلى دراسات القدامى لوجدنا بأنّهم يعتبرون المقاصد معاني مشيرين إلى قضية اللّفظ والمعنى، والمعنى عندهم بمعنى القصد فنجد مثلا **الشاطبي(ت790ه)** يخصّص فصلًا بأكمله تحت عنوان: " المعاني هي المقصودة"، كما نجد **أبو هلال العسكري(ت395ه)** يقول:" المعنى هو القصد الذي يقع به القول على وجه دون وجه، وقد يكون معنى الكلام في اللّغة ما تعلّق به القصد ...يقال عنيته أعنيه معنى...ولهذا قال أبو عليّ – رحمة الله عليه – إنّ المعنى هو القصد إلى ما يقصد إليه من القول، فجعل المعنى القصد لأنّه مصدر...وقولهم عنيت بكلامي زيدًا، كقولك: أردته بكلامي"[2]، فالمعاني لا يمكن إطلاقها إلّا إذا كانت مقصودةً في ذاتها، ولكي تتّضح المعاني أي المقاصد وجب النّظر في السّياق، لأنّ اللّغة وحدها لا تكفي لبيان المعاني أو مقاصد المتكلّم .

أمّا عند المحدثين فقد رأى **طه عبد الرحمن** أنّ القصد لا يخرج من ثلاثة مسميّات من بينها المعنى؛ إذ يقول: "ومن طريف ما اختص به اللّسان العربي أن يجعل لـــــ(مدلول) اللّفظ أسماء ثلاثة كلّها تفيد لغةً واصطلاحًا مفهوم (القصد)، وهي بالذّات: (المعنى) و (المراد) و (المقصود)، ممّا ينهض دليلًا على رسوخ الخاصيّة الخطابيّة في هذا اللّسان"[3]، فنلاحظ إذن أنّ المعنى هو المرادف الأول للقصد؛ إذ أنّنا وأثناء عملية التّخاطب نطالب المتلقي بالإصغاء جيّدًا لما يتلفّظ به المتكلّم، وذلك لأجل فهم معاني تلك الألفاظ التي تختبئ خلفها المقاصد، ففهم معنى اللّفظة هو فهم للقصد المُراد، لهذا نجد المتكلّم يضمِّن كلامه تقنيّات وآليّات مختلفة سهل فهم معانيها من طرف المتكلّم الموجَه إليه الخطاب حسب السّياق – طبعًا –، حتى يتسنّى لهذا المخاطَب فهم المقاصد.

---

[1] مهاباد هاشم إبراهيم، الخطاب اللساني في رسائل الجاحظ مقاربة تداولية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد/ الأردن، ط1، 2020م، ص39.

[2] أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، (دط)، (دت)، ص33- 34.

[3] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998م، ص215.

***الإرادة هي القصد:**

لا وجود لفعل من دون إرادة، فالإرادة قد تعبّر عن قصد المتكلم من خطابه؛ إذ نجد المخاطِب يقول أريد من كلامي كذا وكذا ...وهي هنا بمعنى أقصد من كلامي كذا وكذا، وقد حدّد **أبو هلال العسكري** الفرق بين القصد والإرادة بقوله: " أنّ قصد القاصد مختصّ بفعله دون فعل غيره، والإرادة غير مختصّة بأحد الفعلين دون الآخر، والقصد أيضا إرادة الفعل في حال إيجاده فقط، وإذا تقدمته بأوقات لا يتمّ قصدًا ألا ترى أنّه لا يصحّ أن نقول: قصدت لأن أزورك غدًا؟"[1]، وبالتّالي فإنّ القصد يكون مصحوبًا بإرادة خاصّة بالفعل، أمّا الإرادة فلا.وأحيانا قد" يؤثر القصد بمعنى إرادة فعل الشّيء في الحكم على الفعل نفسه، فتصبح الأفعال تابعة للمقاصد الباطنة لدى فاعلها، لا تابعة لشكلها الظّاهري فقط. وذلك مثل بعض الأفعال المتعلّقة بالصَّداق، فعندما ينوي المتزوّج أن يدفع الصَّداق إلى المرأة فإنّه يأخذ بذلك حكم الزّوج، أمّا عند ورود النّية بعدم الوفاء فإنّه يتّصف بحكم آخر"[2]، ولذلك فإنّ قصد المرسِل المرتبط بإرادته يؤثّر تأثيرًا كبيرًا في خطابه أولًا وفي انجاز الفعل اللّغوي ثانيًا، بحكم توفر الإرادة من عدمها.

***الغرض، الغاية هما القصد:**

كثيرًا ما نجد أثناء اطّلاعنا على الجانب التّطبيقي لبعض الدّراسات التّداوليّة سواء القديمة أو الحديثة، عدم التّفرقة بين مصطلحي الغرض والغاية والقصد، وأنّها جميعًا تصبُّ في نفس المجرى؛ فنجد من يعبّر عن القصد فيقول: الغرض أو الغاية من هذه العبارة هو كذا وكذا...أو يقول أن القصد منها هو كذا وكذا...

إلّا أنّنا نجــد أنّ هناك من يخصّص لكلّ منهم مفهومه الخــاصّ ويفــرّق بينهم، فالغايات هــي:" كلّ مصلحة وحكمة تترتّب على فعل الفاعل تسمّى غاية من حيث أنّها على طرف الفعل ونهايته، وتسمّى فائدة أيضًا من حيث ترتّبها عليه، فهما أي الغاية والفائدة متّحدتان ذاتًا، ومختلفتان اعتبارًا"[3]، فنرى هنا أنّ الغاية مرتبطة بالفائدة، أمّا الأغراض فهي العلل التي تبعث الفاعل على القيام بالفعل، وهي جدًا وثيقة الصّلة بالقصد والاختيار[4]، بمعنى أنّ الأغراض تكون نتيجة لعلّة ما أو لقصد ما يسبقها.

وفي الغالب فإنّه حتى وإن تمّت التّفرقة النّظريّة بين مصطلح المقصديّة والمصطلحات الأخرى؛ المعنى، الغاية، الغرض، فإنّه وأثناء التّحليل الإجرائي نجدها متداخلة جدًّا، بل يصعب التّفريق بينها.

---

[1] أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص126.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت/ لبنان، ط1، 2004م، ص189.

[3] محمد على التّهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: لطفي عبد البديع، مراجعة: أمين الخولي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط2، 1966م، ص1246.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص1245.

1-1-1 المقصديّة لغةً:

القصديّة(Intentionality) "مصطلح ظهر في العصر الوسيط وهو مشتقّ من الكلمة اللّاتينية" Intendo " أو "Intentio " وهي تعني الشّدّ أو المَدّ أو التَّوَجُّه نحو، لكنّ الفلاسفة المتأخرين استخدموا الفعل"Intendo"كمصطلح فنّي يدلّ على المفهوم"Concept"، كما تُرجمت "Intention"إلى الإنجليزية على أنّها "Intention" للدّلالة على القصد بمعناه العادي"[1].

وقد جاء في **لسان العرب"** القَصْدُ اِسْتِقَامَةُ الطَّرِيقِ، قَصَدَ يَقْصُدُ قَصْدًا، فَهُوَ قَاصِدٌ. وقوله تعالى: "وَعَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ"؛ أَيْ عَلَى اللهِ تبيينُ الطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ، والدُّعَاء إليهِ بالحُجَجِ والبَرَاهِينِ الوَاضِحَةِ." وَمِنْهَا جَائِر" أَيْ وَمِنْهَا طَرِيقٌ غَيْرُ قَاصِدٍ. وَطَرِيقٌ قَاصِدٌ: سَهْلٌ مُسْتَقِيمٌ. وَسَفَرٌ قَاصِدٌ: سَهْلٌ قَرِيبٌ "[2].

فيظهر من هذا التّعريف للقصد أنّه يعني كلّ ما من شأنه أن يؤدي إلى تحقيق نهاية صحيحة.

وفي **الصّحاح** ورد "القَصْدُ: إِتْيَانُ الشَّيْءِ، تقول قَصَدْتُهُ، وَقَصَدْتُ لَهُ، وَقَصَدْتُ إِلَيْهِ بِمَعْنَى"[3].

2-1-1 المقصديّة اصطلاحًا:

أدرك الباحثون مركزيّة المقصديّة في الخطاب اللّساني والتّداولي فكانت الشّغل الشّاغل عندهم سواء في القديم أم الحديث، فكلّ فعل تواصلي يحمل لا بدّ في طيّاته مقصديّة معيّنة يجب مراعاتها أثناء التّأويل.

أ- المقصديّة عند القدامى:

إذا أردنا الحديث عن المقصديّة عند القدامى كان لزامًا علينا عرض فلسفة **أفلاطون** و **أرسطو** حين أقرَّا أنّ المحسوسات لا تُدرك لذاتها بل لغيرها فـ" المعرفة والإدراك الحسّي والرّأي والتّفكير-إنّ هذه جميعًا تتّخذ شيئًا آخر غيرها كموضوع لها، ولا يكون تعلقًا بذاتها إلّا على نحو جانبي"[4]، لذلك نجد الفلاسفة يميزون بين المقاصد الأولى(First intentions) والمقاصد الثّانية (Second intentions)؛ فالقصد الأوّل يُسمّى عندهم: الوجود في الأعيان وهو ما يتجسّد خارج العقل، والمقصد الثّاني يُسمّى: الوجود في الأذهان وهو ما ينطبع في الذّهن قبل أن يلبس الألفاظ، حيث يقول **ابن سينا(ت427ه)**في هذا الصّدد: " إنّ الإنسان قد أوتي قوّة حسّية ترتسم فيها صور الأمور الخارجيّة وتتأتّى عنها إلى النّفس، فترتسم فيها ارتسامًا ثانيًّا ثابتًا وإن غاب عن الحسّ...فللأمور وجود في الأعيان، ووجود في

---

[1] صلاح اسماعيل، فلسفة العقل دراسة في فلسفة جون سيرل، دار قباء الحديثة للنشر، القاهرة/ مصر، دط، 2007م، ص169.

[2] ابن منظور، لسان العرب،تح: عبد الله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، (دط)، (دت) ، ص3642.مادة (ق ص د).

[3] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور، سلسلة المعاجم والفهارس، ج1،(دط)، (دت)، ص524.

[4] أنطوان خوري، مدخل إلى الفلسفة الظاهراتية، دار التنوير، بيروت، ط1، 1984م، ص183.

النّفس يكوّن آثارًا في النّفس"[1]، ممّا جعل المقصديّة ترتبط بالظّواهر العقليّة المدركة في الواقع .

ولقد كان لعلماء الأصول دورٌ بارزٌ سبّاقٌ في الوقوف على المقاصد الخطابيّة حين جعلوا من الدّرس اللّساني المنطلق في فهم وتفسير واستنباط وتدبّر النّصوص الشّرعيّة ومن ثمّ إصدار الحكم عليها" فالألفاظ لم تُقصد لذواتها وإنّما هي أدلّة يُستدلّ بها عن مراد المتكلّم"[2].

كما أشار **الجاحظ (ت255ه)** في **البيان والتّبيين** إلى الأحوال والمقاصد" فينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين المستمعين وبين أقدار الحالات...حتى يُقسّم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويُقسّم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[3]، **فالجاحظ** يرى "مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسّامع إنّما هو الفهم والإفهام، فبأيّ شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[4].

كما لا يمكن إغفال دور السّياق الذي من خلاله تُفهم المقصديّة ؛إذ أنّ المفردات في الحقيقة لا تحمل في ذاتها دلالة مطلقة، إنّما تتحقّق دلالتها انطلاقًا من السّياق الذي تظهر فيه.

ويبدو ممّا تقدّم ذكره أنّ القصد يحمل في طيّاته معنيين لغويّين، أحدهما داخل مضمر يُعبَّر عنه بنيّة الإنسان لفعل شيء ما، وثانيهما خارجي مظهر يتمثّل في العمل الذي يقوم به الإنسان لأجل تجسيد تلك النيّة[5].

ب ـ المقصديّة عند المحدثين:

لقد صار البحث في مجال المقصديّة بأبعادها يتوسّع أكثر في العصر الحديث مع أنصار الفلسفة التّحليليّة وأصحاب المذهب الظّاهراتي، نذكر على وجه الخصوص ما قام به كل من **إدموند هوسرل** وفيلسوف العقل **جون سيرل** وما قام به **محمد مفتاح** و**طه عبد الرّحمن** في هذا المجال فعرّف **سيرل** القصديّة بقوله:" هي سِمَةُ العقل التي تُوجَّه بها الحالات العقليّة أو تتعلّق بها حالات عقليّة أو تشير إليها، أو أنّها تهدف نحوها في العالم"[6] ثمّ يربط القصديّة

[1] ابن سينا، الشفاء(كتاب العبارة)، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، (دط)، 1970م، ص01-02.

[2] شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن القيّم، أعلام الموقعين عن رب العالمين، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1987م، ص218.

[3] الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م، ص138-139.

[4] المرجع نفسه، ص76.

[5] ينظر: عبد الحق فرحان شاهين، أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، رسالة ماجيستير، جامعة الكوفة، 2013/2012م، ص131-132.

[6] جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع – الفلسفة في العالم الواقعي- تر: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2006م، ص102.

بالشّعور أو الوعي ويعتبره شرطًا أساسيًّا، فقصديّة اللّغة عنده تكون متضمّنة لمقاصد معيّنة لا نستطيع التّعبير عنها بدون العقل[1].

أمّا في حقل الدّراسات التّداوليّة فقد عرّف **سيرل** القصديّة بقوله:" ويتحدّد معنى الجملة،بها في الكلمات والتّرتيب النّحوي للكلمة في الجملة، غير أنّ ما يعنيه المتكلّم بمنطوق الجملة يعتمد ضمن حدود معيّنة على مقاصده"[2].

ومن المفاهيم الأخرى التي لا بدّ من الرّجوع إليها أثناء تعريف القصديّة التّعريف الذي قدّمه **هوسرل** حين ربط القصديّة بالوعي وجعل الوعي دائمًا موجّهًا إلى شيء معيّن وأنّ المرء له وعيٌ قصديٌّ في حياته اليوميّة[3].

لقد ربط **محمد مفتاح** المقصديّة بقدرة المتلقي على التّأويل لأنّه من النّادر أن تتطابق مقصديّة منتج النّص ومتلقيه[4]، لهذا نجده يُحدّد مقصديّات كثيرة وفقًا لعناصر العمليّة التّواصليّة وهي كلّها تتوقّف على قدرة المتلقي الوصول إليها (مقصديّة المنتج المعلنة والمضمرة) ويربط ذلك بعامل الزّمن والقرائن النّصية والخارجيّة[5].

أمّا **طه عبد الرحمن** فقد جعل القصد يُبنى على" وصل المستوى التّبليغي بالمستوى التّهذيبي للمخاطبة وإمكان الخروج عن الدّلالة لظاهر القول"[6]، يعني هذا إمكان الخروج عن المقاصد الإجماليّة في الخطاب. وبالتّالي فإنّ القصد عنده لا يتوقّف عن التّوجه للغير فقط بل يحصل بإفهام لهذا الغير[7]، لهذا فقد جعل **بن ظافر الشّهري** القصد في ثلاثة، دالّ على الإرادة، دالّ على المعنى ودالّ على الهدف من الخطاب[8].

ج - أنواع المقاصد:

كثيرة هي تلك المقاصد التي يمكن رصدها أثناء عمليّة التّواصل بحيث من المستحيل حصرها أو تحديد كيفيّتها؛ هذا لتداخلها في كثير من الأحيان أولًا، ولأنّ جزءًا كبيرًا منها متوقّف على مدى فهم واستيعاب المتلقي للخطاب الذي يلقى أمامه. فكلّما كان الخطيب دقيقًا في انتقاء كلماته وعباراته متفنّنًا في طريقة عرضها وإيصالها بوجه من الإتقان كبير، كلّما سهُل عليه إيصال مقاصده للطّرف الآخر. وعمومًا فقد حدّد كل من **سيرل** و**ولسن** نوعين للمقاصد وهما:

---

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص136.

[2] جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع – الفلسفة في العالم الواقعي ، ص206.

[3] ينظر: كاوة جلال قادر، نظرية الوعي عند سارتر، مجلة الفلسفة، جامعة رابه سكول للعلوم الإنسانية، ع10، 2013م، ص32.

[4] ينظر" محمد مفتاح، دينامية النص(تنظير وإنجاز)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت، ط3، 2006م، ص82-83.

[5] ينظر: المرجع السابق، ص83.

[6] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص250.

[7] ينظر: المرجع نفسه، ص214.

[8] ينظر: يونسي فضيلة، مفهوم المقاصد وعلاقتها بالخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة ملود معمري، تيزي وزو، ع6، 2010م، ص283.

1-القصد الإخباري: أو مقصد تبليغ المحتوى: وهو ما يقصد إليه القائل من حمل مخاطبه كي يتعرّف على معلومة أو حقيقة معيّنة.

2-القصد التّواصلي: أو مقصد تحقيق للمعلومات الإخباريّة: أي ما يقصد إليه القائل من حمل المتلقي على معرفة مقصده الإخباري[1]. وبالتّالي فإنّه لا تحقيق للمقصد التّواصلي ما لم يتمّ التّعرف على المقصد الإخباري.

وفي كتابه **عبد السلام عشير** بيّن الفرق بينهما بضربه للمثال الآتي" عندما تقول هند لزيد مثلًا إنّها أصيبت بوعكة يوم العيد فهي أولًا: تقصد الإخبار بهذا القصد وثانيًا: تقصد شيئًا آخر خاصًّا هو أن تخلق لدى زيد الاعتقاد بأنّها مريضة، وإذا فرضنا أنّ زيدًا يعرف هذا القصد، ولكنّه لا يثق في كلام هند فإنّ قصدها الخاصّ هذا لم يتحقّق وما تحقّق هو القصد الإخباري، ولهذا لم تستطع هند إقناع زيد بقصدها الخاصّ رغم أنّها أبلغته بما تريد"[2].

وتنضوي تحت هذه المقاصد أنواع أخرى قد تفهم من خلال السّياق ومن خلال بعض الأساليب المتوافرة في الخطابات المختلفة منها:

المقاصد الموضعيّة: والمقصود بها تلك الأغراض المباشرة والصّريحة، من معاني وأفكار واضحة لا تحتاج إمعانًا فهي جليّة للمتلقي هذا لأنّ المعنى اللّغوي للكلمة يتوافق حدّ التّطابق مع قصد المتكّلم[3] كالأمر على فعل شيء والنّداء وكذا النّهي ...وغيرها من الأساليب التي يستخدمها المخاطب بقصد واضح ومباشر في سياق التّأثير على المتلقي وإقناعه وبالتّالي إذعانه.

المقاصد الإجماليّة: وتهتمّ بالمعاني غير المباشرة، وهي معان يمكن فهمها استنتاجًا انطلاقًا من المعاني الأولى (الموضعيّة) ثمّ يتمّ الوصول إلى المعنى غير المباشر أي المقصد الإجمالي[4].

ولوعدنا لأهمّ الدّراسات التي ركّزت على أنواع القصد لوجدنا أشملها الدّراسة التي قدّمها **إدريس مقبول** والمعنونة بـ:" في تداوليّات القصد" فأثناء تقسيمه لمفهوم القصد في الدّراسات اللّسانية التّداوليّة وتقاطع النّظريات الغربيّة في ذلك مع نظرائها العربيّة قسّم القصد وفق تقسيمات ثلاثة[5]:

التّقسيم الأول: القصد التّواصلي والقصد الإخباري:

---

[1] ينظر: آن ربول، جاك موشلر، التداولية اليوم عالم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغموش، محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة، بيروت/لبنان، ط1، 2003م ص79- 80.

[2] عبد السلام عشير، عندما نتواصل نتغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق، المغرب، (دط)، 2006م، ص54.

[3] ينظر: آن ربول، جاك موشلر، التداولية اليوم عالم جديد في التواصل، ص206.

[4] ينظر: المرجع السابق، ص206.

[5] ينظ:إدريس مقبول، في تداوليات القصد، مجلة جامعة النجاح للأبحاث(العلوم الانسانية)، مج28،ع5، 2014م، ص1212- 1213-1214 - 1215 -1216 .

والمقصود بذلك أنّ كلّ قصد تواصلي لا بدّ له من قصد إخباري يسبقه ويعرّف ويخبر عن مضمونه؛ لأنّ أصل الكلام الفائدة والإفادة وبالتّالي الابتعاد عن تصوّر كلام لا يُقصد من ورائه شيء. أمّا القصد التّواصلي فهو يختلف عن ذلك فالمقصود منه ليس التّلقي الجيّد للكلام فحسب، بل الدّور الحقيقي للمتلقي يكمن في فهمه للقصد التّواصلي والتّفاعل معه فعليًا بطريقة صحيحة أي الإفهام والتّفاهم.

التّقسيم الثّاني: القصد البسيط والقصد المركّب:

انطلق **إدريس مقبول** في هذا التّقسيم من الممارسة التراثيّة التي تعتمد تعدّد القصود والنيّات في نفس النّشاط وهو ما أُصطُلح عليه بـ" تشريك النيّة" في اجتماع أكثر من قصد واحد في فعل واحد، وقد عُثر على ما يؤيّده في الدّراسات التّداوليّة فعدّ **بول غرايس** القصد التّخاطبي ليس واحدًا أو بسيطًا فهو مركّب انعكاسي وبالتّالي قسّمه إلى:

أولا: قصد المتكلّم في إبلاغ محتوى دلالي إلى المخاطب.

ثانيا: تعرّف المخاطب على القصد الأول.

ثالثا: يعني أنّ القصد الأول يتحقّق بتعرّف المخاطب على القصد الثّاني.لهذا فالقصد عنده قصد أوّلي ثمّ قصد القصد ثم يليها جميعا قَصْدُ قَصْدِ القَصْدِ وكذا قَصْدُ قَصْدِ قَصْدِ القَصْدِ. وهو رأي لم يخالفه **طه عبد الرّحمن**.

التّقسيم الثّالث: القصد الآني والقصد المستقبلي:

إنّ هذا التّقسيم للقصد قائم على النّظر إلى الزّمان وبالضبط إلى الزّمن الحالي أو المستقبلي، فالقصد المستقبلي موجّه إلى الآتي من الزّمن والآني متعلّق بفعل قصدي معيّن، بمعنى القيام بشيء قصديًّا.

وجدير بالذّكر أنّ أنواع الخطابات على اختلافها والتي تعتمد على الحجاج بدرجة كبيرة ليس من السّهل فيها الوصول إلى المقاصد أو تحديدها أو حصرها؛ لهذا فقد دعا **طه عبد الرّحمن** إلى مسألة التّبادل في المقاصد بين المتخاطبين أو ما أطلق عليه بـــــ: " ازدواج القصد " فنجده يقول: "يتّخذ هذا الازدواج في القصد شكلين مختلفين، تقاصد خارجي وتقاصد داخلي؛ أمّا التّقاصد الخارجي، فيتجلّى في كون المتكلّم يقصد بكلامه المستمع، وفي كون المستمع يقصد باستماعه المتكلّم، كما يتجلّى في حصول الوعي بالقصدين عند كليهما، وأمّا التّقاصد الدّاخلي، فيتجلّى في جانب المتكلّم في كونه يقصد نفسه في قصده المستمع، كما أنّه قد يقصد المستمع في قصده لنفسه، ويتجلّى في جانب المستمع في كون المستمع قد يقصد نفسه في قصده للمتكلّم، كما أنّه قد يقصد المتكلّم في قصده لنفسه"[1]. ففهم المقاصد الدّاخلية والخارجيّة منوطة بفهم كلّ طرف لقصد الطّرف الآخر، ففي حال يقصد المتكلّم نفسه فهو يقصد المستمع والعكس.

ولـقد حصر**طه عبد الرحمن** أنــواعًا مــن المقاصد المزدوجة القائمة على الحجاج فــي قولــه: " فكلّ منطوق به يتوقّف وصفه بالحجاج على أن يقترن بقصد مزدوج في تحصيل

[1] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص259.

النّاطق لقصد العلم بالشّيء ولقصد العمل به معًا، فضلًا عن تحصيل القصدين المقاميين: قصد التّوجيه وقصد الإفهام، وتحصيل القصدين الحواريين، قصد الادّعاء وقصد الاعتراض"[1].

إذن فالأنواع تتمثّل في:

- قصد العلم بالشّيء وقصد العمل به.
- قصد التّوجّه وقصد الإفهام.
- قصد الادّعاء وقصد الاعتراض.

يقول في القصد الأول: " وأمّا قصد العلم بالشّيء، فلأنّ المستدلّ يحتاج إلى البناء على معرفة كافيةٍ بالواقع، والخلوّ من هذه المعرفة إمّا مغالطا، إن علم بخلوّه منها، وإمّا جاهلًا إن لم يعلم به فينبّه على جهله، وأمّا قصد العمل بالشّيء، فلأنّ المستدلّ يسعى إلى الانتفاع بما يعرفه عن الواقع وترك العمل بما يعلم، يجعله متّبعا لهواه، فيكون ذلك دليلًا على نقص في عقله وإمّا متردّدا في سلوكه، فيكون ذلك دليلًا على ضعف إرادته"[2].

أمّا القصد الآخر المزدوج فيتمثّل في: قصد الادّعاء وقصد الاعتراض

*قصد الادعاء: فيقتضي أنّ المنطوق لا يكون خطابًا حقًّا، حتى يحصل من النّاطق اعتقاد صريح لملفوظه والاستعداد التّام لإقامة الحجّة والدّليل عليه عند الحاجة، كي لا يكون مجرّد ناقل لكلام غيره أو كاذب.

*قصد الاعتراض: فالمنطوق لا يكون خطابًا حقًّا، حتى يكون للطّرف الآخر(المنطوق له) الحقّ في مطالبة النّاطق بالدّليل على ما يدّعيه، وبالتّالي على المخاطب أن يصل إلى مرتبة المعترض المطالب بالدّليل لا أن يكون مسلمًا دائمًا بما يدّعيه النّاطق[3].

وكلّ من قصد الادّعاء والاعتراض مرتبط بقصد توجيه وإفهام معنى ما إلى المعارض حتى يمكن أن نقول هذا المنطوق خطابًا حجاجيًّا[4] عند **طه عبد الرّحمن**.

2-1 دلالة العنوان:

يُعتبر العنوان أول عتبة يطؤها الدّارس قصد الكشف عن خفاياها في النّصوص الأدبيّة، لأنّه يحمل أبعادًا دلاليّةً ورمزيّة تُغري الباحث وتحثّه على تتبّع خُطاها وفكّ شفراتها واستنطاقها، لهذا فقد حظي العنوان باهتمام الدّارسين والنّقاد باعتباره يُعدّ ضمن العتبات النّصية التي تختزل نصوصًا كثيرًة عبر خاصّية الرّمز والتّكثيف والإيحاء...وبالتّالي عُدّت نصوصا مستقلّة وموازية لنصوصها الأصلية، كالمقدّمات، العناوين، المداخل، الإهداءات...

[1] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص231.
[2] المرجع نفسه ، ص231.
[3] ينظر: المرجع نفسه، ص225.
[4] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص126.

ولعلّ المتتبّع لمسار العناوين في النّصوص الأدبيّة بأشكالها المتعدّدة سيلحظ أنّ العنوان ارتبط ومنذ البداية الأولى بالنّثر أكثر من الشّعر، خاصّة قديمًا، وقد أشار إلى هذه القضية **جون كوهن**؛ إذ رأى أنّ النّثر يتوفّر دائمًا على العنونة مهما اختلفت مواضيعه، وجعل العنوان من سمات النّص النّثري، على اعتبار أنّ النّثر يقوم على الوضوح والقواعد المنطقيّة والتي قلّ ما نعثر عليها في الشّعر، الذي يمكنه الاستغناء عن العنوان ما دام يستند إلى الانسجام مع افتقاره للفكرة التركيبيّة التي يمكنها أن توحّد شتات النّص المبعثر، لهذا فإنّ مطلع القصيدة قد يكون عنوانًا لها[1].

ومهما كانت سهولة العنوان في النّثر فإنّه يحتاج إلى مفاوضة ومحاورة، خاصة في نصوص كالخطب المنبريّة الدّينيّة، فمن خلال العنوان يستطيع الخطيب شدّ انتباه الجمهور السّامع وتشويقه لسماع الخطبة كاملة، وعلى أساسه يستطيع الخطيب بناء المحاور الكبرى للخطاب الذي سيلقيه أمامهم، لهذا نجد العناوين في الخطب المنبريّة الدّينيّة غالبًا ما تكون قصيرة، دقيقة، معبّرة تمامًا على الموضوع العامّ الذي يريد الخطيب تداوله، كما أنّها غالبا ما تُحدّد بإطار زماني أو مكاني...أو نجدها مقيّدة بعقيدة دون أخرى، أو حتى بأحداث ووقائع أو مناسبات يعيشها المصلّي السّامع في حياته السّياسيّة والاجتماعيّة والدّينيّة والثّقافيّة...

إنّ أوّل ما يسترعي انتباه الباحث أثناء محاولته الوقوف على مقصديّة الخطب المنبريّة المختارة هو: عنواناتها، فهل يمكن الكشف عن قصديّة النّصوص الخطابيّة من خلال العنوانات التي آثرها منتجو الخطاب لخطبهم؟

ونقف عند الباب الأول منها المعنون بـــــ: **حقوق الطّفل في الإسلام** للخطيب **محمد راتب النّابلسي**، حيث يبدو ملتزَما فيه بمعايير العنوان فهو قصير في مبناه، دقيق في معناه، معلن عن نقاط معيّنة خاصة بفئة معيّنة، وعقيدة معيّنة.

فالحقوق جمع مفرده حقّ، والحقّ هو مجموع القواعد الأساسيّة والمعياريّة التي يتمّ وضعها وفقًا للعادات الاجتماعيّة، أو النّظريات الأخلاقيّة السّائدة في المجتمع، أو النّظام القانوني لها، حيث تُوضّح الأفعال المسموح بها للأشخاص المستحقّين لها[2]، أي الطّفل، ولكن الخطيب لم يجعل العنوان عامًّا لحقوق الطّفل مطلقًا، بل خصّصه بما جاء في الدّين الإسلامي من قوانين منصفة لهذه الفئة، في ظلّ التّهميش الذي تعانيه داخل الدّول العربيّة الإسلاميّة المتأثّرة بقوانين وشرائع غيرها من العوالم الأخرى، المناديّة بحقوق الطّفل،المستظلة بمظلّة الانفتاح والحرّية، إلّا أنّها ليست نابعة من تربتنا ولا ملّتنا، لهذا نلاحظ أنّ العنوان الأول لم يختره الخطيب عبثًا، أو من أجل التّصريح بما في نص الخطبة فحسب، إنّما بدافع إثارة فضول المتلقي والتّأثير فيه، ولبيان أهمية الموضوع وفهم مقاصد الخطيب من خلاله.

---

[1] ينظر: جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، عالم الفكر، 1997م، ص98.

[2] هديل نادر، تعريف الحقوق والواجبات، موقع ويب: https://mawdoo3.com، تاريخ النشر:05سبتمبر 2021م، الساعة: 11:05، تاريخ الاطلاع: 27 سبتمبر2022م، الساعة: 17:14.

كما يطالعنا الخطيب **أحمد بن علي سعود** بعنوان خطبته الموسوم بـــ: **التّداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشّريعة الإسلاميّة**، هذا العنوان الذي بمجرّد أن يُلقى على مسامعنا تتداعى إلى ذاكرتنا المصيبة الوبائيّة التي اجتاحت العالم مؤخرًا (وباء كورونا)، والتي انجرّت عليها إجراءات وتدابير وقائيّة وعلاجيّة خاصّة، إذن فالعنوان هنا مرتبط بذكرى أليمة ألمّت بالعالم أجمع، غير أنّ الخطيب آثر أن يعرض على مسامع جمهوره كيفيّة طلب العلاج الذي نادت به الشّريعة الإسلاميّة، ولأجل هذا التّخصيص اتّسم العنوان بالطّول نوعًا ما، ولكن ليس الطّول المملّ وإنّما هو طول يشدّ به انتباه المتلقي الذي يبحث عن علاجات بشتّى الطّرق – إن صحّ التّعبير - وأدواء للحدّ من هذا الوباء، وحتى اختياره لكلمة **التّداوي** وجعلها في صدارة العنوان، من شأنها أن تُنسي المتلقي طول العنوان، وتبعث في نفسه الأمل والتّفاؤل والطّمأنينة.

أمّا العنوان الذي اختاره الخطيب **سعود بن إبراهيم الشّريم** فقد كان:**أهميّة النّصيحة وآدابها**، وهو ينقسم إلى قسمين يشكّل من خلالهما محاور الخطبة الأساسيّة، التي تناول فيها الخطيب جانبًا أخلاقيًّا مهمًّا في حياة الأفراد والمجتمعات، فالنّصيحة في الإسلام "كلمة يُعبّر بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له، وأصل النّصح هو الخلوص والصّفاء والصّدق وعدم الغشّ، ولذا كان لزامًا على كلّ مجتمع مسلم أن يجعل لهذه الشّعيرة محلًّا واسعًا في حياته اليوميّة واهتمامًا بالغًا لا يقلّ مستوى عن الاهتمام بالجوانب الصّحيّة والجوانب الأمنيّة والجوانب المعيشيّة"[1]، لهذا فقد جاء العنوان منبّهًا للاهتمام بها، مشيرًا للآداب الواجب التّحلي بها أثناء إسدائها للطّرف الآخر، فالدّين النّصيحة كما أخبرنا الرّسول صلّى الله عليه وسلم، وعلى هذا الأساس نلاحظ أنّ العنوان: "أهميّة النّصيحة وآدابها" لم يكتف بالإخبار عن فكرة الخطبة وموضوعها بقدر ما أشار إلى مقصديّة قادتنا إلى مرجعيّة دينيّة إسلاميّة تتمثّل في تمسّك المجتمعات الإسلاميّة بالنّصيحة والتّناصح والتّحلي بضوابطها وآدابها امتثالًا لأوامر الله تعالى ونبيّه صلّى الله عليه وسلم.

لنلج أخيرًا إلى العنوان: **المرأة في الإسلام**، للخطيب **أحمد طهراوي**، الذي يلقى بحمولته على المتلقي كي يكشف عن المسكوت عنه فيه، فمن خلال العنوان: المرأة في الإسلام، يجد الباحث نفسه أمام احتمالات التّأويل، وذلك لما يكتنزه من دلالات لم يُصرّح بها فيه، ولكنّها تحضر فيه وبقوّة، فيمكن أن نطلق عليها الدّلالات الغائبة الحاضرة في العنوان فهل سنجد لها حضورًا حتى في المتن؟.

1-2-1 وظائف العنوان:

لقد انطلق بعض الدّارسين أثناء تحليل عناوين نصوصهم الأدبية من وظائف اللّغة التي حدّدها **رومان جاكوبسن** في كتابه **قضايا الشعرية** وأفادوا منها الكثير، وأكّدوا أنّ للعنوان

[1] سعود بن إبراهيم الشريم، خطبة: أهمية النصيحة وآدابها، https://khutabaa.com ، تاريخ النشر: 2019/01/14، تاريخ الزيارة: 2019/03/15، الساعة: 13:00.

وظائف عدّة قد تكون: انفعاليّة، مرجعيّة، انتباهيّة، جماليّة، ميتا لغويّة[1]. إلّا أنّ البعض الآخر قام بتحليل العنوان وفقًا لما حدّده **جيرار جينيت**من وظائف وهي تتمثّل في:

*وظيفة تعيين وتحديد لهويّة النّص.La foncton de signaton

*الوظيفة الوصفيّة.La foncton dèscriptive

*الوظيفة الدّلاليّة الضّمنيّة أو المصاحبة.La foncton connotatue attachee

*الوظيفة الإغرائيّة La foncton de ductivèe[2].

كما وقد أشار البعض الآخر من الدّارسين إلى الوظيفة الإحيائيّة كما عند**روبرت شولز** أو التّناصيّة كما عند **جوليا كريستيفا** و**رولان بارت**[3] أو الإيحاليّة كما عند **ميشال فوكو**[4]، ومقابل الإيحاليّة نجد من يعطي العنوان وظيفة الاستحالة, ويقصد بها أنّ العنوان لا يحيل على مرجعيّة معروفة وإنّما يقيم قطعية مع إحالته ولا يحتفظ إلّا بمفهوماته الرّمزيّة المتحجّبة[5].

وكلّ هذه الوظائف يمكن العثور عليها في الخطب المنبريّة الدّينيّة، لأنّها نص إبداعي بالدّرجة الأولى، وإن طغت عليه سمة الوعظ والإرشاد ومحاولة التّأثير في الجمهور، فكلّما كان العنوان يحمل وظيفة من هذه الوظائف أو غيرها فبطبيعة الحال سيتمكّن الخطيب من ضمان الاستحواذ على عقول المتلقّين وكذا قلوبهم وتشويقهم لما هو آت.

ووظيفة التّعيين والتّحديد والإعلان عن المحتوى تكاد تجتمع في الخطب المنبريّة الأربع التي بين أيدينا لأنّها قد تخبر صراحة عن الموضوع الذي سيُلقى أمام الجمهور، إلا أنّ ذلك لا يمنع من وجود وظائف أخرى مميّزة لكل خطبة على الأخرى، فالعنوان "حقوق الطّفل في الإسلام" رغم دقّته وتحديده يبقى عنوانًا يبعث في المتلقي بعض التّساؤلات التي تفتح شهيّته وتدفع فضوله للتّعرف على هذه الحقوق ومقارنتها مع ما هو سائد في الواقع الذي يعيشه، إضافة إلى أنّ اختيار الحديث حول هذه الفئة لا بدّ أنّه سيحرّك مشاعر المتلقي كي يتعاطف معها ولا يظلمها، وبالتّالي فإنّ العنوان وبمجرّد وضعه أمام الباحث سيدرك لا محالة أنّ الوظيفة الطّاغية هي **الانفعاليّة**.

لكن العنوان "التّداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشّريعة الإسلاميّة" ولو ربطناه بالسّياق الذي ألقى فيه الإمام خطبته لوجدنا بأنّ الوظيفة الطاغية فيه هي **الإغرائيّة**؛ فذكر الدّواء للمريض ما هو إلا إغراء له خاصّة لما نجد في الخطبة استحضارًا لما قام به النّبي –

---

[1] ينظر: نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب (الأسلوب والأسلوبية) دراسة في النقد العربي الحديث، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، (دط)، (دت)، ص180.

[2] ينظر: محمد الهادي المطوي، شعرية عنوان الساق على الساق فيما هو الفارياق لفارس الشدياق، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج28، ع1، سبتمبر 1999م، ص457.

[3] ينظر: روبوت شولز، سيميائية النص الشعري اللغة والخطاب الأدبي، تر: سعيد الغانمي، الدار البيضاء، ط1، 1993م، ص161.

[4] ينظر: ميشال فوكو، حفريات المعرفة، تر: سالم يفوت، الدار البيضاء، (دط)، 1989م، ص23.

[5] ينظر: بسام قطوس، سيمياء العنوان، مطبوعات المكتبة الوطنية، عمان/ الأردن، ط1، 2001م، ص107.

صلّى الله عليه وسلّم – وكذا الصّحابة والتّابعون في المواقف المشابهة لحالة المتلقي، وهو ما يشدّ السّامعين ويجبرهم على متابعة الخطبة من البداية إلى النّهاية.

كما نجد العنوان "أهميّة النّصيحة وآدابها" يحمل في طيّاته وظيفة **مرجعيّة** دينيّة تحيل إلى المجتمعات الإسلاميّة القائمة على دعائم وأسس قويمة والتي من النّادر وجودها في وقتنا الحالي، بل تحيل تحديدًا إلى عصر النّبي – صلّى الله عليه وسلّم – وما كان يسوده من أخلاق ومعاملات تبعث على الاقتداء، فالنّصيحة والتّناصح وإن غابت في وقتنا فيجب الرّجوع إليها دائمًا وأخذ العبرة ممّن سبقونا في هذا المجال، وتحمّل جميع تبعاتها لأنّ الغرض منها نيل رضا الله وحده، وبالتّالي فإنّ وظيفة العنوان هنا لا تبدو جليّة أبدًا وإنّما يجب استنتاجها من خلال الاطّلاع على الخطبة والمحاور التي تطرّق إليها الخطيب أثناء عرضه.

أمّا العنوان "المرأة في الإسلام" رغم ما يتمتّع به من تحديد وتعيين إلّا أنّه مكثّف يحمل دلالات مكتنزة تتعلّق بقضايا المرأة، فبمجرّد سماع العنوان تتبادر أسئلة كثيرة في أذهاننا كـــ: من أيّ جانب تحدّث الإسلام عن المرأة؟ كيف كانت تعيش المرأة قبل مجيء الإسلام وكيف أصبحت؟ وهل ما نراه الآن من أحداث ووقائع وقضايا خاصّة بالمرأة نادى بها الإسلام؟ أم أنّها مفروضة علينا ودخيلة من عوالم أخرى؟ ....وأسئلة أخرى كثيرة كلّها قابعة خلف هذا العنوان، لهذا يمكن أن نقول أنّ الإمام استطاع أن **يختزل** الكثير من الأمور المتعلّقة بالمرأة في الإسلام من خلال هذا العنوان الذي يظهر قصيرًا من حيث كلماته لكنّه عميق من حيث دلالاته.

2-2-1 علاقة العنوان بالمتن:

لا يمكن دخول النّص من دون طرق باب عنوانه، فالعنوان هو العتبة الأولى التي يمكن من خلالها الوصول إلى المقاصد، وهو لحظة التّأسيس البكر التي تسمح بالعبور إلى النّص من جهة، ومن جهة أخرى هو لحظة تأسيس وعي لدى المتلقي، وهذا الكلام لا يعني أنّ العنوان يسلّم نفسه بسهولة إلى المتلقي ويكشف عن مقاصده؛ إذ غالبا ما نجد أنّ دخول النّص والإبحار في متنه تكشف لنا الكثير من الأمور التي حجبها عنّا العنوان عن قصد أو عن غير قصد، تلك الأمور التي قد تعزّز وعي المتلقي وتؤيّده، كما قد تنفيه وتكسر أفق ذلك التّوقع، وفقا لطبيعة النّصوص وأشكالها المتعدّدة.

ولعلّ المتمعّن في عناوين الخطب المنبريّة الدّينيّة سيدرك أنّها غالبًا ما تعزّز وعي المتلقي بمقصديّة نصوصها منذ الوهلة الأولى، رغم الوظائف الكثيرة التي قد يكتسيها العنوان فيها، حيث يحاول الخطيب ألّا يُحدث قطيعة بين العنوان والنّص، وهو ما وجدناه ظاهرًا وجليًّا في الخطب المنبريّة الأربع التي بين أيدينا، وبإطلالة على العناوين المختارة، ودخول المتن نجد أنّ الأئمة قسّموا خطبهم وفقا لمحاور معيّنة استنادا للعنوان الأول، وأنّ هذه المحاور تخدم العنوان ولا تتنافى معه، بل تدعمه ويدعمها.

ويمكن الوقوف على عناوين الخطب المنبريّة والمحاور المشكّلة لمتن النّص وتوضيحها في الجدول الآتي:

عنوان الخطبـــــــــة	محاورهـــــــــا الكبـــــــــرى
حقوق الطّفل في الإسلام	1 الإسلام دين عظيم نظّم جميع شؤون الحياة. 2 حقوق الطّفل في الإسلام. 3 ضرورة الاعتناء بحسن تنشئة الأطفال.
التّداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشّريعة الإسلاميّة	1التّداوي بالقرآن الكريم(كلام ربّ العالمين). 2 الصّدقة وإسداء المعروف دواء للوباء. 3 أهميّة قيام اللّيل في الشّفاء من الأدواء. 4 صلة الرّحم وما لها من أثر البركة على الأرزاق والأبدان. 5 التّداوي بكثرة الصّلاة والسّلام على رسول الله.
أهميّة النّصيحة وآدابها	1 أهميّة النّصيحة ودورها في بناء المجتمع. 2خطورة الإعراض عن النّصيحة وعدم قبولها. 3 آداب النّصيحة. 4 الدّين النّصيحة.
المرأة في الإسلام	1 أهميّة المرأة في المجتمع. 2المساواة بين المرأة والرّجل. 3 نماذج من عناية الإسلام بالمرأة. 4الإسلام يأمر بإكرام المرأة.

صحيح أنّ العنوان قد يبوح عن مقصديّته بعد أن يؤسّس في ذهن المتلقي معرفة معيّنة، فيختصر له مسافة طويلة، تجعله لا يبدأ من نقطة الصّفر مع النّص، إلّا أنّ ذلك ليس دائمًا، فلا بدّ أحيانًا من قراءة النّص الأصلي والقيام بمحاورته ومفاوضته، ذلك لأنّ العنوان مكثّف الدّلالة ويفتقر إلى السّياق كما النّص.

وعليه فإنّ العلاقة بين العنوان ونصّه هي علاقة تكامل تعتمد على المحاورة والمجادلة تنطلق من العنوان وصولًا إلى النّص، ومن النّص إلى العنوان دون غياب لإحداهما، لهذا انطلقنا من عناوين الخطب المنبريّة التي صرّحت بالكثير من الأمور التي سيتمّ التّطرق إليها في المتن، لتأتي المحاور كي تعزّز العنوان وتكمّله بناء على الدّلالات المباشرة وغير المباشرة القابعة خلفه، والتي من خلالها يتمّ الكشف عن المقصديّة الكلّية للنّص وذلك انطلاقًا من ثنائية: العنوان/ النّص، النّص/ العنوان.

2الاستراتيجية التّخاطبيّة في الخطب المنبريّة الدّينيّة

يُعدُّ الخطاب الدّيني(الخطب المنبريّة الدّينيّة)عمليّة تواصليّة إقناعيّة بالدّرجة الأولى، تُنجز وفق أهداف محدّدة ومخطّط لها، من طرف المتكلّم الذي يعمل على شدّ انتباه الجمهور المتلقي نحو قضايا تهمّه في حياته الدّنيا والآخرة.

ولأنّ الوصول إلى مقاصد المتكلّم تستوجب إمعانًا في علاقة الخطيب بجمهوره، وإمعانًا في الآليّات المختلفة المتّبعة أثناء التّلفّظ، فإنّنا وقبل التّطرق لتلك الآليّات آثرنا في هذا الفصل دراسة الإستراتيجية الخطابية التي يتمّ اتّخاذها للوصول إلى المقاصد، بداية بمدوّنة الأطروحة وكلّ ما يحيط بها من حيثيّات، ثمّ ما يخصّ المرسِل من كفاءات لغويّة وتداوليّة، وصولًا إلى المتلقي والشّروط التي يجب أن تتوافر فيه كي يستطيع تحديد المقاصد أثناء تفاعله مع المتكلّم وخطابه.

2-1 مفهوم الإستراتيجيّة التّخاطبيّة:

لا يمكن لأيّ عمل مهما كان أن تقوم له قائمة من دون إستراتيجيّة محكمة يُبنى عليها، فالإستراتيجيّة تعتمد على اتخاذ مجموعة من التّدابير ذهنيًّا ثمّ محاولة تطبيقها على أرض الواقع من أجل الوصول إلى هدف معيّن، وهي في ذات الوقت" الطّرائق التي تُوصل مقصد المرسل وتُعين على إدارة دفّة الكلام"[1]، وكلّما كانت الإستراتيجيّة مراعيًا فيها السّياق والظّروف المحيطة كلّما كانت أنجع وكان الوصول على الغاية أدقّ، فأحيانا طريقة انجاز شيء معيّن هي من تثبت نجاحه من فشله.

لقد عرّف **عبد الهادي بن ظافر الشهري**الإستراتيجيّة على أنّها" طُرق محدّدة لتناول مشكلة ما، أو القيام بمهمّة من المهمّات، أو هي مجموعة عمليّات تهدف إلى بلوغ غايات معيّنة، أو هي تدابير مرسومة من أجل ضبط معلومات محدّدة والتّحكم بها"[2]. ويقول أيضا أنّها "عبارة عن المسلك المناسب الذي يتّخذه المرسل للتّلفّظ بخطابه، من أجل تنفيذ إرادته، والتّعبير عن مقاصده، التي تؤدي إلى تحقيق أهدافه"[3]، إلّا أنّ هذه الإستراتيجيّة أو هذه الطرّق تحتاج دائما النّظر في السّياق الذي ستُطبّق فيه، والظّروف الاجتماعية السّائدة آنذاك؛ فكل خطاب صادر من مرسل لا يمكن إغفال السّياق فيه؛ هذا لأنّه " خطاب منجز أي مخطّط لــه بصفة مستمرّة وشعوريّة"[4] يتـمّ فيـــه إيصال الرّسالة عـــن طريق اللّغة الطّبيعيّة (التّلفّظ) وأحيانًا حتى غير اللّغوية (العلامات)وبالتّالي تبليغ المرسل لمقاصده بكلّ يُسر ممّا يضمن له وصولها كما أرادها للمرسَل إليه.[5]

---

[1] مصطفى بوخبزة، المتلقي معيارا نقديا وأخلاقيا في الخطاب البلاغي العربي، ضمن كتاب: الخطاب والأخلاق مقاربات بلاغية وتداولية مقالات عليمة محكمة، ص331.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص53.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص62.

[4] المرجع نفسه ، ص56.

[5] لقد عبر النقاد عن الاستراتيجية التخاطبية قديما بمصطلح: الاحتيال واعتبروه سلاح المتكلم في مواجهة المخاطب للوصول بسياسته إلى مبتغاه . فمصدر التأثير الذي يكون للكلام في السامع إنما هو (الحيلة) ويخلو مفهوم (الحيلة) لدى

فدراسة اللّغة في الاستعمال يجعل من السّياق مهمًّا جدًّا لتحقيق الأهداف المرجوّة من الخطاب؛ لذا فإنّ وضع إستراتيجيّة وتحديد كيفيّة انجازها وتوظيفها في ذلك السّياق هي عامل مساعد للوصول إلى المقاصد الصّحيحة وبالتّالي " فإستراتيجيّة الخطاب في أصلها، هي عمليّة ذات وجهين متلازمين، بوصفها عمليّة ذهنيّة، في مرحلة إنتاج الخطاب الأولى، وبوصف الخطاب تجسيدًا لها في مرحلتها الأخرى"[1] والسّياق هو الفيصل في كلّ ذلك.

فكلّ خطاب مهما كان هو وليد إستراتيجية معيّنة معدّة مسبقًا وإنتاجه يمرُّ عبر ثلاث مراحل[2]:

1-التّركيز على السّياق الذي تحدث فيه عمليّة التّواصل بكل أبعاده وحيثيّاته.

2-التّمركز حول الإستراتيجيّة التّخاطبيّة الملائمة بعد تحديد العلاقة بين السّياق والعلامة المستعملة.

3-التّلفظ بالخطاب.

ومن العوامل المساعدة على اختيار الإستراتيجيّة المناسبة:

أ - القصديّة: حيث تُعدّ –فعلًا - من أهمّ العوامل التي تجعل من المخاطِب يحسن اختيار الإستراتيجيّة اختيارًا صحيحًا، لانّ الغاية من قصد المرسِل إفهام المرسَل إليه، وهنا يختار المرسِل الإستراتيجيّة المناسبة لإفهام سامعه، لأنّ هذه الإستراتيجيّة ما هي إلّا وسيلة للإفهام تتجسّد باللّغة لتحقيق المقاصد"[3]، ومن دونها فإنّ العمليّة الخطابيّة تفقد مصداقيّتها، ممّا ينجرّ عنه فشل فيها.

ب – السّلطة: فمن المعروف أنّ السّلطة تستوجب آمرًا ومأمورًا بموجب معناها العامّ الدّال على الأحقيّة في الأمر من دون منازع؛ فالآمر بحكم سلطته له الحقّ في إلقاء الأوامر على المأمور، والمأمور ملزم بالطّاعة وتنفيذ أوامر صاحب السّلطة (الآمر)، والحال ذاته أثناء التّخاطب، لهذا فإنّ "الإستراتيجيّة المختارة في حدّ ذاتها دالة على السّلطة الخطابيّة عند المتكلّم ومقاصده، وسبب اختيارها كذلك"[4]؛ فالمتكلّم هو صاحب السّلطة العليا الذي يُلزم المتلقي بالإصغاء والانتباه أو الرّد على كلامه، الذي يكون قد حدّد مقاصده مسبقًا وفق إستراتيجيّة محكمة. وعليه فإنّ سلطته تلك تجعل منه موجهًا، ومقنعًا وموضّحًا وآمرًا وناهيًا...

النقاد القدامى من كل دلالة سلبية فهو عندهم مظهر من مظاهر الحذق والمهارة وأمارة من أمارات جودة النظر. وما الاحتيال إلا وسيلة لتحصيل المتكلم على مرغوبه. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص62 نقلا عن: شكري المبخوت، جمالية الألفة (النص ومتقبله في التراث النقدي)، بيت الحكمة، قرطاج، ط1، 1993، ص21.

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص63.

[2] المرجع نفسه، ص63.

[3] عيشوش نعيمة، الاستراتيجيات الخطابية في القصة القرآنية- خطابات سيدنا نوح عليه السلام لقومه أنموذجا، مجلة علوم اللغة العربية آدابها، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي/ الجزائر، مج13، ع03، ص236.

[4] المرجع نفسه، ص 236.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الإستراتيجيّة التّخاطبيّة تتعلّق بجانب الأخلاق الحميدة التي يجب أن تنشأ بين منتج الخطاب والطّرف الآخر المتلقي لذلك الخطاب، أي الجانب التّهذيبي في اللّغة، الأمر الذي يجعل من هذا الطّرف" واثقًا بأنّ المرسِل يميل إليه ميلًا طبيعيًّا خاليّا من أيّ دوافع أو أغراض منفعيّة"[1]، وبالتّالي يستطيع المتكلّم إيصال مقاصده بكل سهولة ويسر" فكلّما كان الخطاب حاملًا لصفة الأخلاق الحسنة المميّزة لصاحبه، كلّما كانت الأهداف محقّقة من حيث توصيل المقاصد إلى الآخر"[2]، بعيدًا عن الفروقات والمنافع فيحيلنا هذا الأمر إلى مبدأ التّضامن الفكري والوجداني الذي يرفع التّفاوت بين المتكلّم والمتلقي وهو ما عبّر عنه **طه عبد الرّحمن** بقوله:"ينبني هذا المبدأ على عنصرين اثنين: أحدهما،" نقل القول" الذي يتعلّق بما أسميناه بالجانب التّبليغي من المخاطبة، والثّاني،" تطبيق القول" الذي يتعلّق بما أسميناه بالجانب التّهذيبي منه"[3]، لهذا وجب إيلاء هذا الجانب (الأخلاقي) أهميّة أثناء التّخاطب كي تسهل العمليّة ويسهل بذلك إيصال المقاصد.

2-1-1مبادئ العمليّة التّخاطبيّة:

إنّ الوصول إلى مقاصد المتكلّم ليس بالأمر الهيّن، بل يجب توافر جميع المتطلّبات لنجاح العمليّة التّخاطبيّة أولًا ومن ثمّ بيان القصد منها ثانيًا، وقد اهتم التّداوليون ومن بينهم **غرايس** بهذا الأمر تحت مسمّى المبادئ التّداوليّة التي عُدّت ضرورة من ضروريّات نجاح التّخاطب وبيان المقاصد، كما عدّها **بن ظافر الشهري** الأرضية التي تظهر على سطحها نوع العلاقة بين المخاطِب والمخاطَب.ومن هذه المبادئ:

- **مبدأ التّعاون:**

يقوم هذا المبدأ على التّحاور والتّعاون بين الأطراف المتشاركة في الحدث التّخاطبي أو الحدث الكلامي، مع مراعاة المقام أي السّياق المحيط به، ولقد استطاع **بول غرايس** أن يحدّد الآليّات والقوانين التي تبلور الخطاب وتكافئه تتمثّل في:

أ – **مبدأ الكمّ**: ويعني كميّة المعلومات المطلوبة من دون زيادة أو نقصان[4]، ومن شروط هذا المبدأ[5]:

- أن تكون إفادة المتكلّم للمخاطَب على قدر حاجته.
- ألّا تتجاوز الإفادة حدّها المطلوب.

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص258.

[2] ذهبية حمو الحاج، بين القصدية التداولية والقيود الاجتماعية، ضمن كتاب: الخطاب والأخلاق مقاربات بلاغية وتداولية مقالات علمية محكمة، تنسيق وإشراف: عبد الفتاح شهيد وآخرون، عالم الكتب الحديث، إربد/ الأردن، 2019، ص36.

[3] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص249.

[4] ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، (دط)، 2002م، ص34.

[5] ينظر: مهاباد هاشم إبراهيم، الخطاب اللساني في رسائل الجاحظ مقاربة تداولية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد/ الأردن، ط1، 2020، ص21.

ب- مبدأ الكيف: والمقصود به ملائمة الخطاب لمعياري الصّدق والكذب أي ألّا يورد المخاطِب من العبارات سوى التي وقف على دليل يثبت صدقها، ويتفرّع هو الآخر إلى فرعين اثنين[1]:

- لا تقل ما تعتقد أنّه خاطئ.
- لا تقل ما ليس لك دليل على صدقه وصحّته.

ج- مبدأ المناسبة: وهو يعني أنّ الكلام يجب أن يكون على علاقة بالموضوع أي أنّ لكل مقام مقال.

د – مبدأ الجهة: يرتبط هذا المبدأ بالوضوح والابتعاد عن الغموض أثناء الكلام، ممّا يرتبط بالإيجاز فيه وترتيبه[2].

وبعد ما جاء به **غرايس** يمكن أن نخرج بملاحظتين تتمثّلان في:

الملاحظة الأولى: خاصة بالمبادئ التي ذكرناها (الكمّ، الكيف، المناسبة، الجهة)

الملاحظة الثانية: تتعلّق بنظريّة الاستلزام القائمة على خرق إحدى القواعد السّابقة شريطة الحفاظ على مبدأ التّعاون، لهذا ومن أجل سير العمليّة الخطابيّة سيرًا صحيحًا ناجحًا وجب فيها مراعاة للشّروط الآتية[3]:

- لا بدّ من احترام مبدأ التّعاون بين المتخاطبين واستغلاله.
- علينا أن نفترض أنّ الشّخص المخاطَب على إدراك تامّ للمعنى الصّريح والمعنى المستلزم من الخطاب.
- امتلاك المخاطِب القدرة على الإنتاج والإدراك والتّأويل مع وضع قاعدة لكلّ مقام مقال في حسبانه دائمًا.
- مراعاة السّياق اللّغوي وغير اللّغوي.
- مراعاة المرجعيّة المعرفيّة المشتركة بين المتخاطبين أثناء العمليّة التّداوليّة للكلام.
- مراعاة القصد والهدف من الخطاب.

ومن هنا يمكن القول أنّ مبدأ التّعاون لا بدّ منه لتكتمل العمليّة التّخاطبيّة، ولضمان وصول المقاصد الصّحيحة للمتلقي أثناء الكلام.

- **مبدأ الملائمة:**

أرسى دعائم هذا المبدأ كلٌّ من البريطاني **ديردر ولسن(D.Wilsin)** والفرنسي **دان سبربر (D.Sperber)** بعد أن قاما بتعديل المبادئ والقواعد التي صاغها **غرايس** وجعلوها في مبدأ واحد هو مبدأ الإفادة، الذي يستند على معطيات معرفية وأثرها في إنجاز الفائدة عبر تكوين

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص21.

[2] ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص34.

[3] ينظر: مهاباد هاشم إبراهيم، الخطاب اللساني في رسائل الجاحظ مقاربة تداولية، ص21.

المعلومات وتخزينها في الدّماغ ومعالجتها[1]،"بعد إفادتهما من "النّظرية القالبيّة" المتعلّقة بتخزين المعلومات ورصدها وتفسيرها، ومن نظرية **غرايس** المحادثيّة الحواريّة القائمة على مبدأ التّعاون الكامن في التّواصل الكلامي بين المتخاطبين"[2]، دون أن يهملا السّياق ودوره في تفعيل الخطاب.

ومجمل القول أنّ هذا المبدأ حاول مؤسسوه أن يلخصوا مبدأ التّعاون عند **غرايس** إلّا أنّهم لم يسلموا من النّقد؛ إذ أنّ أبرز عقبة واجهتهم تتمثّل في أنّهم"حاولوا أن يقدّموا نظرية تستوعب جميع الحالات اللّغوية وهذا أمر مستحيل التّحقيق؛ إذ إنّ هناك عوامل نفسيّة واجتماعيّة وثقافيّة تتحكّم في عمليتي إنتاج الكلام أولا وفهمه وتحليله ثانيا، وهذا يرجع إلى الفروق الفردية والشّخصية بين النّاس والفروق الاجتماعية وخصوصيّات الثّقافة عند كلّ مجتمع"[3].

وعلى الرّغم من هذا لا يمكن إغفال العمل الذي قام به كلّ من **سبربر** و **ولسن**، حيث جعلا الحوار يتأسّس على أسس علميّة أثناء عمليّة التّخاطب.

- **مبدأ التأدّب (روبن لاكوف):**

أسّس لهذا المبدأ الباحثة **روبن لاكوف** في مقالتها الشّهيرة "منطق التّأدب"[4]، وهو مبني على فكرة التّأدّب والوضوح أثناء التّخاطب[5]، أي يجب على المتكلّم والمتلقي التزام الأخلاق الفاضلة والابتعاد عن الغموض والتّعقيد من أجل ضمان نجاح العمليّة التّخاطبيّة التي تجري بينهما.

وتندرج تحت هذا المبدأ قواعد سمّتها **لاكوف** " قواعد تهذيب الخطاب" وهي تتمثّل في:

أ ـ قاعدة التّعفف:

ومفادها: لا تفرض نفسك على المتلقي، أي لتبق متحفظا، ولا تتطفّل على شؤون الآخرين[6].

فهذه القاعدة تدعو إلى الابتعاد عن الإلحاح وعن كلّ ما يمكنه عرقلة وإفساد العلاقة بين طرفي الخطاب، وذلك بتجنّب استعمال الصّيغ والأساليب ذات الدّلالات الوجدانية التي تنفّر المخاطَب مع عدم إرغامه على فعل ما يكره، والابتعاد عن الأساليب المباشرة أثناء الطّلب، إضافة إلى احترام خصوصياته وعدم التّدخل في شؤونه[7]، فنقول مثلًا: لو أذنت، ما رأيك في...، هل أستطيع أن أسألك عن....، لو سمحت.

ب ـ قاعدة التّخيير:

وتقوم على: لتجعل المخاطب يتّخذ قراراته بنفسه، ودع خياراته مفتوحة[8].

---

[1] ينظر: آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص72-73.

[2] مهاباد هاشم إبراهيم، الخطاب اللساني في رسائل الجاحظ مقاربة تداولية، ص26.

[3] المرجع نفسه، ص30.

[4] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص97.

[5] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي،240.

[6] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص100.

[7] ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص241. وينظر أيضا: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص100-101.

[8] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص100.

وقد سمّى **طه عبد الرّحمن** قاعدة التّخيير "بقاعدة التّشكّك"[1]، ومفاد ذلك أنّ المتكلّم عليه أن يترك للمتلقي الحرّية في اتّخاذ القرارات، لهذا عليه أن يبتعد عن أساليب التّقرير ويستبدلها بأساليب الاستفهام مثلا كي لا يحرج المتلقي[2].

ج- قاعدة التّودّد:

ومقتضاها: لتظهر الودّ للمتلقي، أي كن له صديقا[3].

المقصود بهذه القاعدة تأدّب المتكلّم مع مخاطبه ونشوء صداقة حميمة بينهما[4]، وتكون هذه العلاقة ناجحة في حالة ما إذا كانت رتبة المتكلّم أعلى أو مساوية لرتبة المتلقي، لهذا وجب على المتكلّم اختيار أساليب تقوّي تلك العلاقة كضمير المخاطب، الاسم، والكنية...[5]

ومن هنا يمكن القول أنّ هذه القاعدة ضروريّة، وذلك من خلال استحضار الجوانب التّهذيبيّة والتّبليغيّة التي لم نجدها عند **غرايس** في مبدأ التّعاون خاصّة قاعدة التّخيير والتودّد.

- **مبدأ وجهًا للوجه(براون- ليفنسون):**

ويُعدّ المبدأ الثّالث من المبادئ التي تنظّم عمليّة التّخاطب، وقد أسّس له كلّ من **براون** و **ليفنسون** ويمكن صياغته كما يأتي:

لتصن وجه غيرك[6].

وهو ينبني على مفهومين أساسيين يتمثّلان في:

- مفهوم الوجه
- مفهوم التهديد

"فالوجه مرتبط بالقيمة الاجتماعية ومجموعة القدرات التي يكون الهدف منها حفاظ المخاطِب على حقّه وحقّ كلّ شخص ومكانته في التّفاعل الاجتماعي التّواصلي فضلًا عن سيطرته على الغضب ومنع نفسه من الاعتداء، فعلى المخاطِب أن يتعامل مع المخاطَب بكل أدب ويتجنّب سوء التّأدب في أقواله وأفعاله حتى يصون نفسه من كل قبيح ويحفظ وجهه من الاعتداء لدرجة يجعله يخجل من نفسه"[7]. وأمّا عن التّهديد فتتعلّق بجانب الاحترام المتبادل بين المتخاطبين، هذا لأنّ ما يهدّد الوجه تهديدًا ذاتيًّا هي الأقوال "التي تعوق بطبيعتها إرادة المستمع أو المتكلّم في دفع الاعتراض(الوجه الدّافع) وجلب الاعتراف أو (الوجه الجالب)[8].

وهذا المبدأ قد يخترقه المخاطِب (إمام المسجد) أثناء إلقاء خطبته المنبريّة الدّينيّة، لأنّه المعلّم والموجّه لسلوك المخاطَب وفقًا لما نصّت عليه الشّريعة الإسلاميَّة (القرآن والسّنة)، لذلك

---

[1] ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص241.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص241.

[3] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص100-101.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص102.

[5] ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص241.

[6] ينظر: المرجع السابق، ص243.

[7] مهاباد هاشم ابراهيم، الخطاب اللساني في رسائل الجاحظ مقاربة تداولية، ص34.

[8] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص243.

نجده قد يتّخذ أسلوب التّرغيب حينًا وأسلوب التّحذير أو التّهديد في أحايين أُخر، وفي ظلّ ذلك يمكن القول أنّ نوع الخطاب هو الذي يحدّد مدى تطبيق هذا المبدأ، وحتى درجة التّطبيق ونسبته بالنسبة للمتكلّم.

- **مبدأ التّأدّب الأقصى(ليتش):**

هذا المبدأ صاغه **ليتش** ويعدّ مكملًا لمبدأ التّعاون الذي صاغه **غرايس** وهو مبني على قاعدتين[1]:

- الأولى سلبيّة: قلّل من الكلام غير المؤدّب.
- والثّانية إيجابيّة: أكثر من الكلام المؤدّب

وفي إتّباع مبدأ التّأدّب الأقصى في العمليّة التّخاطبيّة يستطيع المخاطِب اختيار الأساليب المناسبة، والتي يستطيع من خلالها إيصال مقاصده بكل دقّة إلى الطّرف الآخر، ووضعها في الحسبان منذ البداية، فيسهل عليه التّأثير فيهم ومن ثمّ إقناعهم.

عمومًا يمكن القول أنّ هذه المبادئ لا غنى عليها أثناء العمليّة التّخاطبيّة، والكلام هنا موجّه خاصّة للمتكلّم مبتدئ الخطاب، هذا لأنّه إذا استطاع التّحكم بها وإدراكها تدارك الكثير من العناء الذي من الممكن أن يصعّب عليه أو يعرقل له أداء مهامه وتوصيل مقاصده إلى المخاطِب.

إنّ الخطب المنبريّة الدّينيّة نوع من الخطابات التّوجيهية الوعظيّة التي يحتاج فيها المخاطِب إلى اقناع المخاطَب بالموضوع المتطرّق إليه، لهذا ولضمان التّأثير في هذا المخاطَب واقناعه كان لزامًا على الخطيب أن يكون على دراية بهذه المبادئ وغيرها، بعد أن يحدّد السّياق والظّروف الاجتماعيّة والثّقافيّة والعرفيّة ...السّائدة والمحيطة بالمخاطَب وذلك كي يُعبّد لنفسه سبيل الوصول إلى المتلقي بالطّرق الذّكية الناجعة.

[1] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص109. وينظر أيضا: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص246.

2-1-2 تعريف الخطابة:

لغة: بالرّجوع إلى المعاجم العربيّة نجد أنّ الخطابة مأخوذة من الجذر الثّلاثي لمادة (خ ط ب) و قد جاء في **لسان العرب**"وَالخَطْبُ: الأَمْرُ الّذِي تَقَعُ فِيهِ المُخَاطَبَةُ، وَالشَّأْنُ وَالحَالُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: جَلَّ الخَطْبُ، أَيْ عَظُمَ الشَّأْنُ، (...) وَالخُطْبَةُ مَصْدَرُ الخَطْبِ، وَخَطَبَ الخَاطِبُ عَلَى المِنْبَرِ، وَاِخْتَطَبَ يَخْطُبُ خَطَابَةً، وَاسْمُ الكَلَامِ: الخُطْبَةُ(...) وَرَجُلٌ خَطِيبٌ: حَسَنُ الخُطْبَةِ، وَجَمْعُ الخَطِيبِ خَطَبَاءُ. وَخُطْبٌ بِالضَمِّ، خَطَابَةٌ بِالفَتْحِ: صَارَ خَطِيبًا"[1].

أمّا في **القاموس المحيط** فنجد" الخَطْبُ: الشَّأْنُ وَالأَمْرُ صَغُرَ أَوْ عَظُمَ، ج: خُطُوبٌ(...) وَخَطَبَ الخَاطِبُ عَلَى المِنْبَرِ خَطَابَةً بِالفَتْحِ، وَخُطْبَةً بِالضَمِّ، (...) وَهِيَ الكَلَامُ المَنْثُورُ المَسَجَّعُ وَنَحْوَهُ"[2].

كما عرّف **المعجم الوسيط** الخطابة على أنّها" الكَلَامُ المَنْثُورُ يُخَاطِبُ بِهِ مُتَكَلِّمٌ فَصِيحٌ جَمْعًا مِنَ النَّاسِ لِإِقْنَاعِهِمْ"[3].

من خلال هته التّعاريف اللّغوية يتبيّن لنا أنّ الخطبة كلام منثور مسجوع يُلقيه خطيب (إمام) أمام جمهور من المستمعين قصد لفت انتباههم وإقناعهم بموضوع معيّن تمّ إعداده مسبقًا.

اصطلاحا:عُرّفت الخطابة بتعريفات كثيرة قديمًا وحديثًا، فقد اهتمّ بها الفلاسفة اليونانيون والرّومانيون الأوائل لاتّصالها بالحروب والمناوشات ونظرًا للنّظام السّياسي السّائد آنذاك والمشجّع على انتشار الخطابة وكذا النّظام القضائي[4].

كما استعملها العرب في عصرهم الجاهلي إلى أن وصلت إلى ريادتها في عصر صدر الإسلام، حيث كان ارتباطها بالشّعائر الدّينيّة كخطب الجمعة والعيدين والحجّ واضحًا جليًّا[5].

ومن تعريفات الخطابة اصطلاحًا نذكر ما ورد في **تعريفات الشّريف الجرجاني** إذ يقول:" قياس مركّب من مقدّمات مقبولة أو مظنونة من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب النّاس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم كما يفعله الخطباء والوعّاظ"[6].فالخطابة عنده قائمة على الوعظ والحثّ صادرة من شخص يمتلك مقوّماتها التي تؤهّله لأن يأمر النّاس بالمعروف وينهاهم عن المنكر.

ومن التّعريفات الاصطلاحيّة الأكثر إلمامًا بالخطابة ما ذكره **عبده شلبي** في كتابه **الخطابة وإعداد الخطيب** إذ قدّم تعريفًا لها متضمّنًا لشروط تثبت صحّتها فيقول أنّها" فنُّ مخاطبة

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، (دط)، (دت)، ص1195، (مادة خ ط ب).

[2] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزا أبادي القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، (دط)، (1429ه/2008م)، ص478، مادة (خ ط ب).

[3] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، (1425ه/2004م)، ص243.

[4] ينظر: عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، ط1، (1401ه/1981م)، ص143-161.

[5] ينظر: عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، ط1، (1401ه/1981م)، ص164-179.

[6] علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، (دط)، (دت)، ص87.

الجماهير بطريقة إلقائيّة تشتمل على الإقناع والاستمالة"[1]، فالتّعريف في حدّ ذاته يقوم على شروط متضمنّة فيه وهي:

- أن يتوجّه الخطيب بحديثه لجمهور من النّاس؛ أي جماعة، لأنّ خصائص الخطابة تسقط متى سقط العدد عن الجماعة فالواحد والاثنان يمكن الحديث معهم دون اللّجوء إلى أسلوب خطابي.
- أن يكون الخطيب إلقائيًّا في طريقته بصوت جهوريّ كي يستطيع التّأثير في الجمهور.
- أن يبتعد الخطيب عن إبداء رأيه وذلك بالإكثار من الحجج والأدلة والبراهين التي من خلالها يثبت صحّة فكرته.
- أن تتوافر الخطبة على عنصر الاستمالة الذي لا تقوم أيّة خطبة من دونه[2].

واجتماع هذه الشّروط الأربعة في الخطب المنبريّة الدّينيّة هو جوهرها ؛إذ أنّ غياب أي عنصر منها يفقد الخطبة طابعها الحقيقي وتغدو أشبه ما تكون بالكلام العادي الذي لا يقوم على عمليّة تواصليّة إقناعيّة حجاجيّة.

رديفًا لذلك يمكن أن نعرّف الخطابة في النّظرية الحجاجيّة على أنّها"خطاب مُنشأ لقصد محدّد، مبني من وسائل لغويّة وغير لغويّة، موجّه من متكلّم إلى سامع، ومتّبع فيه إستراتيجيّة حجاجيّة معيّنة"[3]، فالحجاج مهمٌّ جدًّا في الخطب المنبريّة الدّينيّة ،بحيث يمكننا القول أنّ نجاح الخطيب في إيصال مقاصده لجمهوره متوقّف على مدى توفيقه في اختيار حججه وبراهينه إضافة إلى الآليّات المتّبعة في ذلك.

لهذا نقول أنّ الخطابة عمليّة تواصليّة إقناعيّة تتمّ وفقا لمجموعة من الحجج و البراهين التي يضمّنها المرسل(إمام المسجد) مثلًا رسالته (الخطبة الدّينيّة) كي يُؤثّر(يقنع) المرسَل إليه (الجمهور) بدافع الحرص فيسعى حينئذ إلى توجيهه لفعل أمر أو تركه.

أمّا موضوعات الخطبة وأنواعها عموما فكثيرة ومتنوّعة عرضها **فاروق سعد** في كتابه **فن الإلقاء العربي** منها: الخطبة الدّينيّة، السّياسيّة، القضائيّة، الأكاديميّة، العسكرّية، وخطب المناسبات[4]، ولكنّ ما يهمّنا في هذا المقام هو الخطب الدّينيّة موضوع الدّراسة، والمقصود بها كلّ خطبة تلقى فوق المنبر يكون موضوعها دينيًّا محضًا، يُلقيها الخطيب في مكان مخصّص للعبادة كالمساجد أيّام الجمعة أو العيدين أو في مواسم الحجّ.

---

[1] عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص13.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص13-14.

[3] شيماء بنت خالد الرفاعي، الوسائل الحجاجية في الخطب المنبرية (خطبة الشيخ الدكتور صالح بن محمد أنموذجا)، مجلة AJSP، ع7، 2019/5/2، ص04.

[4] ينظر: فاروق سعد، فن الإلقاء العربي(الخطابي والقضائي والتمثيلي)، شركة الحلبي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/لبنان، ط2، 1999، ص55-58.

3-1-2 أجزاء الخطبة وترتيب القول فيها:

وتُسمّى أيضًا أركانها، فالخطبة مهما كان نوعها لا تقوم من دون أجزاء يشدُّ بعضها بعضا لتشكيلها خطبة متكاملة، حيث تُوسم بالنّقص بغياب أحد تلك الأجزاء أو الأركان خاصّة لمّا تكون الخطبة طويلة وتعالج قضيّة مهمّة، أو تحدّد مصير شعب من الشّعوب...

اختلف تقسيم الخطبة بين القدامى والمحدثين من حيث التّفصيل في تلك الأقسام أو إيجازها؛ فهذا **أرسطو** يقسّمها إلى: مقدّمة الخطبة، عرض الموضوع، ثمّ التّدليل عليه ودفع ما قد يرد عليه من اعتراضات ثمّ ختام الخطبة (النّتيجة المراد الوصول إليها)[1]، "والتّرتيب عنده وظيفي، لأنّه يتعلّق بالغرض المستهدف والوسائل المرصودة له"[2]،حيث رأى في كتابه **الخطابة** أنّ الخطابة تتضمّن جزأين: الموضوع الذي نبحث فيه، يليه البرهنة عليه، وأولى العمليّات تتمثّل في العرض والثّانية تتمثّل في الدّليل، أما الاستهلال والخاتمة، لا نجدها في كلّ أنواع الخطابة، لذلك فالضّروري هو القضيّة والدّليل، وأقصي ما يمكن أن يسمح به في الخطبة، الاستهلال والعرض والدّليل والخاتمة[3].

أمّا من جاء بعد **أرسطو** فقد انطلقوا من تقسيمه الرّباعي ليضيفوا عليه تفصيلات وتحليلات أدقّ فكانت الأقسام كالآتي: المقدّمة- العرض- التّدليل- التّفنيد- النّتيجة. إلّا أنّ هذه التّقسيمات في مجملها أوجزها المحدثون في ثلاثة فقط تتمثّل في: المقدّمة- العرض- النّتيجة، وضمّنوا التّدليل والتّفنيد ضمن عنصر العرض دون فصل بينها[4]. وهو المتّفق عليه في جلّ الخطب حاليًا بما فيها الخطب المنبريّة الدّينيّة، هذا العمل الفنّي الذي يسعى الخطيب لتقديمه على أكمل وجه، لهذا فهو يفتتحه بمقدّمة ويختمه بخاتمة :

- المقدّمة (مدخل الخطبة):بدايتها،غالبا ما يقوم الخطيب عند افتتاحه لخطبته المنبريّة الدّينية بتقديم تمهيد شامل عن الموضوع الذي يُريد الحديث فيه، ويكون ذلك– طبعًا - بعد التّحية والسّلام والحمد والثّناء على الله تعالى مع الصّلاة والسّلام على سيّد الخلق محمد صلّى الله عليه وسلّم، محاولًا في ذلك لفت انتباه السّائلين ومن ثمّ استمالتهم بغرض إقناعهم والتّأثير فيهم وبالتّالي يضمن إذعانهم وخضوعهم ،"فهي تشكّل لحظة الاستهواء والاستمالة"[5].ويمكننا إجمال شروطها في:

1-أن تكون المقدّمة مفعمة بالتّشويق لشدّ الانتباه والاستمالة.

2-الجودة ووضوح الألفاظ وجلاء الأفكار والابتعاد عن الغموض الذي ينفّر السّامعين.

3-التّرابط الوثيق بين المقدّمة وموضوع الخطبة.

---

[1] ينظر: عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص44.

[2] محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجا، إفريقيا الشرق المغرب، افريقيا الشرق بيروت، لبنان، ط2، 2002، ص137.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص138- 139.

[4] ينظر: عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص44.

[5] محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجا، ص139.

4-ألّا تكون مسهبة الطّول ولا موجزة جدًّا.

- **العرض (صلب الموضوع):** وهو الجزء الأهمّ في الخطبة؛ إذ يتطرّق فيه الخطيب إلى طرح فكرته وموضوعه الذي من أجله قامت الخطبة، فيسعى جاهدًا إلى تناول الموضوع المشار إليه من جوانبه المتعدّدة شرحًا وتفصيلًا بيانًا وتوضيحًا...مستدلاً عليه بآيات من الذّكر الحكيم أو من السنّة النّبوية أو من العُرف العامّ...لأجل حَثّ على أمر أو تركه؛ بيان الإيجابيّات أو السّلبيّات، أمر بالمعروف أو نهي عن المنكر وغيرها. لهذا فإنّه لا غرابة إن وجدنا أنّ هذا الجزء يكاد يكون كلّ الخطبة أهميّة وحجمًا، فمن دونه لا يستقيم حالها.

أمّا جودته فمتوقفة على عدّة أمور:

1-وحدة الموضوع: فالمواضيع المتعدّدة تشتّت انتباه السّامع فتبعثه على الملل والسأم وبالتّالي يصل الموضوع الأساسي والفكرة الجوهريّة باهتة إلى ذهن السّامع.

2-أن يحرص الخطيب على ترتيب الأفكار وتسلسلها والبدء بالفكرة البسيطة ثمّ التّدرج شيئا فشيئا إلى أن يصل إلى الموضوع الذي يريده في تسلسل يكاد يدبّ إلى ذهن وقلب السّامع فلا يشعر به.

3-اختيار الأدلة والبراهين (المؤيّدة والمعارضة) المناسبة لموضوع الخطبة دون إهمال للجانب العاطفي الوجداني قصد التّأثير في الجمهور المتلقي.

4-الابتعاد عن الاستطراد والتّشخيص وتقديم الأدلة والحجج، والتي تنقسم إلى أدلة منطقية كالقياس، وأدلة خطابية مبنيّة على مقدّمات ظنيّة، أو مشهورة[1]

- **الخاتمة (نهاية الخطبة):** هي " آخر ما يبقى في ذهن السّامع، ولها مستويين، مستوى الأشياء أي مستوى الإعادة والتّلخيص ومستوى العواطف"[2]. ثمّ ينهيها غالبًا بالدّعاء و الصّلاة والسّلام على سيّد الخلق محمد.

إنّ هذه الأجزاء الثّلاثة هي أعمدة الخطبة المنبريّة الدّينيّة، فلا يمكنها أن تقوم من دونها، وأيّ خلل يكون في متنها سيؤثّر سلبًا على الخطبة ممّا يؤدّي إلى خلل في تلقيها ومنه إلى إدراك مقاصدها. لهذا فإنّه ما من خطيب يمكنه أن يُهمل هذا الجانب.

2-2 مقصدية المرسِل في الخطب المنبريّة الدّينيّة :

كلّ عملية تواصليّة لا يمكنها أن تقوم دون عنصر له دوره الفعّال فيها، فمن خلاله تبدأ هذه العمليّة، ومن خلال كلامه وتلفّظه يُكتب للعمليّة التّواصليّة النّجاح أم الفشل، ومن خلاله أيضًا نستطيع ويستطيع المتلقي أخذ انطباع أولي عن الموضوع الذي ستدور حوله هذه العمليّة التّواصليّة وبالتّالي يمكن إدراك المقاصد منها بعد ذلك.

إنّه مرسل الّرسالة، الباعث والباثّ لها، إنّه المخاطَب أو بالأحرى المتكلّم الذي يُعدّ بحقّ مصدر الرّسالة ومنبعها الأوّل، وبتعبير أدقّ هو من بإمكانه امتلاك آليات تسنين الرّسالة

[1] أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (دط)، سبتمبر2003، ص126.

[2] محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجا، ص139.

والجهاز المرسِل نفسه، ويمكننا القول إنّه هو في حدّ ذاته مكوّن السّنن وبالتّالي هو من يختار داخل الّسنن عددًا معيّنًا من الإشارات التي من شأنها أن تسمح بنقل الرّسالة[1].

لهذا فإن المرسِل يعتبر مصدرًا لتحقّق الرّسالة " فهو العقل الإنساني للّغة المنطوقة والمكتوبة، والكلام الإنساني بالنّسبة للتلفون أو الإذاعة "[2].

إنّ المرسِل من خلال المكانة التي يحتلّها عليه أن يُلمّ بكلّ حيثيات العمليّة التّواصليّة حتى يستطيع أداء مهامه على أكمل وجه، ونحسب أنّ المرسلين الذين تمّ اختيار خطبهم قد وضعوا ذلك في حسبانهم، وأوّل تلك المهام ما تعلّق منها بـــــ :

***المرسِل في حدّ ذاته:** فبما أنّه مبتدئ العمليّة التّواصليّة كان لزامًا عليه التّحلي" بمجموعة من المعارف التي تساعده على إيراد الأقوال في مقاماتها المناسبة، وكذا الاستشهاد بها عند الحاجة"[3]، لأنّ المتكلم إذا أراد اكتساب ثقة النّاس عليه بتعبئة مخزونه الثّقافي واستخدامه في الوقت المناسب؛ أي في مقامه، ويمكن الإشارة هنا إلى بعض النّقاط التي لا يمكن للمتكلّم أن يتغافل عنها أثناء عمليّة التّلفّظ نجملها فيما يأتي:

-التّبحر في دراسة اللّغة العربيّة والتّركيز على قواعد النّحو فيها.

- توسيع مكتسباته وذلك بالاستزادة من المحفوظات باختلاف مصادرها كالقرآن الكريم والحديث الشّريف وكذا الشّعر والأمثال والحكم...

- الاستفادة من مختلف العلوم كعلم النّفس مثلا ودراسة الجوانب السّلوكية بغرض فهم نفسية المتلقي.

- التّحلي بالجرأة والشّجاعة والثّقة بالنّفس.

- استقامته التّامة وحسن سيرته.

- الاهتمام بالمظهر والهندام الحسن والمقبول[4].

وإذا أراد المتكلّم أن يكون بليغًا فعليه أن يكون قادرًا "على التّعبير عن مقصوده بكلام بليغ وارد في مقامه المناسب، أي هو الذي يستطيع اختيار ألفاظه بناء على المقام التّخاطبي الذي سترد فيه، كما أنّه هو المتكلّم الذي يسعفه مخزونه الثّقافي على تأليف الكلام البليغ وتسعفه أعضاء نطقه وفطنته في الإنتاج الجيّد لهذا الكلام، أو ما اصطلح عليه البلاغيّون بتطبيق الكلام / التّلفّظ به. فمتى تحقّقت فيه هذه الصّفات إلّا وأعلت من شأن قوله وأكسبته احترام النّاس وتقديرهم ممّا يغنيه عن الوقوع في الزّلات والخوض في الكلام بغير لجام يحكمه"[5]،

---

[1] ينظر: بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، ط1، 2012م ص101.

[2] عبد القادر الغزالي، اللسانيات ونظرية التواصل رومان جاكبسون نموذجا، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2003، سورية / اللاذقية، ص25-26.

[3] علي بوراس، دور الأساليب البلاغية في تخليق الخطاب، ضمن كتاب: الخطاب والأخلاق مقاربات بلاغية وتداولية مقالات علمية محكمة، تنسيق وإشراف: عبد الفتاح شهيد وآخرون، عالم الكتب الحديث، إربد/ الأردن، 2019، ص10.

[4] ينظر: عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص35- 36- 37- 38.

[5] علي بوراس، دور الأساليب البلاغية في تخليق الخطاب، ص10.

لهذا فإنّ السّلامة من العيوب النّطقيّة وكذا الموضوعيّة يضمن نجاح العمليّة التّخاطبية، ويصير المتكلّم من خلالها قادرًا على التّأثير والإقناع.

***المرسَل إليه:** فالأولى بالمرسِل مراعاته من نواح عدّة نذكر منها:

- الوسط الثّقافي والبيئة الاجتماعيّة والدّينيّة التي ينتمي إليها.
- مخاطبته بلغة سلسة مفهومة لدى الجميع باختلاف فئاتهم العمريّة ومستوياتهم التّعليميّة.
- مراعاة حالته النّفسية والسّلوكيّة وردود أفعاله المتوقّعة وغير المتوقّعة.

* **الرّسالـــــــــة**: حيث يسعى المرسِل إلى أن تكون:

-واضحة، في مستوى من يوجّهها إليهم.

- الحرص على إعدادها إعدادًا محكمًا، مضمنًا إيّاها حججًا وبراهين مناسبة لمقامها ومقام متلقيها.

- كلّما كانت الرّسالة أكثر استيعابًا من طرف المرسَل إليه نقول أنّ المرسِل استطاع أن يوصل مقاصده إليه وبالتّالي التّأثير فيه وإقناعه.

هذا وقد أشار**الجاحظ** إلى النّية السّليمة للمتكلّم كشرط للتّأثير في السّامع وإحداث فعل التّواصل وأضاف إليها التّقوى والإيمان والتّوفيق من الله عزّ وجلّ[1].

أمّا **عبد القاهر الجرجاني** فقد اشترط أن يمتلك المتكلّم كفاءة تؤهّله لإيصال مقاصده إذ يقول أنّ عليه "أن يدقّق النّظر ويُغمض المسلك في توخّي المعاني التي عرفت، وأن تتّحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ويشتدّ ارتباط ثان منها بأوّل وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النّفس وضعًا واحدًا، وأن يكون حالك فيها حال الباني الذي يضع بيمينه ههنا في حال ما يضعه بيساره هناك، نعم وفي حال ما يُبصر مكان ثالث ورابع يضعها بعد الأوليين"[2].

لهذا فإنّ عمليّة التّواصل هي عمليّة منوطة بالاشتراك بين مجموعة من الشّروط أو العناصر لتثبت نجاحها وفقًا لما تُمليه الظّروف المصاحبة لإنتاج ذلك الخطاب (الرّسالة) إضافة إلى الزّمان والمكان وكلّ المعتقدات والأيديولوجيّات والظّروف الاجتماعيّة... التي ستدخل بطريقة مباشرة أم غير مباشرة عن قصد أو من دونه.

ذلك أنّ التّخاطب كعمليّة مكتملة هي حدث منظّم يُرجى من ورائه تحقيق أهداف ومقاصد وكلّ ذلك عن طريق اللّغة سواء الطبيعيّة منها أو السّيميائيّة العلاماتيّة التي يتمّ توظيفها أثناء عمليّة التّواصل وأثناء الاستعمال الفعلي لتلك اللّغة، لهذا فإنّه وأثناء الوقوف على نجاح تلك العمليّة الأولى التّركيز على مدى امتلاك المرسِل والمرسَل إليه إلى القواعد العامّة الخاصّة

[1]ينظر: ميلود رحمون، التواصل عند الجاحظ، مجلة فصل الخطاب، مخبر الخطاب الحجاجي، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، مج8، ع2، ص152.

[2]عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، (دط) ، (دت)، ص93.

باللّغة من حيث كفاءة كلّ منهما في امتلاك ناصية اللّغة بمختلف مستوياتها، وتأويل المقاصد أثناء الاستعمال.

ولو أسقطنا ذلك على" المدونة " لأمكننا القول أنّ الخطب المنبريّة الدّينيّة هي رسالة تواصليّة بين الخطيب (الإمام) إلى الجمهور(السّامعين)، تتمّ هذه العمليّة وفقًا لسياق معين يحدّد نجاعتها – منذ البداية – ولكن ذلك يكون مرتبطًا بـــــ:

*توظيف اللّغة الطّبيعية المفهومة لدى السّامع ومصحوبة بلغة علاماتيّة متعلّقة بتفاعل الخطيب مع موضوع الرّسالة ويكون غالبًا بالاستعانة بالحواسّ والجوارح وغيرها...

*زمان ومكان الإلقاء له دور كبير في فهم المقاصد.

*الظّروف السّائدة أو المحيطة والتي من شأنها أن تساعد الخطيب في التّأثير على المخاطبين.

*الظّروف الاجتماعية التي تُلقى فيها الخطبة وكلّ المعتقدات والأيديولوجيّات المُسيّجَة للخطبة.

والأهمّ من ذلك كلّه الكفاءات والملكات التي يتمتّع بها الخطيب، فهي جزء مهمّ في إيصال المقاصد للمتلقي فبقدر امتلاك الخطيب لتلك الكفاءات بقدر قدرته إيصال المقاصد الصّحيحة والدّقيقة والعكس صحيح.

ويقوم مفهوم الكفاءة " على اعتماد التّداوليّة لاستعمال اللّغة في السّياق أو هي حصيلة إسقاط محور الفعل على محور السّياق، وبناءً على ذلك تتحدّد كفاءة ومميّزات المتكلّمين"[1], وهي تكمن في قدرة الخطيب واستطاعته إيصال أفكاره ورسائله إلى المخاطَب اعتمادًا على ملكاته المميّزة لشخصه والموجودة عنده دون غيره ، وحتى إن وجدت فبنِسب متفاوتة، ومنها:

2-2-1 الملكات اللّغوية أو الكفاءات اللّغوية: فلمّا نذكر هذه الكفاءة نقصد بها اللّغة الطّبيعية واللّغة غير الطّبيعية (العلاماتيّة) وهي بنوعيها متوقّفة على مستعمليها؛ فمن المعلوم أنّ عمليّة التّواصل بعناصرها يُشترط فيها الانتماء إلى المجتمع اللّغوي ذاته لتعمّ المعرفة ويسهُل تلقّيها حتى إن كانت غير اللّغوية.

ولهـــذا فقـــد عُدّت الكفاءة اللّغوية ملكـــة متعلّقة بعلم النّحو أثنـــاء التّـــواصل ويمكن مـــن خلالها " لمستعمل اللّغة الطّبيعية أن ينتج ويؤوّل إنتاجا وتأويلا صحيحين عبارات لغوية ذات بنيات متنوّعة جدًّا في عدد كبير من المواقف التّواصلية المختلفة"[2] اعتمادا على ما يمتلكه من معلومات قبليّة من حيث تراكيب الجمل ونحوها وصرفها وأسلوبها بمستوياتها المختلفة، وقد عبر **الجاحظ** قديمًا عن ذلك حين قال: " ...وأنّ البيان يحتاج إلى تميّز وسياسة، وإلى ترتيب ورياضة، وإلى تمام الآلة وإحكام الصّنعة، وإلى سهولة المخرج وجهارة النّطق، وتكمين

[1] علجية آيت بوجمعة، التداولية: دراسة في المجالات والفروع ، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري تيزي وزو/ الجزائر، مج3، ع37، سبتمبر 2016م، ص165.

[2] نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2013م-1434ه، ص235.

الحروف وإقامة الوزن، (...) وأن ذلك من أكثر ما تُستمال به القلوب، وتُثنى به الأعناق، وتُزيّن به المعاني"[1]، فحريّ بممتلك هذه الملكة الاهتمام بالجانب التّبليغي المتمثّل في" السّلامة من عيوب النّطق من حيث الأداء، مع الاختصار، والإيجاز من حيث كمّ الخبر والخطاب، والأخذ بمقتضى الحال من حيث الملائمة السّياقيّة للقول"[2].

وبعد الاطّلاع على الخطب المنبريّة المختارة تبيّن أنّ مُنشئي تلك الخطب يمتلكون كفاءة لغوية معتبرة تؤهّلهم للقيام بتلك المهمّة.

وتجدر الإشارة إلى أنّ اللّغة وحدها غير كافية لإيصال المعنى والمقصد إن لم يُحسن استعمالها وأنّ الكفاءة اللّغوية فحسب لن تحقّق مراد منشئي الخطاب ما لم تُطبّق استعمالا. لهذا فإنّه لا بدّ للمتكلّم من التّلفّظ والتكلّم حتى تظهر ملكاته اللّغوية وغيرها ظهورًا حقيقيًّا وبالتّالي تثبت تلك الكفاءة لمستعمل اللّغة وتسمّى حينها بالكفاءة التّداوليّة.

2-2-2 الكفاءة التّداوليّة: هي الشّاملة لجميع الكفاءات بما فيها اللّغوية؛ إذ أنّها مركّبة ومتعدّدة من عدّة كفاءات مجتمعة. أطلق عليها **فان ديك** بالقدرة التّواصليّة وجعلها في خمس ملكات خاصّة بمستعمل اللّغة الطّبيعيّة وهي: الملكة اللّغويّة، المنطقيّة، المعرفيّة، الإدراكيّة والملكة الاجتماعيّة،ثمّ جعل تلك الملكات تختصّ بقالب ينتمي إليها يتمثّل في : القالب اللّغوي، المعرفي، الاجتماعي، المنطقي والقالب الإدراكي إضافة إلى القالب الشّعري[3].

وبالتّالي فإنّ الخطيب الذي نصبو إليه هو من كان حظّه وافرًا في التّحكم بملكاته اللّغويّة والتّداوليّة، "فهو يستطيع اختيار ألفاظه بناء على المقام التّخاطبي الذي سترد فيه، كما أنّه هو المتكلّم الذي يسعفه مخزونه الثّقافي على تأليف الكلام البليغ وتسعفه أعضاء نطقه وفطنته في الإنتاج الجيّد لهذا الكلام(...) فمتى تحقّقت فيه هذه الصّفات إلا وأعلت من شأن قوله وأكسبته احترام النّاس وتقديرهم ممّا يغنيه عن الوقوع في الزّلات والخوض في الكلام بغير لجام يحكمه"[4].

ومن غير المعقول الوصول إلى مقاصد المتكلّم ما لم يُدرك المتلقّي تلك الملكات أو حتى جزء منها، ولكي تتجلّى للمخاطب مدى استيعابها فإنّه يحاول التّأكّد من ذلك باستفزازه للمتلقي بمجموعة من الأسئلة التّداوليّة.

لقد كان مسعى الخطيب على مرّ الأزمان والعصور أثناء خطبه المنبريّة الدّينيّة وصول مقاصده إلى الجمهور الذي يخاطبه، ولمعرفة مدى استيعاب ذلك الجمهور المتلقي لكلامه نجده يحرص على توظيف أساليب لغويّة تداوليّة تُثبت له قرب المتلقي منه إصغائه لكلامه

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م، ج1، ص14.

[2] علي بوراس، دور الأساليب البلاغية في تخليق الخطاب، ضمن: الخطاب والأخلاق مقاربة بلاغية وتداولية مقالات علمية محكمة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2019، ص11.

[3] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص57-58.

[4] علي بوراس، دور الأساليب البلاغية في تخليق الخطاب، ضمن: الخطاب والأخلاق مقاربة بلاغية وتداولية مقالات علمية محكمة، ص10.

كالاستفهام والتّعجب والنّداء وكذا التّكرار وغيرها من التّقنيات التي تُثبت الكفاءة التّداوليّة للخطيب، والتي نأتي على الوقوف عندها بالتّفصيل في الفصل الأخير من الدّراسة .

3السّياق وعناصر المقام في الخطب المنبريّة الدّينيّة:

لطالما كانت العمليّة التّواصليّة تؤدى في بيئة داخليّة أو خارجيّة يحدّد من خلالها نوع الخطاب المستعمل من طرف المرسِل وذلك بمراعاته لمقتضى الحال؛ فلكلّ مقام مقال، وهو ما نادت به البلاغة العربيّة القديمة ومن ثمّ إلى الدّراسات اللّغوية والنّقديّة وكذا الدّراسات التّداوليّة؛ إذ عُدّ السّياق أحد العوامل الأساسيّة لإيصال المعنى الحقيقي ولإيصال المقاصد من لدن المتكلّم إلى المخاطَب؛ فلا جدوى من فهم معاني كلماته ولا وصول إلى مقاصدها إن لم يكن في إطاره المحدّد.

فالخطاب مهما كان نوعه بالإضافة إلى اللّغة لا بدّ وأن يكون محاطًا بمؤثّرات زمانيّة ومكانيّة وفق خلفيّات ومرجعيّات وأيديولوجيّات مختلفة تساعد في إنشائه وتساعد المتلقي على فهم مقاصده كما أشرنا سابقًا.

حقيقةً إنّ الحديث عن السّياق وعناصر المقام يجرّنا للتّفريق بين مصطلحين مختلفين من حيث البناء ومتقاربين من حيث الدّلالة وهما: المقام والسّياق.

فالمقام ارتبط ظهوره بالبلاغة القديمة؛ إذ أولاه علماء البلاغة عناية فائقة واعتبروه عنصرا مهمّا في تحقيق غاية التّواصل البلاغي فلا يمكن" فهم المعنى الدّلالي بمجرد النّظر إلى معنى المقال دون اعتبار المقام، وهل يمكن فقط أن نفهم المقصود من عبارة: زيارة الأصدقاء تُسعد النّفس، إنّنا لا نعرف من هذه العبارة ما إذا كان الأصدقاء زائرين أم مزورين"[1]،لهذا فإنّ الإحاطة بالمقام تساعد في فهم المقصود. وقد قال **السّكاكي**(ت626ه):" لا يخفى عليك أنّ مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يباين مقام الشّكاية، ومقام التّهنئة يباين مقام التّعزية، ومقام المدح يباين مقام الذّم، ومقام التّرغيب يباين مقام التّرهيب، ومقام الجدّ في جميع ذلك يباين مقام الهزل وكذلك مقام الكلام ابتداءً يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار ومقام البناء على السّؤال يغاير مقام البناء على الإنكار وجميع ذلك معلوم لكلّ لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذّكي يغاير مقام الكلام مع الغبيّ ولكلّ من ذلك مقتضى غير مقتضي الآخر"[2]،لأنّ المقامات تختلف فتختلف وفقها المقالات، وكلّما كان منتج الخطاب مراعيًا لتلك المقامات كان خطابه أقوى من حيث الإقناع والنّفاذ إلى ذهن وقلب المتلقي وبالتّالي إدراك المقاصد.

[1]تمّام حسّان، الأصول: دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، دط، 1982، ص339.

[2]نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي، ص224.

أمّا السّياق فمفهومه مرتبط بالدّراسات النقديّة واللّغوية الحديثة أو بالأحرى اعتبرها المحدثون مرادفة للمقام في كثير من أبحاثهم "رغم أنّ بعضهم يجعل مصطلح السّياق متعلقًا بالبناء اللّغوي والمقام خاصًّا بالمؤثّرات الواقعيّة خارج الخطاب على أنّ كثيرًا منهم لا يميّزون بينهما"[1].

ونجد السياق البرغماتي عند **فان ديك** "يتألّف من جمع العوامل النّفسيّة والاجتماعيّة التي تحدّد منهجيا ملائمة الأفعال الكلاميّة، ومن هذه العوامل المعرفة التي يملكها مستعملو اللّغة، ورغباتهم أو إرادتهم والأشياء المفضّلة لهم وآراءهم، وكذلك علاقاتهم الاجتماعيّة"[2]، فلا يمكن لأيّ خطاب أن يُفهم من دون فهم تلك العلاقة التي تربط بين منتج الكلام ومستقبله وجميع الظّروف المحيطة بهما مهما كانت، فالسّياق" ليس إطارا ولا قالبا وإنّما هو جملة الموقف المتحرّك الاجتماعي الذي يعتبر المتكلّم جزءا منه، كما يعتبر السّامع والكلام نفسه وغير ذلك ممّا له اتصال بالمتكلّم"[3]، وبالتّالي فهو نوعان: مقام خاصّ بالمرسِل ومقام خاص بالمتلقي[4].

إذن فالسّياق(المقام)هو الإطار العامّ للقول ومن دونه تفقد العمليّة التّواصليّة قيمتها؛ فاللّغة وحدها غير كافية لكشف المقصود بل حتى السّمات غير اللّغوية كطريقة الكلام ونبرة الصّوت ورنّته، الحركات، السّكنات، الوقفات إضافة إلى المظهر والهيئة ...كلّها صارت مساندة ومساعدة للقبض على المعنى.

ولقد كان لزامًا علينا الوقوف على بعض من حيثيّات المقام أو السّياق وذلك من خلال عرض – ولو موجز – لحياة الخطباء الذين تمّ اختيار خطبهم للدّراسة، فبإجلاءٍ لبعض جوانب حياتهم كنسبهم وظروف نشأتهم... من شأنها أن تضيء لنا بعضًا من الأمور المساعدة على الإمساك بالمقاصد.

- **الخطيب سعود بن إبراهيم الشّريم:**

هو سعود بن إبراهيم بن محمد آل الشّريم ينتمي إلى الحراقيص من بني زيد من قضاعة قحطان، يعود أصله إلى مدينة الشّقراء، ولد في الرّياض سنة 1386ه ودرس في مدارسها حيث كانت مدرسته الابتدائية هي مدرسة عرين، في حين كانت مدرسته المتوّسطة هي المدرسة النّموذجية، أمّا المرحلة الثّانوية فقد درسها في اليرموك الشّاملة.

بعد أن أنهى الإمام سعود الشريم دراسته الثّانوية عام1404ه بدأ بدراسته الجامعيّة في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلّية أصول الدّين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة

---

[1] موهوب أحمد، المقام أو السياق بين المفهوم العربي والغربي ودوره في فهم مقاصد الخطاب القرآني، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة العلوم الإسلامية، الأمير عبد القادر قسنطينة الجزائر، مج11، ع22، ص199.

[2] علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، (2000م- 1421ه)، ص82-83.

[3] تمّام حسّان، الأصول: دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، ص339.

[4] ينظر: لبوخ بوجملين، شيباني الطيب، العناصر التداولية في العملية التعليمية، مجلة الأثر، ع10، جامعة قاصدي مرباح- ورقلة، الجزائر،2011، ص71.

الموجودة في الرّياض وتخرّج منها عام1409ه، ثمّ أخذ درجة الماجيستير من المعهد العالي للقضاء في عام 1413ه وبعدها بدأ بتحضير رسالة الدّكتوراه بعنوان" المسالك في المسالك" وحصل على الدّرجة بامتياز[1].

تعلّم الإمام سعود الشّريم عبر مراحل حياتهم المختلفة على يد الكثير من العلماء والشيوخ الأجلاء البارزين مثل الشّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في الدّروس التي كان يعطيها في الجامع الكبير في الرّياض، كما تعلّم الفقه من الشّيخ عبد الله بن عبد الرّحمن بن جبرين، كما كان يحافظ على حفظه للقرآن الكريم من خلال المراجعة والتّلاوة حتى يُقال أنّه حفظ سورة النّساء أثناء انتظاره على إشارة المرور.

عُرف الخطيب بطابعه المميّز أثناء تقديمه للدّروس على طلبته؛ فهو حسن المعاملة ومثقّف بدرجة كبيرة، يعطي من قلبه وبكلّ حبٍّ دون أن يضنّ على أحد، امتاز بشخصيّته القويّة المتواضعة وهو ما خوله تقلّد مناصب مهمّة مختلفة على مدار حياته؛ إذ عُيّن بالمعهد العالي للقضاء، ثمّ إمامًا وخطيبًا في المسجد الحرام عام 1412ه، ثمّ قاضٍ في المحكمة الكبرى بمكّة المكرّمة. له الكثير من المؤلّفات منها" كرامات الأنبياء" و" المنهاج للمعتمر والحاجّ"، و" أصول الفقه"[2].

- **الخطيب أحمد بن علي سعود:**

"هو أحمد سعود بن علي، المولود في أكتوبر 1969م ببلدية **الطّريفاوي** ولاية الوادي، عاش يتيم الأم حيث توفّيت أمّه عقب ولادته فربّته جدّته وزوجة والده، ترعرع في أسرة فقيرة معدمة وزاول مراحل دراسته من سنة 1987م إلى أن نالشهادة البكالوريا سنة 1991م. حفظ القرآن الكريم في صائفتين من 1986م إلى 1987م، التحق بالمعهد الإسلامي لتكوين الأئمة **بالتلاغمة** ولاية ميلة بالجزائر ودرس فيه سنة واحدة، ونظرًا لتفوّقه منح التّخرج مع الذين أنهوا دراسة سنتين.

تمّ تعيينه بمسجد الأمير عبد القادر بـــ **الشّعانبة** الرّباح منذ شهر ماي 1992م، ليثبت فيه إمامًا إلى سنة 2018م، ثمّ انتقل إلى مسجد الإمام علي بحي الزّاوية الرّباح إلى يومنا هذا.

واصل دراسته الجامعيّة إلى أن تحصّل على شهادة الماستر في الفقه وأصوله بجامعة حمّة لخضر سنة 2014م، وهو الآن بصدد مواصلة دراسته لنيل شهادة **الدّكتوراه** بجامعة **الزّيتونة** بتونس تخصّص الفقه وأصوله.

---

[1]ينظر: سناء الدويكات، أين ولد الشيخ سعود الشريم، https://mawdoo3.com، تاريخ النشر: 15 نوفمبر2015، تاريخ الزيارة: 02 ديسمبر2021، على الساعة:12:04. وينظر أيضا:سعود الشريم،https://www.marefa.org، تاريخ الزيارة:28 أكتوبر 2021، على الساعة:21:00.

[2]ينظر: المرجع السابق.

هو عضو بالمجلس العلميّ للإفتاء، ومؤطّر لحصّة يستفتونك بإذاعة الوادي، له عدّة بصمات دعويّة ومجالس علميّة تثبت انشغاله بالعلم والتّعليم والدّعوة الإسلاميّة"[1].

- **الخطيب محمد راتب النّابلسي:**

الشّيخ محمد راتب النّابلسي العالم الجليل، ينتهي نسبه إلى سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولد في دمشق من أسرة ذات حظ وافر من العلم. التحق بمدارس دمشق الابتدائية، والإعدادية، والثّانوية، ثم التحق بمعهد إعداد المعلّمين، وتخرّج فيه عام 1956م وبعدها التحق بكلّية الآداب قسم اللّغة العربيّة في جامعة دمشق عام1964م حصل على ليسانس في آداب اللّغة العليا، وحصل في عام 1966م على دبلوم التّأهيل بتفوّق، ثمّ التحق بجامعة ليون فرع لبنان ،وحضّر فيه شهادة الماجيستير في الآداب؛ حيث وافقت وزارة الثّقافة والإرشاد القومي في الجمهوريّة العربيّة السّوريّة على طبع الكتاب موضوع الأطروحة على نفقتها، وقد حصل على شهادة الدّكتوراه في التربيّة في جامعة **دوبلن** في بريطانيا في موضوع **تربية الأولاد** عام 1999م.

عمل في حقل التّعليم الثّانوي الرّسمي ثمّ الجامعي، حيث عُيّن أستاذًا في كلّية التربية بجامعة دمشق بدءا من عام 1969م حتى عام 1999م، ثمّ أستاذا لمادة الإعجاز العلمي في القرآن والسّنة في كلّيات الشّريعة وأصول العقيدة الإسلاميّة بجامعة الأزهر في مجمع أبي النّور وأستاذًا لأصول التّربية في جامعة طرابلس الإسلاميّة[2].

ألّف وشارك في تأليف عدّة كتب متعلّقة بعمله الوظيفيّ أبرزها كتاب **من أدب الحياة** إضافة إلى مشاركته في تأليف كتاب أصول تدريس اللّغة العربيّة لطلاب الدّراسات العليا في كلّية الشّريعة بدمشق.

طلب العلم الشّرعي في وقت مبكّر من حياته، ونال إجازة في رواية الحديث النّبوي الشّريف[3]

ومن أبرز مؤلفاته: موسوعة الأسماء الحسنى، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسّنة، نظرات في الإسلام، تأمّلات في الإسلام، ومضات في الإسلام وغيرها الكثير.

- **الخطيب أحمد طهراوي:**

"الإمام الشّيخ أحمد بن علي (الغبش) بن الطّاهر طهراوي، وأمّه تبر بنت ديدي، ولد بتاريخ 15 ماي 1956م بقرية الخبنة **بلدية النّخلة** ولاية الوادي، متزوّج وأب لخمسة أبناء.

نشأ الشّيخ أحمد في أسرة على قدر من العلم والدّين، وهو الابن الأكبر لوالده، حيث كان يعينه على توفير لقمة العيش للأسرة عن طريق التّجارة معه في دكان بالقرية.

---

[1] هذه السيرة تمّ الحصول عليها بمقابلة شخصية مع الإمام أحمد بن علي سعود، يوم 17 فيفري2022م، بمسجد الإمام علي، حي الزاوية، الرباح/الوادي، على الساعة:10:30 صباحا.

[2]ينظر: العيد علاوي، استراتيجية الخطاب الديني عند الشيخ محمد راتب النابلسي، مجلة البدر، جامعة بشار/الجزائر، ع11، نوفمبر2011م، ص293.

وينظر أيضا: السيرة الذاتية للدكتور محمد راتب النابلسي ولاجته ونشأته، www.nabulsi.com، تاريخ النشر: 05 جويلية 2020م، تاريخ الزيارة: 02 ديسمبر2021م، على الساعة: 17:35.

[3]ينظر: المرجع السابق.

حفظ القرآن الكريم على رواية ورش عن نافع على الطّريقة التّقليدية القديمة المعروفة باللّوح والدّواة؛ إذ تتلمذ على يد الطّالب " **إبراهيم حمّادي**" بمسجد " **الأمير عبد القادر**" بالرّباح وذلك سنة1966م، ليكمل حفظه فيما بعد بمسجد " **عمر بن عبد العزيز**" بمسقط رأسه على يد الطّالب " **البشير خالدي**" ثمّ الطّالب " **العربي مناعي**".

درس مرحلة التّعليم الابتدائي بمدرسة الشّهيد القائد "فرجاني العربي" وذلك سنة 1964م، ثمّ انتقل إلى مدرسة "عميش" بالرّباح (**الإمام الغزالي حاليا**)، ثمّ درس مرحلة التّعليم المتوسّط والثّانوي بمركز التّعليم الأصلي التّابع للشّؤون الدّينية بثانوية " بوشوشة" بالوادي إلى غاية سنة 1987م.

عمل معلما بالتّعليم الابتدائي لمدّة سنة واحدة بابتدائية " **الأخوة سلطاني**" بتندلة بين سنتي 1979م/1980م، ثمّ التحق بمعهد تكوين الأئمة بـــ "سيدي عقبة "بولاية بسكرة، حيث درس فيه لمدّة ثلاثة سنوات وتخرّج منه سنة 1983م.

وبعد تخرّجه من المعهد عُيّن الشّيخ أحمد طهراوي إماما خطيبا بمسجد " **الزّاوية العتيق**" الكائن بالجهة الشّرقية بحي الزّاوية ببلدية الرّباح في سبتمبر1983م، ولا يزال موظفا فيه ليومنا هذا، هذا وقد تدرّج الشّيخ في حياته المهنية إذ بدأ إماما خطيبا ثمّ إماما أستاذا سنة 2000م، ثمّ إماما أستاذا رئيسيا سنة 2012م.

أُنتُخب الشّيخ أحمد طهراوي عضوا في المجلس الشّعبي البلدي لبلدية النّخلة في دورتين متتاليتين ابتداء من سنة 1985م إلى غاية1992م، كما أُنتُخب عضوا بالمجلس الشّعبي الولائي سنة 1990م إلى غاية 1992م أين تمّ حلّ كل المجالس المنتخبة.

قام الإمام بالعديد من الأنشطة في القطاع؛ إذ يتولّى تمثيل قطاع الشّؤون الدّينيّة في جميع المحافل والمناسبات بالدّائرة وكذا الإشراف على السّير الحسن للمساجد وتنظيم أمور الأئمة.

إضافة إلى أنّه نائب رئيس المجلس العلمي بمدينة الشّؤون الدّينيّة والأوقاف، وقد كانت له مشاركات في الملتقيات الوطنية والدّولية، والمجالس العلمية التي تعقد على مستوى الوزارة، كما كان له عدّة برامج إذاعية دينية منها برنامج " يستفتونك في الدّين والشّريعة والحياة" بإذاعة سوف بالوادي.

يُعدّ الشّيخ من الأعلام البارزين في الجهة الجنوبية للولاية، وله جهود كبيرة وأعمال جليلة في الوعظ والإرشاد وإصلاح ذات البين منذ أكثر من ثلاثين سنة، ولا يزال عل دربه إلى يوم الناس هذا"[1].

3-1 حضور المرسِل في الخطاب:

[1] هذه السيرة للإمام تمّ الحصول عليها بعد القيام بلقاء شخصي معه وكان ذلك يوم 16 أفريل 2022م، على الساعة: 10:36 صباحا.

أشرنا فيما سبق إلى المكانة التي احتلها منتج الخطاب (المرسل) أثناء عمليّة التّواصل على تعدّد الخطابات وتنوّعها، وقد كان ذلك الحضور جليًّا في الخطب المختارة؛ إذ استطاع مرسلوها إثبات وجودهم من خلال أمرهم أحيانا ونهيهم أحيانا أُخر، مهما اختلفت الأغراض وتعدّدت، ولكنّ "البحث عن مقاصد المتكلّم تأتي بعد القراءة، ومفهوم القراءة هنا عملية اكتشاف كخطوة أولى، فقراءة النّص تستلزم الخوض في عدّة مستويات والتّنقل في عدّة مراحل، وذلك يتمّ بشكل تدريجي انطلاقا من مرحلة انطباعية أولى تشكل مبرّرا لمواصلة القراءة، فحالة استنطاق لمركّبات ومفردات النّص تتبعها حالة تأويل أو مرحلة كشف القصد وفق رؤىً معيّنة"[1].

ومن بين ما ورد " **أيّتها الوالدات أرضعن أولادكنّ**"[2] ، " **اجعل البيت جنّة هدئ حالك كن حليمًا**"[3]، " **أيّها الإخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطّانا إلى غيرنا، وسيتخطّى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا**"[4]كما ورد " **اتّقوا الله وقولوا قولًا سديدًا، اتّقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد، واتّقوا الله إنّ الله خبير بما تعملون**"[5]، " **فعليكم بالقرآن وعليكم بقيام اللّيل وعليكم بالصّدقة**"[6] ونجد أيضا " **ثمّ اعلموا – يا رعاكم الله – أنّه لا يضرّ المرء ما يلاقيه ممن يشرقون بالنّصح ويتأفّفون بالتّوجيه والإرشاد ويشوّهون ويشوشون بادّعاء الكمال الزّائف**"[7]، " **واعلموا أنّ الأمّة لا يزال فيها النّاصح والمنصوح والرّاد والمردود عليه**"[8] إضافة إلى " **فاتّقوا الله معاشر المسلمين والمسلمات**"[9].

أمّا النّهي فنذكر " **لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم**"[10]، " **لا تعذّبوا صبيانكم**"[11].

ومن هنا يمكن القول أنّ المرسِلين حاولوا إثبات حضورهم في خطبهم كلّ بحسب الموضوع الذي تعالجه الخطبة المختارة والمقصد الذي يروم الوصول إليه مستعملًا أساليب وطرقًا

---

[1]إبراهيم إيدير، القصدية في "الأدب الكبير" لابن المقفع، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة مولود معمري تيزي وزو/الجزائر، (دت)، ص15.

[2]محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام، ملتقى الخطباء، https://khutabaa.com ، تاريخ النشر: 2016/10/20 ، تاريخ الزيارة: 2019/08/01 ، الساعة: 20:14.

[3]المرجع نفسه.

[4]المرجع نفسه.

[5]أحمد بن علي سعود، خطبة: التداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشريعة الإسلامية، سُلمت شخصيا بمسجد الإمام علي رضي الله عنه، حي الزاوية الرباح، الوادي، الجزائر، الجمعة 2021/08/06.

[6]المرجع نفسه.

[7] سعود بن إبراهيم الشريم، خطبة: أهمية النصيحة وآدابها، https://khutabaa.com ، تاريخ النشر: 2019/01/14، تاريخ الزيارة: 2019/03/15، الساعة: 13:00.

[8]المرجع نفسه

[9]أحمد طهراوي، خطبة: المرأة في الإسلام، سُلمت من عند الإمام في مسجد الزاوية العتيق، يوم 25 مارس 2021م، على الساعة: 13:30 زوالا.

[10]محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام.

[11]المرجع نفسه.

مختلفة بحكم السّلطة الموكلة إليه ؛ فهو المعلّم، الموجّه، النّاصح، الآمر، النّاهي... وبكلمة هو: السيّد على منبره.

إنّ المكانة التي حظي بها هؤلاء الخطباء عند جمهورهم المستمعين لم تكن محض صدفة ولم يصلوا لها بسهولة ويسر، بل بعد إثبات جدارتهم وأحقيتهم ومن خلال الكفاءات التي امتلكوها واكتسبوها طيلة مسارهم الذي اختاروه.

2-3 الإشاريّات الزّمانية والمكانيّة :

تُعدّ الإشاريّات أولى درجات التّحليل التّداولي وقد عرّفها **الهادي بن ظافر الشهري** على أنّها:" من العلامات التي لا يتحدّد مرجعها إلّا في سياق الخطاب التّداولي؛ لأنّها خالية من أيّ معنى في ذاتها، فبالرّغم من ارتباطها بمرجع، إلّا أنّه مرجع غير ثابت"[1]، ورأى بعض الباحثين أنّ دورها في السّياق التّداولي لا يقف عند الظّاهر منها، بل يتجاوزه إلى الإشاريّات ذات الحضور الأقوى، والمستقرّة في بنيّة الخطاب العميقة عند التّلفّظ، ممّا يعطيها دورًا تداوليًّا في إستراتيجية الخطاب، لأنّ حدوث التّلفّظ من ذات المتكلّم يكون بسمات معيّنة وفي حيّزين(زماني، مكاني)، وبهذا فإنّ الخطاب بصفة عامّة يحوي على الأقلّ ثلاثة إشاريّات أطلق عليها الدّارسون (الأنا، الهنا، الآن)[2].

هذا وقد رأى **بنفنست**" أنّ اللّغة بوصفها نظامًا مجرّدًا لا تتحوّل إلى كلام حقيقي أو إلى نصّ أو خطاب إلا بواسطة عمليّة القول ذاتها، وهي ليست جوهريّة في صيغة النّص ودلالتها، بل إنّها أيضا وراء بنية وحدات لغويّة تعبّر عن مفاهيم إنسانيّة أساسيّة كمفهوم الشّخص والزمان والمكان"[3]، أمّا **أرمينكو**فقد ركّزت على العلامات الإشاريّة لما لها من أهميّة؛ إذ" لا يمكن للاستعمال التّواصلي للّغة العادية أن يتخلّى عن التّعابير الإشاريّة ولضرورتها من الأجدى معالجتها أي إبراز كيفيّة دخول السّياق الذي توجد فيه مرجعيّتها ضمن تحديد مرجع الجملة"[4]، على اعتبار أنّها" كلمات وتعبيرات تعتمد اعتمادًا تامًّا على السّياق الذي تُستخدم فيه ولا يستطيع إنتاجها أو تفسيرها بمعزل عنه"[5].

علاوة على ذلك فإنّ الإشاريّات عاجزة عن تكوين الدّلالة بمعزل عن الموضوع الذي تُوظّف فيه، سواء أكان الموضوع المتطرّق إليه واقعيًّا أم من نسج الخيال، وهي بذلك تضارع ما يسمّيه **بورس** بـــالمؤشّر الذي يمثّل الحركة التي تدّل بواسطتها على شيء (موضوع) ما: وفي غياب الشّيء، فإنّ المؤشّر لا يشرك معه شيئا أبدا، أي أنّه لا يدل على أيّ شيء، والحركة لا تسبح تحديدًا إلّا إذا كانت على علاقة حقيقيّة بالموضوع (الشّيء)[6].

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص80.

[2] ينظر: المرجع السابق، ص81.

[3] مريم فرنسيس، في بناء النص ودلالته "محاور الإحالة الكلامية"، منشورات وزارة الثقافة، دمشق،1998، ص18-19.

[4] فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء، بيروت، (دط)، (دت)، ص44.

[5] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص15-16.

[6] جان سرفوني، الملفوظية، تر: قاسم المقداد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (دط)، 1998م ص27.

ولتحقيق الفاعليّة التّواصليّة لا بدّ من توظيف الإشارّيات لتمتّعها بطابع حيوي، إضافة إلى إحالتها إلى موضوعات ذات مرجعيّة خاصّة بالأطراف المتواصلة.
وعليه يتّضح لنا أنّ الإشاريّات لا تتطلّب معرفة حول الشّيء، بل تتطلّب معرفة العلاقة التي تربطه بنا أثناء سياق التّلفّظ، لهذا فهي تسمح للمتكلّم أن يصبّ انتباهه حول إحالة معيّنة – مقصودة مسبقًا – وذلك من خلال الإشارة إلى العلاقة القائمة بين الإحالة والسّياق الذي قيلت فيه.
وسنكتفي في هذا المقام بالوقوف على الإشاريّات الزّمانية والإشارات المكانيّة، ونقوم برصدها في الخطب المنبريّة الأربع، ونلاحظ مدى توفيق الأئمة في توظيفها لخدمة مقاصدهم:

أولا: الإشاريات الزّمانيّة:

هي ألفاظ تدلّ على زمان يحدّده السّياق بالقياس إلى زمان التّلفّظ" فزمان التكلّم هو مركز الإشارة الزّمانية في الكلام، فإذا لم يعرف زمان التكلّم أو مركز الإشارة الزّمانية التبس الأمر على السّامع أو القارئ"[1] فهي قد " تكون دالّة على الزّمن الكوني الذي يُفرض سلفا(...) وقد تكون دالّة على الزّمن النّحوي، وقد يتطابقان في سياق الكلام، وقد يختلف الزّمن النّحوي على الزّمن الكوني، فينشأ بينهما صراع لا تحلّه إلّا المعرفة بسياق الكلام"[2]، لهذا فإنّ الإشاريّات الزّمانية تعتمد على زمن الكلام أثناء تفسيرها وتحديد مقاصدها، وبالتّالي فإنّه على المرسَل إليه " أن يدركها لحظة التّلفّظ فيتخذها مرجعًا تُحيل عليه ويؤوّل مكونات التّلفّظ اللّغوية بناء على معرفتها"[3].
فالخطاب مهما كان نوعه لا بدّ للمخاطب فيه من توظيف العلامات الإشاريّة؛ فتحديد المقاصد في خطبة منبريّة دينيّة منوط بمعرفة زمن التّلفّظ بالخطبة فذلك بدوره يساعد المتلقي (الجمهور السّامع) على التّفسير والتّأويل والوصول إلى المعنى المراد .
وبالعودة إلى المدونة نجد أنّ الأئمة الأربعة قد وظّفوا الإشاريّات الزّمانية ، ففي معرض حديثه – الشيخ **محمد راتب النّابلسي**- عن حقوق الطّفل في الإسلام نجده يقول:
" - اليوم أعرض على مسامعكم بعض ما في هذا الدّين العظيم من حقوق للطّفولة لا يحلم بها الطّرف الآخر.
-من منّا يصدّق أنّ الإسلام ينشئ للطّفل حقًّا على والديه أو على أبيه ...قبل أن يولد.
-مرّة حدثني أخ كريم.
- الآن لا يوجد بأي اتّفاقيّة طفولة حقوقا للجنين.
-حينما يؤذى الصّغير يحاسب عنه الكبير.
-في حياة الصّحابة ...

[1] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص19.
[2] المرجع نفسه، ص21.
[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص83.

-وإذا استجنح اللّيل فكفّوا صبيانكم"[1].

وفي خطبة " التّداوي من الأمراض والأوبئة " نجد الإمام يقول:

" - تذاكرنا الجمعة الماضية من وسائل التّصدي لهذا الوباء الحمية والوقاية والدّواء والعلاج.

-ولتنظر نفس ما قدّمت لغد.

-من الدّواء كذلك قيام اللّيل، الصّلاة في جوف اللّيل والنّاس نيام"[2].

أما خطبة " أهميّة النّصيحة وآدابها " فنعثر فيها على قول الإمام:

" - ولقد أحسن ابن قتيبة أيضا وهو يشكو أهل زمانه في القرن الثّالث الهجري وما يعانيه من بعض الآبين للنّصح والمستنكفين عنه.

- وقد كنّا زمانًا نعتذر من الجهل فصرنا الآن نحتاج إلى الاعتذار من العلم ... وليس هذا بعجيب مع انقلاب الأحوال ولا ينكر مع تغير الزّمان.

-فلا إله إلا الله، ما أشبه اللّيلة بالبارحة واليوم بالأمس وها هو التّاريخ يعيد نفسه"[3].

وأثناء حديث **الشيخ أحمد طهراوي** عن المرأة في الإسلام وظّف الإشاريّات الزّمانية الآتية:

"-لا عجب أن يكثر الحديث عن المرأة في زمن كثرت أصوات النّاعقيين.

-وأفلح تعليم المرأة المسلمة في عصور الإسلام الزّاهية فكانت نوابغ النّساء في كافة الفنون... وظلّت المرأة المسلمة نموذجا يُحتذى في العلم والفقه والعزّة بالإسلام، لا في عصر النّبوّة فحسب بل فيما تلاها من القرون أيضا.

-كثُر في العهد العبّاسي في المشرق، وفي ظل الأمويين في الأندلس النّساء اللّواتي اشتهرن بمعارفهن العلميّة والأدبيّة، وذلك من الأدلة على أهميّة النّساء أيّام نضارة حضارة العرب فهل تُعيد المرأة المعاصرة تاريخ ومجد أسلافها من المؤمنات العاملات؟"[4]

إنّ توظيف الأئمة للإشاريّات الزّمانية لم يكن عبثًا، بل فيه إشارة إلى أنّها مساعدة على فهم المقاصد من مواضيعهم المختارة، فبتحديدهم للزّمان يستطيع المتلقي - على الأقل - توقّع المعنى وتأويله وفقًا للسّياق الذي ورد فيه.

ثانيا:الإشاريّات المكانيّة:

هي عناصر إشاريّة تُحيل على أماكن يعتمد استعمالها، وتفسيرها على مكان المتكلّم وقت التّلفّظ"فيتأسّس المكان في تلك النّقطة من الفضاء التي يتواجد فيها – المتكلّم- أثناء الحديث (لحظة التّلفّظ) "[5]أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو المتلقي " ولتحديده يستلزم معرفة العنصر الإشاري من جملة القرب أو الوجهة ثمّ الوقوف على ما نشير إليه بالقياس إلى مركز

[1] محمد راتب النابلسي، خطبة :حقوق الطفل في الاسلام.

[2] أحمد بن علي سعود، خطبة: التداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشريعة الإسلامية.

[3] سعود بن إبراهيم الشريم، خطبة: أهمية النصيحة وآدابها، ملتقى الخطباء.

[4] أحمد طهراوي، خطبة: المرأة في الإسلام.

[5]ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، تيزي وزو، ط2، 2012، ص124.

الإشارة للمكان، أي السّياق المادي الذي قيلت فيه"[1]، فالمتكلّم لا يمكنه أن "ينفكّ عن المكان عند تلفّظه بالخطاب، وهذا يعطي الإشاريّات المكانيّة مشروعيّتها وإسهامها في الخطاب (...) وتُقاس أهميّة التّحديد المكاني بشكل عامّ انطلاقا من الحقيقة القائلة أنّ هناك طريقتان رئيسيّتان للإشارة إلى المكان إمّا بالتّسمية (...) وإمّا بتحديد أماكنها من جهة أخرى"[2].

وممّا ورد في المدونة من إشاريّات مكانيّة نجد:

"-اللّقطاء بحدائق الجامعات في بلد غربي ثلاث مئة وخمسين ألفا بينما في بلد كبلدنا المسلم الذي فيه بقيّة مروءة، بقيّة عفّة، أربعون حالة فقط.

-ما دامت زوجتك وهذا فراشك فالذي وُلد هو ابنك، ولو كنت أبيض اللّون وهو أسود.

-والله أحيانا يخجل الإنسان أن ينتمي لهذه المجتمعات، كفى كفرا بامرئ ادّعى نسبا لا يعرفه.

-كان النّبي صلّى الله عليه وسلّم ينطلق من مسجده إلى العوالي، يعني بآخر المدينة إلى ظئر إبراهيم مرضعة ولده ليقبّله ثمّ يرجع.

-من ينتقل من المهاجرين إلى المخيّم يركب ساعة ونصف، ويقبّل ابنه ويرجع، هكذا النبيّ علّمنا، كان يأخذ الحسن بن علي والحسين فيقعدهما على فخذه يلاعبهما ويحملهما، وحمل أُمامة بنت زينب في الصّلاة فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها"[3].

كما أورد الإمام **أحمد بن علي سعود** إشاريّات مكانيّة في خطبته نذكر منها:

" -إذ أنّها (الصّدقة) أفضل ما يتقرّب إلى الله سبحانه وتعالى به إليه ألا وهو ماله وفضله.

-نسأل الله سبحانه وتعالى العفو والعافية والمعافاة الدّائمة في الدّين والدّنيا والآخرة.

-قيام اللّيل شفاء لأنه حال القرب من الله.

-اللّهم إنّا نسألك الجنّة وما يقرّب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النّار وما يقرّب إليها من قول أو عمل.

-اللّهم إنّا نسألك (...) الفوز بالجنّة والنّجاة من النّار"[4].

ولارتباط النّصيحة وآدابها بمكان تقديمها وإسدائها للطّرف الآخر فإنّ الإمام سعود بن إبراهيم الشّريم وظّفها في خطبته من خلال قوله:

"-ولذا كان لزاما على كل مجتمع مسلم أن يجعل لهذه الشّعيرة (النّصيحة) محلًا واسعًا في حياته اليوميّة.

- إنّ استنكاف المجتمعات والأفراد عن بذل النّصح والتّقويم لهو سبب للعوج والتّيه في الدّنيا والعقوبة والمقت من ربّ العالمين في الآخرة.

- الحقّ والحكمة ضالّة المؤمن أنّى وجدها أخذها"[1].

---

[1] حمادي مصطفى، تداولية الإشاريات في الخطاب القرآني، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة/الجزائر، ع26 سبتمبر2016، ص67.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص84.

[3] محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الاسلام.

[4] أحمد بن علي سعود، خطبة: التداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشريعة الإسلامية

هذا وقد أشار الشّيخ **أحمد طهراوي** لمكانة المرأة في الإسلام من خلال الإشاريّات المكانيّة الآتية:

"-ونزل القرآن الكريم معليًا شأنهنّ ...ومع ذلك كلّه فهن موضع للفتنة.
-أعرض لكم شيئا من عناية الإسلام بالمرأة وبيان مكانتها الحقيقية في شرع الله.
-بل فوق ذلك جعل الإسلام للمرأة الرّعاية في بيت زوجها وحمّلها مسؤولية رعايته.
-هذه عناية الإسلام بالبنت حتى تغادر البيت معزّزة مكرّمة، فأين هذا من الحضارة المزعومة المعاصرة التي ترمي بالبنت في قارعة الطّريق لتبحث عن مأوى آخر، وتهيم على وجهها في صحراء مهلكة تحيط بها الذّئاب من كل جانب؟.
-فإذا كانت المرأة أمًّا فهي المنزلة التي لا تدانيها منزلة.
-فأيّ تشريع غير الإسلام يبلغ المرأة هذه المنزلة؟ وأي حقوق يمكن أن يهبها لها البشر فوق ما حباها به ربّ البشر؟"[2].

إنّه ومن غير المعقول أن يَتطرّق الأئمة في خطبهم لمواضيع كـــ: حقوق الطّفل في الإسلام وضرورة العناية بهم من قبل الآباء، والتّداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشّريعة الإسلاميّة خاصة مع ظهور وباء كورونا، والإشارة إلى أهميّة النّصيحة وآدابها وخطورة الإعراض عنها، إضافة إلى موضوع المرأة في الإسلام وما لها وما عليها، من دون تقديم إشاريّات مكانيّة تحيل إلى مرجع معين يتحدّد مباشرة وصراحة أو يمكن استنتاجه ومن ثمّ تأوله وتأويل المقاصد.

3-3 المرسَل إليه:

الطّرف الثّاني في العمليّة التّخاطبيّة: المستقبل، وهو الذي يوجّه إليه المرسل خطابه متعمّدًا، وقد أشار اللّغويون القدماء في التّراث العربيّ إلى تأثير المرسَل إليه على المرسِل عند إنتاج خطابه، سواء على مستوى الخطاب اللّغوي أو على المستوى التّداولي[3]، لهذا نجد أنّ المرسِل دائمًا ما يركّز على ردّة فعل المرسَل إليه أثناء تلقيه للرّسالة التي أنشأها وأنتجها بعد أن وضعه ضمن أولوياته واعتباراته، لأنّه المشارك في إنتاجها.

لذلك فهو حاضر لا يغيب عن ذهن المرسِل حال إنتاجه للخطاب، وهذا الحضور للمرسل إليه، هو ما يسهم في تفاعل وحركيّة الخطاب، وليس هذا فحسب، بل يجعل المرسل ينوّع ويختار باستحضاره البدائل وفرزها وانتقاء أفضلها، وامتلاك إستراتيجية خطابية تتوافق مع ما يريد ايصاله وتوضيحه[4].

وبالرجوع إلى الخطب المنبريّة الأربع نجد بأنّ منتجيها يولون عناية بالمرسَل إليه (جمهورهم السّامع) الذي كان مشاركا في إنتاج الخطب وإن بطريقة غير مباشرة، فمن خلال الإشارة إليه من قبل الخطيب أثناء إلقاء خطابه ندرك أنّه يحاول إشراكه فيه، أضف إلى ذلك

---

[1] سعود بن إبراهيم الشريم، خطبة: أهمية النصيحة وآدابها.
[2] أحمد طهراوي، خطبة: المرأة في الإسلام.
[3] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص47.
[4] ينظر: المرجع نفسه، ص48.

المحاور المتطرّق إليها في الخطبة تكشف لنا وبدقة عن طبيعة وصفات المرسَل إليه المقصود من طرف الأئمة.

فمن خلال خاصيّة النّداء التي تتّسم بها الخطب المنبريّة الدّينيّة، نلاحظ أنّ الأئمة يستعملونها وبكثرة في خطبهم، والغرض منها تقريب المرسَل إليه واستمالته وجعله ينتبه ويتفاعل معه، خاصّة لمّا يتبعها بكلمات محبّبة لقلب المتلقي السّامع كــ: الإخوة الكرام، الأحباب، الأفاضل...إضافة إلى كلمات أخرى نحو: عباد الله ...

وممّا وجدناه في الخطب التي بين أيدينا: **أيُّها الإخوة المؤمنين، أيُّها المؤمنون والمؤمنات، أيُّها المسلمون والمسلمات، معاشر المسلمين والمسلمات، إخوة الإيمان، أيُّها النّاس، عباد الله، يا رعاكم الله، أيُّها الإخوة الكرام،** وهي عبارات كلّها تثبت حضور المرسَل إليه ومشاركته وتفاعله في الخطاب.

في خطبة " حقوق الطّفل في الإسلام "، يتوجّه محمد راتب النّابلسي بخطابه إلى الجمهور السّامع ويحدّد نوعًا معيّنًا يمكننا أن نستشفه من خلال كلامه، ففي الخطبة وكأنّنا بالخطيب يجري مقارنة بين حقوق الطّفل في الإسلام، وحقوقه في العالم الغربيّ، الذي صار يفرض آراءه على غيره، وبالتّالي فإنّ المرسَل إليه الذي وضعه النّابلسي في ذهنه حال إنتاج خطابه بالإضافة إلى عامّة المسلمين، هو الذي يعتنق الإسلام ويسير بمبادئ غيره ويؤيّده، وإن لم يصرّح بذلك، فحينما يقول مثلا:"**أيّها الإخوة الكرام، اتفاقيات كثيرة، كاتفاقية المرأة، واتفاقية حقّ الطّفولة، هم يأخذون مشكلاتهم ويعممونها على العالم كلّه، والمسلم حينما يتابع أمر دينه، ويرى ما في هذا الدّين العظيم الذي هو وحي السّماء، ومنهج خالق الأرض والسّماء يشعر بألم شديد، لأنّ الذي عندنا يفوق ما عندهم بآلاف المرّات، إن في حقوق الإنسان، وإن في حقوق المرأة، وإن في حقوق الطّفل**"[1] إلى أن يقول: "**هذه حقوق الطّفل في الإسلام، أيّ منها حقوق الطّفل في العالم الغربيّ؟ يتّفقون على حقوق، ونُلزم بها، وإذا ما طبّقناها نعاقب، وإذا تحفّظنا عليها تقوم الدّنيا ولا تقعد، وعندنا دين من وحي السّماء**"[2]، فهنا ندرك أنّ النّابلسي يستهدف بخطابه هذا مرسَلًا إليه حاضرا في ذهنه أثناء إنشائه لخطابه، وغرضه من ذلك التّأثير فيه وجعله يلتفت إلى ما في يده، وأن يترك التّبعيّة جانبا في قضيّة حقوق الطّفل.

ولا يختلف بقية الأئمة عن هذا الطّرح في خطبهم؛ إذ وجه سعود بن إبراهم الشريم خطابه إلى مرسَل إليه معارض لفكرة النّصيحة في المجتمع وظهر ذلك في المحور الثاني من محاور الخطبة المعنون بـــ: "خطورة الإعراض عن النّصيحة وعدم قبولها"، فيقول:" **إنّ النُّصح بين المسلمين، أفرادًا ومجتمعًا ليُعدّ أمارة من أمارات الاهتمام بالصّلاح والإصلاح، وبإحياء الشّعيرة المفروضة شعيرة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر في واقع حياتهم وبيان حجّة أهل السنّة والجماعة وجهادهم لنصرة الحقّ بالقلم واللّسان؛ كما قد كانت**

[1] محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام.

[2] المرجع السابق.

النّصرة كرّات ومرّات بالسّيف والسّنان، ولا أقلّ من ذلك على وجه فرض الكفاية، فضلا عن خطورة هذا الباب والوقوع في مغبّة مجانبته، ومن ثمّ الاتّصاف بما حذّر منه النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – بقوله:"من لا يهتمّ بأمر المسلمين فليس منهم"(رواه الطبراني)"[1]، إذن فالخطيب يراعي في إنتاجه لخطابه المرسَل إليه المعارض لفكرة النّصيحة في المجتمعات ويستحضره ولو ذهنيا، وبالتّالي سيحاول توجيهه إلى جادّة الصواب.

أمّا في خطبة " المرأة في الإسلام " فإنّ المرسَل إليه فيها هو كلّ من يحاول إخراج المرأة عن تعاليم دينها باسم الحرّية والانفتاح متناسيًا ما يوجد في الإسلام من إنصاف لها ومكانة عالية، ويظهر ذلك من خلال قول الخطيب أحمد طهراوي: **"هذه عناية الإسلام بالبنت حتى تغادر البيت معزّزة مكرمة، فأين هذا من الحضارة المزعومة المعاصرة التي ترمي بالبنت في قارعة الطّريق لتبحث عن مأوى آخر، وتهيم على وجهها في صحراء مهلكة، تحيط بها الذّئاب من كل جانب؟ "**[2].

ولكنّنا نجد أنّ الخطيب أحمد بن علي سعود يوجه خطابه إلى مرسَل إليه حريص على أمر صحّته ونجاته من الأمراض والأوبئة، فيقول:" **إخوة الإيمان إنّ من أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لنا "احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز" رواه مسلم. ومن الحرص على ما ينفعنا ...التّصدي لهذا الوباء والتّصدي لهذا المرض والتّصدي لهذه المحنة التي أُبتليت بها البشريّة جمعاء، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعجّل الشّفاء والدّواء"**[3].فالملاحظ أنّ المخاطب لم يحدّد نوعا أو صفة في المرسَل إليه، إنّما خاطب الجميع بناء على السّياق والظّرف السّائد تلك الفترة من انتشار لوباء كورونا، لهذا فإنّ الجميع مستهدف كي يتفادى هذا المرض أو يعالج نفسه منه.

عمومًا يمكن القول أنّ الأئمة في خطبهم حاولوا إبلاغ جمهورهم السّامع بقضايا مهمّة تمسّ واقع حياتهم، قصد إفهامهم وتوجيههم وتعليمهم، فهم لا يقولون إلّا ما يرونه صحيحًا، ولا يأمرون إلّا بما يريدون تحقيقه، ولا يسألون إلّا عن الشّيء الذي يريدون معرفته[4]، ويمكن تمثيل ذلك بالمخطط الإجمالي الآتي:

[1] سعود بن إبراهيم الشريم، خطبة: أهمية النصيحة وآدابها.

[2] أحمد طهراوي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام.

[3] أحمد بن علي سعود، خطبة: التداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشريعة الإسلامية.

[4] Voir: Maingueneau, Pragmatique pour le discours littéraire, Edition bordas, Paris, 1990, P105.

العمليّة التّواصليّة

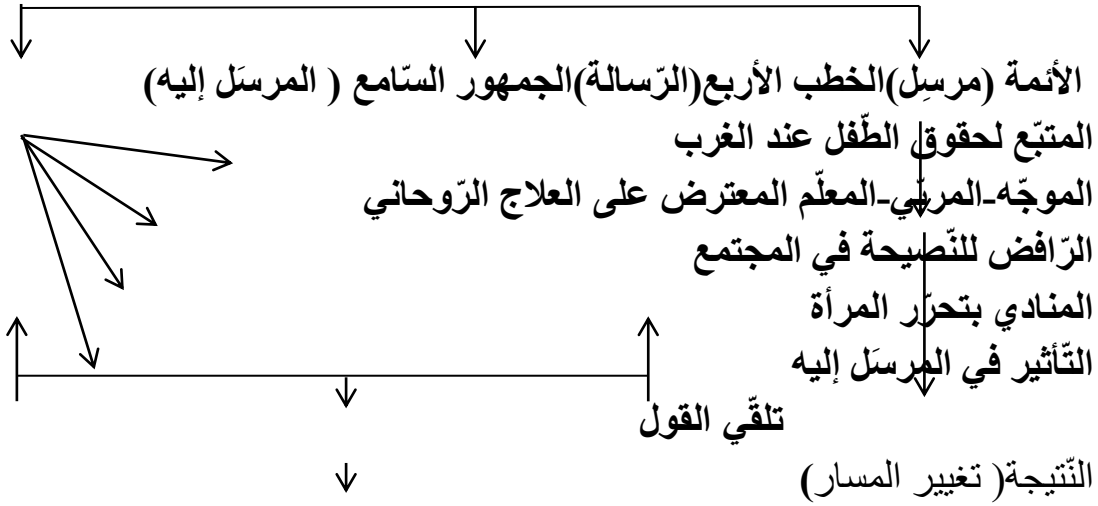

الفصل الثّاني: مقصديّة الإقناع وآليّاتها في الخطب المنبريّة الدّينيّة

توطئة.

مفهوم الحجاج لغةً واصطلاحًا

أولا: الآليّات الحجاجيّة اللّغويّة في الخطب المنبريّة الدّينيّة

1-مقاصد الدّفاع بالتّعليل والتّبرير.

2-مقاصد رهن النّتيجة بالسّبب

4- المقاصد التّوضيحيّة الوصفيّة.

5-مقاصد تحصيل الحاصل.

ثانيا: الآليّات التّداوليّة:

1-السُّلميّات الحجاجيّة.

2-الرّوابط الحجاجيّة.

ثالثا: الآليّات البلاغيّة

1-اشراك المتلقي في بناء المعنى

المجاز (الاستعارة- التّشبيه- الكناية)

2-الحجاج بالطّابع الجمالي التّحسيني

(السّجع- الطّباق والمقابلة- الجناس)

3- تجلّيات آليّات (الوصل والفصل) من منظور البلاغة الجديدة لدى "بيرلمان"ودورها في كشف المقاصد في الخطب المنبريّة الدّينيّة

أ-آليّات الوصل

ب-آليّات الفصل

توطئة:

لطالما كانت لغة الخطاب الدّيني أداة تواصليّة قائمة على عدّة مقاصد وأهداف، موجّهة لذات الإنسان فتخاطبه عقلًا ووجدانًا من خلال اعتمادها على الكلام المعجز – القرآن الكريم- وعرضها لتجارب بشريّة مختلفة بداية بسيرة الحبيب المصطفى عليه الصّلاة والسّلام...، وهذه الميزة التي حظيت بها الخطب المنبريّة الدّينيّة جعلتها تحقّق انجازًا تأثيريًّا يتجلّى في الموضوعات المختلفة التي يطرحها الخطيب أمام جمهوره سواء أكانت قصصا وعظيّة أم حججًا وحكمًا...وكلّها بهدف الإقناع ولفت الانتباه وبالتّالي استمالة ذلك الجمهور والتّأثير فيه.

ومهمّة كهته ليست بالأمر السّهل بالنّسبة للخطيب؛ ففهم مقاصده من قبل المتلقين أثناء التّلفّظ والوصول إلى مراميه – لدرجة تغيير قناعاتهم القبليّة – لهو أمر منوط بما يوظّفه من

آليّات مختلفة بما فيها اللّغوية والتّداوليّة والبلاغيّة...والتي تكون كعامل مساعد له من أجل إيصال تلك المقاصد. وهو ما سنحاول الوقوف عنده في هذا الفصل.

مفهوم الحجاج:

***الحجاج لغةً:**

من المعاني اللّغوية التي تم العثور عليها في معاجم اللّغة العربيّة حول هذا المصطلح:القصد والتّخاصم والجدل وكذا الغلبة والبرهان ...يقول **بن منظور(ت711ه)** في **لسان العرب** :" حَاجَجْتُهُ أُحَاجُّهُ حِجَاجًا، وَمُحَاجَّةً حَتَّى حَجَجْتُهُ أَيْ غَلَبْتُهُ بِالحُجَجِ الَّتِي أَدْلَيْتُ بِهَا (...) وَالمِحَجَّةُ : الطَّرِيقُ، وَقِيلَ جَادَّةُ الطَّرِيقِ (...) وَقيلَ: الحُجَّةُ مَا دُوفِعَ بِهِ الخَصْم. وَالحُجَّةُ : الوَجْهُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الظَّفَرُ عِنْدَ الخُصُومَةِ. وَهُوَ رَجُلٌ مِحْجَاجٌ أَيْ جَدِلٌ: وَالتَّحَاجُّ: التَّخَاصُمُ؛ وَجَمْعُ الحُجَّة: حُجَجٌ وَحِجَاجٌ. وَحَاجَّهُ مُحَاجَّةً وَحِجَاجًا: نَازَعَهُ الحُجَّةَ. وَحَجَّهُ يَحُجُّهُ حَجًّا: غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِهِ. وَاِحْتَجَّ بِالشَّيْءِ: اِتَّخَذَهُ حَجَّةً؛ وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ حُجَّةً لِأَنَّهَا تُحَجُّ أَيْ تُقْصَدُ لِأَنَّ القَصْدَ لَهَا وَإِلَيْهَا؛ وَكَذَلِكَ مِحَجَّةُ الطَّرِيقِ هِيَ القَصْدُ وَالمَسْلَكُ. وَالحُجَّةُ: الدَّلِيلُ وَالبُرْهَانُ "[1].

كما نجد في **المعجم الوسيط:**" حَجَّ إِلَيْهِ حَجًا: قَدِمَ، وَالمَكَان قَصَدَهُ. وَحَاجَّهُ مُحَاجَجَة وَحِجَاجًا: جَادَلَهُ، وَاِحْتَجَّ عَلَيْهِ: أَقَامَ الحَجَّةَ وَعَارَضَه مُسْتَنْكِرًا فِعْلَهُ. وَتَحْتَجُّوا: تُجَادِلُوا. وَالحُجَّةُ: الدَّلِيلُ وَالبُرْهَانُ.(ج) حُجَجٌ وَحِجَاجٌ. وَالمُحَاجِجُ: الَّذِي يُكْثِرُ الجَدَلَ. وَ المِحَجَّةُ الطَّرِيقُ المُسْتَقِيمُ"[2].

أمّا **الشّريف الجرجاني(ت816ه)** فيقول:" الحَجُّ: القَصْدُ إِلَى الشَّيْءِ المُعَظَّمِ، وَالحُجَّةُ مَا دَلَّ بِهِ عَلِى صِحَّةِ الدَّعْوَى، وَقِيلَ الحُجَّةُ وَالدَّلِيلُ وَاحِدٌ "[3] .

من خلال التّعريفات السّابقة الذّكر يمكن القول أنّ الحجاج في المعاجم العربيّة القديمة يدلّ على القصد والدّليل والبرهان أثناء جدال أو خصام بين طرفين أو أكثر وأنّ الغلبة فيه تكون لمن أفلح في إقامة الحجة على الآخر من خلال درجة إقناعه وقصده الذي حدّده منذ البداية.

***الحجاج اصطلاحا:**

تتقاطع في تعريف الحجاج اصطلاحًا عدّة ميادين لتواجه معها؛ إذ نجده في ميدان الفلسفة وميدان البلاغة وكذا اللّسانيات وغيرها، هذا لأنّ خطاباتها " خطابات تضمّ قصودا أربعة، قصد التّوجه إلى الغير، قصد إفهامه ثمّ قصد الإدعاء، وقصد الاعتراض"[4] لكن الاختلاف المفهومي للحجاج بينها يكمن في زوايا رؤاها ووجهات نظرها إليه.

إنّ وظيفة كلّ حجاج " تتردّد إلى طرح الحجج التي تضمن النّفاذية للخطاب اللّغوي؛ وبالنّتيجة حصول الإقناع الفعلي بالقضيّة المطروحة، وهذا يعني توظيف الآليّات التي تجتاز

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة (ح ج ج)، ص779.

[2] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، (1425هـ - 2004م)، القاهرة، مادة (حجّ)، ص157- 158.

[3] علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، (دط)، (دت)، ص73.

[4] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص225.

الاعتقاد الأولي نحو التّغيير، وبناء الموقف المغاير"[1] وهذا يعني أنّ مرسِل الخطاب وما يحمله من آفاق معرفيّة أثناء عمليّة التّواصل يحاول لفت انتباه الطّرف الآخر لتلك الآفاق والرُّؤى والاعتقادات بغرض التّأثير فيه واستمالته ليصل أخيرًا إلى إقناعه.

وأثناء عمليّة الإقناع نجد المرسِل يدعم أسلوبه ببعض المتعة ليترك أثرًا جميلًا ووقعًا عميقًا على المتلقي، لكن دون إغفال لحقيقة المرسَل إليه والسّياق[2]،ويقول **طه عبد الرحمن** في هذا الصدد:" فأمّا النّموذج الأول وهو الوصلي؛ فإنّه يعتمد على الحجاج ذاته دون اعتبار المقام التّواصلي بمعنى أنّه يغفل عنصري: المتكلّم والسّامع، وأمّا النّموذج الإيصالي للحجاج، فهو ذلك النّموذج الذي يركّز على المتكلّم ووظيفته في العمليّة الخطابيّة وأمّا النموذج الثّالث الاتّصالي فهو الذي يستحضر ركني العمليّة التّواصليّة المتكلّم، والمستمع في جوّ من التّفاعل والممارسة الخطابيّة، في مقام حي"[3]،فنجده هنا يركّز على العلاقة بين المرسِل والمتلقي وحالتهما أثناء إرسال وتلقي الحجّة، كما يركّز من ناحية أخرى على الجانب اللّغوي للحجاج.

وتعريف الحجاج تعريفًا دقيقًا قديمًا وحديثًا من الصّعوبة بمكان الإمام به، لذلك ارتأينا أن نقسّمه إلى قسمين عند الغرب ثم عند العرب مركّزين على التّعريفات الأهمّ منها.

***الحجاج عند الغرب:**

لقد كانت البداية الأصلية لمفهوم الحجاج عند **أرسطو** من خلال كتابه **الخطابة** إذ تناول فيه معنى الحجاج من زاويتين، الأولى بلاغية ربطه فيها بالإقناع والثّانية جدليّة تتم في بنية حواريّة، وتنطلق من مقدّمات لتصل إلى نتائج، ومن خلالهما حدّد **أرسطو** مفهوم الخطاب الذي جعله في أنواع ثلاثة: الاستشاري، القضائي، القيمي[4].ويعرف الحجاج على أنّه" قول ينشئه الخطيب وحده والغرض المقصود منه في كل الحالات هو الإقناع بحكم وإلى الحكم يستند الفعل والحكم يمثّل جوابا عن سؤال، يكون استشارة الوضع الخلافي المنشئ للحجاج عموما"[5]، وهو يعني بذلك أنّ الخطيب ينشئ حجّته استنادا إلى الحكم المضادّ وأنّ الحجاج ينشأ عن سؤال هو في أصله مختلف فيه ولا وجود لإجابة واحدة يقينية له.

ولو أردنا الوقوف على مفهوم الحجاج عند الغرب في العصر الحديث فلا بدّ من ذكر كلّ من **بيرلمان** و **تيتكا** في مصنّفهما الموسوم بـــــ:**مصنّف في الحجاج أو الخطابة الجديدة** سنة

---

[1] عبد الحليم عيسى، البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم سورة النمل أنموذجا (بحث)، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع102، 26 نيسان 2006م، ص37.

[2] ينظر: مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، كلمة للنشر والتوزيع، ط1، (1436هـ - 2015م)، تونس، ص18.

[3] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص271.

[4] ينظر: مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، ص20.

[5] أرسطو، كتاب الخطابة، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2008م، ص19.

1958م إذ عرّفاه على أنّه" موضوع يدرس تقنيّات الخطاب التي من شأنها أن تؤدّي بالأذهان إلى التّسليم، بما يُعرض عليها من أطروحات أو أن يزيد في ذلك التّسليم"[1] .

كما أشار**ديكرو** و **إنسكومبر** في مصنّفهما الموسوم بـــــ **الحجاج في اللّغة** إلى أنّ الحجاج متجذر في اللّغة وأنّ الوظيفة الأساسيّة للغة هي الحجاج ويعتبر **ديكرو** " أنّ كلّ قول يحتوي على فعل إقناعي، فإن تتكلّم يعني أنّك تحاجج (كلّ قول = حجاج) ولا وجود لكلام دون شحنة حجاجيّة، فالحجاج عنده هو علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب لتنتج عن عمل المحاجّة"[2].

***الحجاج عند العرب:**

أمّا إذا اتّجهنا إلى العرب فأوّل من نذكر لمّا يتعلق الأمر بمفهوم الحجاج **الجاحظ (ت255ه)** فهو السّباق للاهتمام بالمتلقي وأحواله وصفاته، إضافة إلى أنّ غاية الحجاج عنده الإقناع عن طريق الفهم والإفهام[3]؛ إذ أنّه " يتعامل مع كل جنس (لغوي) بوصفه خطابا، وكلّ جنس عنده خصائصه التي تميّزه على مستوى الشّكل، وهو من المزايا النّادرة، فمفهوم الإقناع عنده لم يقتصر على جنس بعينه"[4].

ونجد **أبو هلال العسكري (ت395ه)** يربط الشّعر بالحجاج على اعتبار أنّ الشّاعر يقوم بإثبات صحّة المعاني التي يضمّنها شعره، إضافة إلى أنّ الشّعر يستميل القلوب والعقول وبوساطة اللّغة يؤثّر في المتلقي[5] وقد عرّف الحجاج بقوله:" هو أن تأتي بمعنى، ثمّ تؤكده بمعنى آخر مجرى الاستشهاد وعلى الأول، والحجّة على صحته"[6]، وبالتّالي فالشّعر له علاقة وطيدة بالحجاج لأنّه يؤثّر ويجعل المتلقي يسلّم له ويقتنع.

أمّا **حازم القرطاجني (ت684ه)** فقد اعتبر الحجاج وجها من وجوه الكلام فيقول:" إنّ كلّ كلام يحتمل الصّدق والكذب، إمّا أن يرد على جهة الإخبار والاختصاص، وإمّا أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال"[7].

كما عرّف **طه عبد الرّحمن** الحجاج من النّاحية الفلسفية فقال:" إنّه فعالية تداوليّة جدليّة، فهو تداولي، لأنّ طابعه الفكري مقامي واجتماعي، وهو أيضا جدلي، لأنّ هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية"[8] .

---

[1] عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته (بحث)، من خلال مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتكا ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، سلسلة آداب كلية الآداب منوبة، تونس، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، (دط)، (دت)، ص299.

[2] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص14-15.

[3] ينظر: مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، ص23.

[4] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص448- 449.

[5] ينظر: مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، ص23.

[6] أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تح: علي محمد بجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، (1952م-1371ه)، ص416.

[7] حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بلخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت/لبنان، ط2، 1981م،ص63.

[8] طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الرباط/ المغرب، ط2، 2000م، ص65.

كما قد اهتمّ **محمد العمري** بالبلاغة الجديدة (الحجاج) وعرّفها بأنّها "علم الخطاب

الاحتمالي الهادف إلى التّأثير أو الإقناع، أو هما معًا إيهامًا، وتصديقًا"[1] .
أمّا **أبو بكر العزّاوي** فقد رأى أنّ اللّغة تحمل وظيفة حجاجيّة وعرّف الحجاج بأنّه ": تقديم الأدلة والحجج المؤدّية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثّل في انجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يمثّل الحجاج في انجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللّغوية وبعضها الآخر هو بمثابة النّتائج التي تستنتج منها"[2]، أي أنّ الحجاج عنده مبنيّ على السّبب والنّتيجة المرجوّة منه.
ومهما يكن من أمر فإنّ مفهوم الحجاج سواء عند الغرب أم العرب هو مفهوم عميق عرّفه كل منهما وفقا للدّرس الذي يناقشه والفكرة التي يدافع عنها في موضعها، ورغم ذلك فإنّه يمكننا تقديم مفهوم له نحسب أنّه جامع لما قيل، فالحجاج هو محاولة المتكلّم تقديم مجموعة من الأدلة والبراهين المختلفة من أجل الدّفاع عن قضية معيّنة أمام طرف آخر(متلقي) قد يكون يؤيده في تلك القضية أو يخالفه تمامًا، فإن خالفه فيها فإنّه (المتكلّم) بحاجة إلى أدوات وآليات دقيقة ومختلفة يدافع بها عن رأيه حتى يستطيع الإقناع والتّأثير في هذا المتلقي.

أولا: الآليّات الحجاجيّة اللّغوية في الخطب المنبريّة الدّينيّة:

للآليّات والتّقنيّات اللّغويّة قصد إقناعي حاول منتجو الخطاب استثماره أثناء خطبهم للوصول إلى المقاصد الكلّية للخطب، فكلّما كان الخطيب موفقا في اختيار تلك الآليّات كلّما سهل على المتلقي الوصول إلى مقاصده، ومنها:

1 الدّفاع بالتّعليل والتّبرير:

يحمل التّعليل والتّبرير مقصد الدّفاع، الذي يتمّ التّوصل إليه من خلال اختيار أدواته وتقنياته المناسبة من أجل التّعليل وبيان سبب أمر معيّن يُحتجّ للدّفاع عنه من قبل الخطيب استنادا إلى الموضوع الذي تمّ التّطرّق إليه،كما يعتمد التّعليل على تبيين

[1] محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، (دط)، 2005م، ص06,
[2]أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، الدار البيضاء، المغرب، ط1،(2006م- 1426ه)، ص16.

علّة الشّيء وسببه، وتستعمل أدوات التّعليل " لتبرير فعل أو تعليل له بناء على سؤال ملفوظ به أو سؤال مفترض"[1] فيتمّ حينها ربط المقدّمات بنّتائجها.

وبالعودة إلى مدونة الأطروحة وجدنا أنّ أكثر أدوات التّعليل التي وظّفها الأئمة الأربعة في خطبهم التي بين أيدينا هي (لأنّ – المفعول لأجله- لام التّعليل- ...

1-1 لأنّ:

تُعدّ من ألفاظ التّعليل " وتستعمل لتبرير الفعل، كما تستعمل لتبرير عدمه"[2] وهي تمثّل شرطا جوهريا لتحقيق عمليّة الحجاج وعاملا مساعدا لفهم المقاصد.

وبالرجوع للخطب الأربع التي بين أيدينا تمكّنا من رصد "لأنّ"في عدّة مواضع نذكر منها:

في معرض حديثه محمد راتب النّابلسي في خطبة "حقوق الطّفل في الإسلام" نجده يتحدّث عن حقوق الإنسان عموما، ويعلّل سبب عدم اهتمام العرب بما عند الغرب في هذا المجال فيقول:" **اتفاقيّات كثيرة، كاتفاقيّة المرأة، كاتفاقيّة حقّ الطّفولة، هم يأخذون مشكلاتهم ويعمّمونها على العالم كلّه، والمسلم حينما يتابع أمر دينه، ويرى ما في هذا الدّين العظيم الذي هو وحي السّماء، ومنهج خالق الأرض والسّماء يشعر بألم شديد، لأنّ الذي عندنا يفوق ما عندهم بآلاف المرّات، إن في حقوق الإنسان، وإن في حقوق المرأة، وإن في حقوق الطّفل**"[3]

فالنّابلسي من خلال توظيفه للفظ التّعليل" لأنّ" حاول بيان السّبب الذي يدفع بالمسلم للإعراض وعدم الاقتناع بما سنّه الغرب من حقوق للإنسان ، كونها نابعة جلّها من مشاكلهم وبيئتهم التي لا تخضع لنظام محكم أو منهج قويم كما الإسلام، ومن ثمّ يطبقونها على العالم بأسرة بمسمّيات مزيّفة، ولو بُحث عنها في الدّين الإسلامي لتمّ العثور عليها؛ فالأولى أخذ الضّالة من مضانّها ومنابعها كي تكون مِحجّة يُحتكم إليها، فهو إذن في موضع المدافع عن تعاليم دينه وأحكامها.

وفي خطبة " التّداوي من الأمراض والأوبئة في ظلّ الشّريعة الإسلاميّة" أورد المحاجِج أحمد بن علي سعود قوله:" **القرآن وقيام اللّيل أفضل العبادات لأنّها أو لأنّهما تقرّب من الله بأحبّ الطّاعات**"[4].

فقد احتاج الخطيب لتوظيف هذه الحجّة في سياق حديثه عن طرق التّداوي الرّوحي من وباء كورونا –خصوصا- الذي اجتاح العالم في الآونة الأخيرة، وذكر من بين تلك الأدواء القرآن الكريم وقيام اللّيل وصنّفها كأفضل العبادات لِعلّة أنّها أحبّ الطّاعات إلى الله تعالي، أي أنّ المصاب بالوباء عليه طلب الشّفاء والبُرء من الله وذلك بطرق أبواب أحب الطّاعات إليه والمتمثّلة في قراءة القرآن وقيام اللّيل

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص478

[2] المرجع السابق، ص478.

[3] محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام.

[4] أحمد بن علي سعود، خطبة: التداوي من الأمراض والأوبئة في ظل الشريعة الإسلامية.

وبالتّالي نجده ربط المقدّمة (طلب أسباب الشّفاء+ قراءة القرآن + قيام اللّيل) بالنّتيجة (القرب من الله + الشّفاء).

أمّا سعود بن إبراهيم الشّريم في خطبته "أهميّة النّصيحة وآدابها" نجده يدعو إلى الصّدق والسّتر أثناء إسداء النّصيحة فيقول:" **يضاف إلى ذلك – عباد الله - الصّدق في النّصيحة والسّتر وإرادة الإصلاح، لا إظهار الشّماتة والتّعيير؛ لأنّ السّتر في النّصح من سمات المؤمن الصّادق، فإنّ المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعيّر**"[1].

ذكر الخطيب النّتيجة (الصّدق في النّصيحة والسّتر وإرادة الإصلاح) في البداية، أمّا الحجّة – السّبب- (من سمات المؤمن الصّادق) فقد جعلها في آخر السّياق وربط بينهما بلفظ التّعليل "لأنّ" قصد تبرير النّتيجة التي ينشد إليها ويوجه المتلقي للأخذ بها (السّتر أثناء النّصح، لا الشّماتة والتّعيير فهي من سمات الفاجر).

1-2 لام التّعليل:

ذكر **بن يعيش (ت643ه)** أنّ لام التّعليل " قد تدخل على المصادر التي هي أغراض الفاعلين في أفعالهم...فكأنّها دخلت لإفادة أنّ ذلك الغرض من إيقاع الفعل المتقدّم"[2]، لهذا فهي تستعمل لبيان العلّة[3]، سواء أكانت لام كي، أم اللام النّاصبة للفعل المضارع أم اللّام الجارة[4]،والغرض من توظيفها في الخطابات غالبا ما يكون الحجاج، ومن ثمّ فهم المقاصد.

ورد على لسان أحمد طهراوي في خطبة " المرأة في الإسلام " أنّه قال:" **فإذا كانت المرأة أمًّا، فهي المنزلة التي لا تدانيها منزلة، وهي أحقّ ما في الوجود بحسن الصّحبة والرّعاية، والإحسان لها وللأب يُقرن بحق الله في العبودية (وقضى ربّك ألّا تعبدوا إلّا إيّاه وبالوالدين إحسانا....) والوصيّة بهما تنزيل من السّماء: (ووصّينا الإنسان بوالديه إحسانا)، ويلفت النّظر إلى حقّ الأم لزيادةِ مشقتها: (حملته أمّه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا)** الأحقاف/15 "[5]

فالخطيب من خلال توظيفه للام التّعليل حاول بيان سبب اهتمام القرآن الكريم ، ولفت النّظر إلى حقّ الأمّ أكثر من الأب، فمسوّغ ذلك يكمن في المشاقّ التي تتحمّلها أثناء الحمل والولادة والتّربية...لهذا ربط الخطيب بين النّتيجة وعلّتها على النّحو الآتي:

النّتيجة: يلفت النّظر(القرآن الكريم) إلى حقّ المرأة

---

[1] سعود بن إبراهيم الشريم، خطبة: أهمية النصيحة وآدابها.

[2] موفق الدين أبي البقاء يعيش بن يعيش الموصلي، شرح المفصّل، قدّم له: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2001، ج6، ص20.

[3] ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان/ الأردن، ط1، ج3، ص353-355.

[4] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص478-479.

[5] طهراوي أحمد، خطبة: المرأة في الإسلام.

العلّة (السّبب): زيارة مشقّتها

ومقصد المحاجج من ذلك هو الدّفاع عن حقّ المرأة استنادا على المنزلة التي حباها الله تعالى بها في تنزيله، وكأنّه يردُّ ضمنيًّا على كلّ منكر ومشكّك ورافض لحقّ المرأة عموما، ولكلّ عاقّ وجاحد لدور الأمّ خصوصا.

وبالنّظر في خطبة "حقوق الطّفل في الإسلام" يقول النّابلسي:" **كان النّبي- عليه الصّلاة والسّلام -، ينطلق من مسجده إلى العوالي، يعني بآخر المدينة إلى ظئر إبراهيم مرضعة ولده ليقبلَه ثمّ يرجع**"[1].

فالملاحظ أنّ لام التّعليل في هذا النّموذج اقترنت بالفعل المضارع " يقبِّله " للرّبط بين العلّة والنّتيجة.

النّتيجة: كان النّبي- عليه الصّلاة والسّلام -، ينطلق من مسجده إلى العوالي، يعني بآخر المدينة إلى ظئر إبراهيم مرضعة ولده، ثمّ يرجع.

السّبب: ليقبّل ابنه.

واستجلاب الخطيب لهذه الحجّة إنّما كان بقصد بيان مكانة الطّفل عند النّبي صلّى الله عليه وسلّم؛ فهو يتحمّل مشاقّ الطّريق وطول المسافة فقط من أجل رؤية ابنه وتقبيله، وكأنّ المحاجِج يدعو للاقتداء به في ذلك.

1-3 المفعول لأجله:

عرّفه **حسن عباس** على أنّه " مصدر يدلّ على سبب ما قبله ويشارك عامله في وقته وفاعله، وهو ثلاثة أقسام: قياسية: مجرّد من "ال" والإضافة، ومضاف، والمقترن بـ" أل" "[2]وهو أيضًا من الألفاظ الحجاجيّة المساعدة على فهم مقاصد الخطاب.

يقول النّابلسي في "حقوق الطّفل في الإسلام": " **أمّا السّقط، يُصلى عليه ويُدعى لوالديه بالمغفرة والرّحمة، أمّا إذا نُفخ فيه الرّوح يُغسّل ويصلّى عليه، احترامًا للسّقط هكذا جاءت الشّريعة** "[3] وقوله أيضا: " **من حقّ الابن على أبيه أن يختار له اسمًا يتباهى به، ثمّ يُعقّ له أي يذبح عقيقة تكريمًا لهذا المولود (...) ويحلق رأسه ويُتصدق بوزن شعره ذهبًا إكرامًا له** "[4].

نلاحظ أنّ الخطيب يحاول إقناع الجمهور بحقيقة احترام السّقط بالصّلاة عليه والدّعاء لوالديه قبل نفخ الرّوح فيه، ويُغسّل ويُصلّى عليه مثله مثل الإنسان المكتمل بعد نفخ الرّوح، والسّبب أنّ الشّرع ينصّ على ذلك. ثمّ إذا وُلد من حقّه أن يذبح له والده عقيقة ويحلق له ويخرج صدقة بمقدار ذلك الشّعر وكلّ ذلك من أجل إكرام

---

[1] محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام.

[2] حسين عباس، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، دار المعارف، مصر، ط3، (دت)، ص237-238.

[3] محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام.

[4] المرجع نفسه.

المولود، وذِكر النّابلسي لهذا الحجّة كان بقصد الدّفاع عن حقوق الأبناء من جهة، ومن جهة أخرى تبليغ الآباء بما يجب عليهم فعله حين يرزقون بالأبناء .

نجد المفعول لأجله أيضًا في خطبة " المرأة في الإسلام " أثناء حديث الخطيب عن مكانة المرأة؛ إذ يقول: **" ونزل القرآن الكريم معليًا شأنهنّ، ومؤكّدًا حقوقهنّ، (...) بل نزلت سورة كاملة من القرآن تحمل اسمهنّ، وتعالج قضاياهنّ"** [1].

حيث عمد الخطيب إلى توظيف المفعول لأجله (معليًا – مؤكّدًا) ، أي أنّ الإعلاء من شأن المرأة والتّأكيد على حقوقها كان سببا لنزول القرآن في هذا الموضع، وربطه السّبب بالنّتيجة إنّما بدافع إقناع الجمهور بضرورة إعطاء المرأة حقّها الذي كرّمها به القرآن الكريم، بعدما عانته من ظلم واضطهاد فترة الجاهلية الأولى. فيظهر المحاجِج هنا كالمدافع عن حقوق المرأة، عن طريق توظيفه لتقنية التّعليل والتّبرير التي تستند على ما جاء به القرآن الكريم من تعاليم بشأنها.

2 رهن النّتيجة بالسّبب:

تبحث هذه المقاصد في الآليّات الحجاجيّة التي يعمد الخطيب إلى توظيفها، والتي تستند بالدّرجة الأولى على أسلوب الشّرط؛ إذ يُعدّ أسلوبا لغويًا يُحمل على جزئين، الأول السّبب والثّاني المسبّب ويتحقّق الثّاني إذا تحقّق الأوّل، وينعدم الثّاني إذا انعدم الأوّل؛ لأنّ وجود الثّاني مرتبط بوجود الأوّل[2]، ويتمّ الرّبط بينهما بوساطة أدوات الشّرط المختلفة منها: إن- إذا- حيثما- لو- لولا-...

وبالنظر في الخطب الأربع (مدونة الأطروحة) وجدنا أنّ أسلوب الشّرط أُستعمل بنسب متفاوتة في كلّ خطبة، وبمقاصد تختلف بحسب الموضوع المتطرّق إليه، والسّياق الذي ورد فيه، نورد منها:

2-1 الشّرط بإذا:

ففي " أهميّة النّصيحة وآدابها " يقول الشّريم: **" إنّ المسلم إذا نظر بعين الصّدق والتّجرّد والإنصاف وجعل طلبَ الحقّ الدّيدن لقَبِل ما يُوجَّه إليه من نصح ونقد في الحقّ، ولعلم أنّ الأمّة الإسلاميّة لا تقوم إلا بالتّناصح الجادِّ وبقولها للمصيب:" أصبت" وللمخطئ :" أخطأت" ..."** [3]

وكأنّ المحاجِج يوجه خطابه للرّافضين للنّصيحة فوظّف أسلوب الشّرط:

الأداة: إذا

جملة فعل الشّرط: نظر بعين الصّدق والتّجرّد والإنصاف وجعل طلبَ الحقّ الدّيدن.

---

[1] أحمد طهراوي، خطبة: المرأة في الإسلام.

[2] ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرائد، بيروت/لبنان، ط 2، 1986، ص284.

[3] سعود بن إبراهيم الشريم، خطبة: أهمية النصيحة وآدابها.

جملة جواب الشّرط والجزاء: لقَبِل ما يُوجَّه إليه من نصح ونقد في الحقّ، ولعلم أنّ الأمة الإسلامية لا تقوم إلا بالتّناصح الجادِّ وبقولها للمصيب" أصبت" وللمخطئ" أخطأت" ...

فتحقق النّتيجة (قبول النّصح ....) مرهون بالنّظر بعين الصّدق والتّدقيق والعدل والسّعي وراء الحقّ، وكأنّنا به يريد الوصول إلى مقصد يتمثّل في أنّ قبول النّصيحة ورفضها تتعلّق بمدى تمسّك الإنسان المسلم بسبل الحقّ والخير، فكلّما ازداد تمسّكا بها ازداد تقبّلا للنّصيحة والعكس صحيح.

أمّا في خطبة " المرأة في الإسلام "ورد:" **فهي تُمثّل نصف المجتمع أو تزيد، وهي الأمّ والبنت والزّوج والأخت، (...) إذا صلحت واستقامت تحطّمت على أسوارها المنيعة مكائد الكائدين**"[1].

استعان المحاجِج بأسلوب الشّرط كآلية تساعد المتلقي على فهم مقصده في هذا السّياق الذي يروم فيه توجيه رسالة إلى كلّ من أراد نصب المكائد للمرأة وحاول إخراجها من عرين فطرتها السّليمة، وأنّ نجاحهم وفشلهم في ذلك متوقّف على مدى صلاح المرأة في المجتمع واستقامتها، فاستعمل " إذا " أداة للشّرط، و " صلحت واستقامت" جملة الشّرط، و " تحطّمت على أسوارها المنيعة مكائد الكائدين " هي النّتيجة والجواب.

2-2: الشّرط بـــــ: إنْ

ولحماية حقوق المرأة أضاف الخطيب حجّة تثبت مساواة الإسلام بين المرأة والرّجل في التّكليف وفي الأجر والثّواب والعقوبة عند الله تعالى فأورد عبارة : " **كما ساوى الإسلام في تكليفها بالعبادات مع الرّجل، فلها ثواب الطّاعة إن عملتها، وعليها عقوبة المعصية إن وقعت فيها** "[2].

فالواضح من هذه الحجّة أنّ القصد منها توضيح وشرح الجزاء الذي يترتّب عليه فعل المرأة، والذي تتساوى فيه مع الرّجل، وهو مرتبط بسبب قبله بواسطة أداة الشّرط " إن" لكن الملاحظ أنّ المحاجِج قدّم النّتيجة على السّبب، ونحسب أنّ ذلك لم يكن اعتباطا؛ بل بقصد بيان أهميّة العبادات في الحياة الدّنيا، وأنّ الجزاء فيها منوط بالتّمسك بها أو عدمه.

أمّا في خطبة " الوقاية من الأمراض والأوبئة " أخبر المحاجج أنّ من طرق الاستشفاء الرّوحي " قيام اللّيل" ثمّ قال:" **فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك السّاعة فكن**"[3]فقصد المخاطب لفت انتباه السّامعين إلى طريق من الطّرق التي تؤدي إلى الوقاية من وباء كورونا، لكنّ هذا الطّريق ليس متاحًا للجميع، بل لمن كانت لديه استطاعة كافية تؤهّله للتّغلب على نفسه ووساوس الشّيطان والنّهوض في

[1] طهراوي أحمد، خطبة: المرأة في الإسلام.

[2] المرجع نفسه.

[3] أحمد بن علي سعود، خطبة: التداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشريعة الإسلامية.

جوف اللّيل لذكر الله، فلتحقيق النّتيجة (أن تكون من الذّاكرين لله في ذلك الوقت) مرتبط باستطاعتك التّغلب على نفسك بواسطة أداة الشّرط " إنْ".

2-3: الشّرط بـــ: حينما:

وبالولوج إلى خطبة " حقوق الطّفل في الإسلام " نجد الخطيب يقول:

" – الطّفل حينما يكون له أب وأم مع الحليب يرضع الرّحمة والحبّ للمجتمع.

- فالإنسان حينما لا ينفق على أولاده يخسرهم.

- حينما ترعى ابنك في الأعمّ الأغلب (...) يكون ابنك بارا بك"[1].

فيبدو أنّ النّابلسي في هذه الحجج يحاول أن يقنع الجمهور السّامع بضرورة الاهتمام بالطّفل منذ ولادته إلى أن يشبّ ويعيد لوالديه ذلك الاهتمام، إذن فالنّتيجة النّهائية التي سيحظى بها الوالدان مرهونة بما قدّماه لهذا الابن ... والظّاهر أنّ هذا المقصد استطعنا الوصول إليه من خلال توظيف الإمام للتّراكيب الشّرطية الكثيرة في خطبته هذه، ويمكن توضيحها كالآتي:

أداة الشّرط	جملة فعل الشّرط	جملة الجواب
حينما	يكون له أب وأم	يرضع الرّحمة والحبّ للمجتمع
حينما	لا ينفق الإنسان على أولاده	يخسرهم
حينما	ترعى ابنك	يكون ابنك بارا بك

فالشّرط بـــ "حينما" يحيلنا دوما للزّمن؛ ففي الوقت الذي يقدّم الابن الرّحمة والحبّ لغيره (المجتمع) وجب أن يكون قد تربّى في كنف والديه وتشرّب منهما المعنى الحقيقي للقيم والمبادئ التي تعلّمه طريقة التّعامل في المجتمع، فتقديم الابن للرّحمة والحبّ مرهون بمدى تشربهما من قبل والديه.

وفي سياق حديثه عن نفقة الآباء على أبنائهم أورد المحاجِج فيما معناه أنّه وفي الوقت الذي لا ينفق فيه الأب على أولاده فخسارتهم تنتظره؛ وقصد المحاجِج هنا ليس تكليف الآباء فوق طاقتهم بقدر حثّهم على بذل مجهودات أكبر من أجل كسب الرّزق في سبيل أبنائهم؛ لأنّ كلّ ما يقدّمه الوالدان في سبيلهم من رعاية وعناية ونفقة واهتمام و...هو ذاته ما سيفعله الأبناء بهم يومًا ما في الغالب.

3التّوضيح والوصف:

يمكن تتبّع هذه المقاصد من خلال "الوصف" الذي يُعدّ من بين الآليّات اللّغوية التي يوظّفها المحاجج لأجل استمالة جمهوره ولمساعدته في الوصول إلى المقاصد التي من أجلها ألقى خطابه، وبالتّالي" فهي مولّدة للإقناع في السّياق الذي وردت فيه"[2]،

[1] محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام.

[2] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن ، دار الفارابي، بيروت/لبنان، ط2، 2007، ص323.

ولعلّ القصّة التي أوردها **الزّمخشري(ت538ه)** في كشّافه حول دخول جُبيْر بن مطعم الإسلام من خلال الدّور الحجاجي الإقناعي للوصف، لهي دليل على ذلك[1].والوصف "يشمل عددًا من الأدوات اللّغوية منها: الصّفة واسم الفاعل واسم المفعول"[2].

1-3 الصّفة (النّعت): تابع مكمّل لمتبوعه ببيان صفة من صفاته نحو (مررت برجل كريم)، أو لبيان صفة من صفات ما تعلّق به وهو ما يطلق عليه بالنّعت السّببي[3].

أغلب الصّفات التي وظّفت في الخطب المنبريّة كان معظمها من أجل المساعدة على فهم المقاصد، وكحجّة لإثبات صحّة الفكرة المدافع عنها حسب السّياق الذي وردت فيه، نذكر منها:

في سياق حديث الإمام أحمد طهراوي عن المرأة في الإسلام قال:" **وجعل الإسلام الحياة الزّوجية ترتكز على دعائم قويّـــــة من المودّة والرّحمة (تعجز الأنظمة البشريّـــــة أن تبلغه بتشريعاتها)"**[4].

فالظّاهر هنا أنّ الخطيب وظف الصّفات (الزّوجية، قويّة، البشريّة ، (تعجز الأنظمة أن تبلغه بتشريعاتها))لبيان مقاصده المتمحورة حول المكانة التي حظيت بها المرأة في ظلّ الإسلام؛ فهي جزء من الحياة الزّوجية القائمة على أسس قويّة تفتقدها الحيوات البشريّة الأخرى.

وفي حديث الشيخ سعود بن إبراهيم الشريم عن أهمية النصّيحة وآدابها نجده يقول:" **النَّفرةُ والتَّدابرُ سمةٌ من سمات المجتمعات المنفـــكّةِ ومعـــرَّةٌ كُبـــرى تأسف لها قلوب المُشفقين من ذوي البصائرِ"**[5].

الملاحظ من هذه الصّفات (المنفـــكّة- كبـــرى) أنّ الخطيب وظّفها ليدرك المتلقي من خلالها أهميّة النّصيحة في المجتمع، وأنّ قوة المجتمعات وضعفها مرتبط بالأخذ بالنّصح والتّناصح، لا التّنافر والتّدابر والإساءة لأنّها مدعاة للتفكّك والتشتّت.

---

[1] "قال الزمخشري: قال جبير بن مطعم : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلمه في الأسارى فألقيته في صلاة الفجر يقرأ سورة الطور، فلما بلغ (إنّ عذاب ربّك لواقع)، أسلمت خوفا من أن ينزل العذاب". الزمخشري جار الله، تفسير الكشاف، دار المعرفة، بيروت/لبنان، ط3، 2009، ص1055. فقد كان اسلام جبير منوط بفهمه للمقصد من الوصف باسم الفاعل (واقع) فأدرك حينها أن الأمر والقسم الوارد في بداية السورة ثابت الحدوث وواقع لا محالة وهو ما كان سببا في اعتناقه الإسلام.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص486.

[3] ينظر: محمد فاضل السامرائي، الصرف العربي أحكام ومعان، دار ابن كثير، بيروت/لبنان، ط1، (2013م- 1434ه)، ص258.

[4] أحمد طهراوي، خطبة: المرأة في الإسلام.

[5] سعود بن إبراهيم الشريم، خطبة: أهمية النصيحة وآدابها.

أمّا الشيخ محمد راتب النّابلسي فيقول:" **الأولادُ ثروةٌ كبيرةٌ، يحتاج المجتمع إلى قادة في المستقبل قد رُبوا تربيةً صحيحةً، رُبوا تربية أخلاقيّة، تربية إسلاميّة، تربية اجتماعيّة، تربية نفسيّة، تربية علميّة**"[1].

فالأوصاف التي اختارها الشيخ متعلقة بالتربيّة الصّحيحة التي يجب أن ينشأ عليها الأبناء(الثّروة الكبيرة)، على اعتبار أنّهم قادة المستقبل؛ فإن أحسن الوالدان تربية الأبناء بسقيهم أخلاقًا فاضلةً مبنيّةً على تعاليم الدّين القويمة، محافظين على نفسياتهم بغرس المبادئ السّمحة التي يبثّونها في المجتمع ، مع تحصيل وافر للعلم النّافع لاستطاعوا بحقّ استغلال هذه الثّروة الكبيرة.

من هنا يظهر الدّور الحجاجي للصّفة في المساعدة على فهم المقاصد، وبالتّالي زيادة الإقناع والإذعان.

2-3 اسم الفاعل:" هو اسم مشتقّ يدلّ على معنى مجرّد حادث، وعلى فاعله؛ فلا بدّ أن يشتمل على أمرين معًا، هما المعنى المجرّد الحادث، وفاعله (...) ودلالة اسم الفاعل على المعنى المجرّد الحادث أغلبية لأنّه قد يدل قليلا على المعنى الدَّائم"[2]،كأن نقول: واقف، هي اسم فاعل تدلّ على الحدث وهو الوقوف وعلى الفاعل الذي قام بفعل الوقوف.

في خطبة " التّداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشّريعة الإسلاميّة " يقول الخطيب:" **إنّ الذي يقي عباده بالصّدقة من شرّ وهول وبلاء يوم القيامة لقادر على أن يقي عباده من هموم (...) وبلايا أيّام الدّنيا بالصّدقة**"[3].

فاستجلاباسم الفاعل(قادر)فيه دلالة إلى المقصد الذي يرمي إليه الخطيب والمتمثّل في إقناع الجمهور بفوائد الصّدقة في الدّنيا والآخرة، وما لها من أسرار علاجيّة، بقدرة الله- طبعًا - وهو أمرٌ حادثٌ ثابتٌ لا محالة.

وفي خطبة " المرأة في الإسلام " يقول الخطيب: " **حرّم الإسلام التَّشاؤم بالمرأة والحزن لولادتها كما كان شائعًا عند العرب**"[4].

فاسم الفاعل (شائع) أورده الخطيب للتّدليل على تحريم الإسلام لعادات مألوفة كانت العرب تمارسها ضدّ المرأة ،وهي ظاهرة انتشرت في العصر الجاهلي حرّمها الإسلام، وأورد فيها نصًا صريحًا يتمثّل في قوله تعالى:" وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ، يَتَوَارَى مِنْ القَوْمِ مِنْ سُوءُ مَا بُشّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُوْنٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ"[5]، فجاء اسم الفاعل

[1] محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام.

[2] حسن عباس، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ج3، ط4، (دت)، ص238- 239.

[3] أحمد بن علي سعود، خطبة: التداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشريعة الإسلامية.

[4] طهراوي أحمد، خطبة: المرأة في الإسلام.

[5] سورة النحل، الآية:58-59.

(شائـــــــع) ليصف حالة العرب قديمًا في إذلالهم واستصغارهم للمرأة، وبالتّالي فالمحاجج ينهى ضمنيًّا عن إتّباع ما كان شائعًا أثناء الجاهلية الأولى.

وفي خطبة " أهميّة النّصيحة "، يقول الخطيب: **" ألا إنّ الفرق واضح والبون شاسع بين مجتمع تغشاه النّصيحة على قبولٍ وترحابٍ وبين مجتمع يجعل أصابعه في آذانه ويستغشي ثيابه ويصرُّ ويستكبر استكبارًا "**[1].

ويبدو هنا أنّ مقصد الخطيب ينبني على المفارقة التي أجراها بين المجتمع الذي تسوده النّصيحة بين أفراده ومجتمع يرفضها جملةً وتفصيلًا، وقد استعان في إيصال هذا المقصد لجمهوره باسمي الفاعل: (واضـــــح- شاســـــع)فيحاججه ويضمن إذعانه ويدعوه للاهتمام بالنّصيحة.

وأثناء حديث الخطيب عن حقوق الطّفل في الإسلام تطرّق إلى ما نراه في المجتمعات التي تعترف بالزّواج العرفي ثم ينكر الأب الابن أمام المحكمة، على اعتبار أنّه عقد لا يُعترف به شرعًا فيهضم حقّ الابن حينها فيقول:" **كفى كفـــرًا بامرئ ادّعى نسبًـــا لا يعرفه، أو جحده وإن دقّ كفر، إذا رفضت ابنك، أحيانًا يكون زواج خـــارج المحكمة يقول ليس ابني، يعرف بماذا يتكلم أمام القاضي؟ لا يوجد دليل، هذه العقـــود خارج النّطاق الشّرعي لها "**[2]، فاسم الفاعل (خـــــارج) وظّفه الشيخ النّابلسي ليكون حجّة على الذين يستسهلون هذه العقود، التي تلحق الضّرر بالابن لأنّه الضّحية.

3-3 اسم المفعـــول: " اسم مصوغ من مصدر الفعل المبني للمجهول للدّلالة على من وقع عليه الفعل، ويُبنَى من الثّلاثي المجرّد على وزن (مفعـــول) مثل: نـــُصر فهو منصور"[3]، ويُعرّف أيضا أنّه : " اسم مشتق يدلّ على معنى مجرّد غير دائم، وعلى الذي وقع عليه هذا المعنى، فلا بدّ أن يدل على الأمرين معًا، وهما المعنى المجرّد وصاحبه الذي وقع عليه"[4] ، وهو أيضًا من الأوصاف الحجاجية المساعدة على الوصول للمقاصد من أجل إقناع المتلقي.

يقول الخطيب في خطبة " أهميّة النّصيحة وآدابها " :" **النّصح – أيّها المسلمون – ينبغي أن يقوم على آداب جُلَّى وسمات غُداف، تجعل الحقّ من خلاله مقبولا والنّصح بين النّاس منشورا وباذله والمتسبّب فيه مـــأجورًا غير مـــأزور**"[5].

فالخطيب هنا أراد أن يبيّن أنّه لكي يُقبل الحقّ وتنتشر النّصيحة في المجتمع بين النّاس، وينال صاحبها الثّواب والأجر يجب التّحلي بآداب معيّنة تجعل من ذلك

[1] سعود بن إبراهيم الشريم، خطبة: أهمية النصيحة وآدابها.
[2] محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام.
[3] محمد فاضل السّامرائي، الصرف العربي أحكام ومعان، ص105.
[4] حسن عباس، النحو الوافي، ج3، ص271.
[5] سعود بن إبراهيم الشريم، خطبة: أهمية النصيحة وآدابها.

ممكنًا، وإلّا فإنّ مآلها الرّفض وعدم القبول، ولإيصال هذا المقصد والتّأثير في متلقيه استعان باسم المفعول (مقبول- منشور- مأجور- مأزور).

ويقول أيضًا:" **ولا يُمنع من التّمادي في النّصح والإكثار فيه عدم القبول من المخالف أو عدم رضاه؛ لأن العبد المسلم مأمـــــــــورٌ بالتماس رضا الله وحده ولو كان بسخط النّاس**"[1].

فالنّصيحة لا ينظر فيها إلى رأي الطّرف الآخر بقدر ما يُهتم فيها بالهدف الأسمى المتمثّل في رضا الله وحده، واسم المفعول (مأمـــــــــور) كان خير معبّر عن هذا المقصد؛ فلمّا يستشعر المتلقي بأنّ الأمر صادر من الله تعالى، وأنّه يسدي النّصيحة لنيل رضاه فإنّه لن يهتمّ برأي الطّرف الآخر ولن يلقي بالًا لردّة فعله.

وفي خطبة " المرأة في الإسلام " يقول الخطيب:" **فأين ذلك من بعض تشريعات البشر وقوانينهم التي تعتبر المرأة مع الصّغير والمجنـــــــون محجـــــورًا عليهم؟** "[2].

فبعد أن عرض الخطيب المكانة التي حبا بها الإسلام المرأة فها هو في استفهامه الإنكاري ينفي عن التّشريعات البشرية اهتمامها بالمرأة وإعطائها حقوقها ومكانتها التي ميّزها بها الإسلام، ولإقناع المتلقي بذلك وظّف اسم المفعول (المجنون – محجور) فالمرأة عندهم ليست مثل الرّجل بل تُعتبر في مكانة دنيا وتُصنف مع الصّغير ومع فاقد العقل (المجنون) لا حقوق لهم.

ومقصد الخطيب من ذلك هو بيان الفرق بين مكانة المرأة في الإسلام ومكانتها في التّشريعات الأخرى وإثبات الأفضلية للإسلام.

ويقول أيضا في نفس السّياق " **فأين هذا من الحضارة المزعـــومـــــة المعاصرة ...؟**"[3].

فالخطيب يصف الحضارة الغربيّة باسم المفعول (المزعومة) أي المشَكَّك في أمرها؛ لأنها تحسب الأفضلية في القوانين والشّرائع التي سنّتها لحماية حقوق المرأة باسم الحرّية والتّقدم والمعاصرَة، لكن أنَّى لها ذلك؟

واستجلاب الخطيب لهذا الوصف كان بقصد بيان مدى اهتمام الإسلام بالمرأة والحفاظ على حقوقها، وتفنيد لكل ما سنّته الحضارات الأخرى من قوانين بحقّها، وإقناع الجمهور المتلقي بهذه الحقائق كي لا ينساق وراء كلّما أقرته هذه الحضارات المزعومة بخصوص المرأة.

أمّا في خطبة " حقوق الطّفل في الإسلام " نجد الخطيب يقول: " **الإجهاض عندنا ممنـــوع في الإسلام بل إنّ إسقاط الجنين يوجب ديّة لأنّه أزهق نفسا** "[4].

---

[1] المرجع نفسه.

[2] طهراوي أحمد، خطبة: المرأة في الإسلام.

[3] المرجع السابق.

[4] محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام.

فالوصف باسم المفعول(ممنوع) وظّفه الخطيب بقصد بيان الحكم الشّرعي للإجهاض في الإسلام والتّأثير في الجمهور المتلقي بهذه الحقيقة؛ فالحكم فيه محسوم لا رجعة فيه، لما يتبعه من ضررٍ وهضمٍ لحقوق الطّفل من جهة، ومن جهة أخرى هو إزهاق للرّوح والنّفس لذلك فهو ممنوع، ومن وقع فيه وجبت عليه الديّة.

كما يقول: " **أنا أتمنّى على الأخوة الكرام لا تغفل عن ميزات المسلمين، تتمتّع بتماسك أسري، الأب مقدّس، الأم مقدّسة، الأولاد مقدّسون، لذلك أوّل حقّ للطفل على أبيه أن يحسن اختيار أمّه** "[1].

فالملاحظ أنّ الخطيب يُشيد بالتّماسك الأسري في الإسلام بقصد التّرغيب والتّحبيب، فيصف أفراد الأسرة بصيغة اسم المفعول (مقدّس) ويطلقها على الأب والأمّ والأولاد بهدف بيان المكانة العظيمة لكلّ منهم والتي كرّمهم بها الإسلام، ولكي يُحسن الأب منذ البداية اختيار الأمّ المناسبة لابنه، وهو طبعًا حقٌّ من حقوق هذا الابن.

ويقول أيضًا بشأن حقّ الطّفل في الرّضاعة الطّبيعية: " **أما فطام الابن لا يمكن أن يكون قرارًا من أمّه وحدها ولا من أبيه، قرار مُشْتَـــــرَك بالأحكام الفقهية** "[2].

فقرار فطام الابن من الرّضاعة ليس للأم أو الأب فقط بل هو قرار شرعيّ أولا استنادا لقوله تعالى: " وَالوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ "[3] ثم يشترك فيه الأبوان؛ فتوظيف اسم المفعول (مشترَك) دليل على أن القرار يكون جامعًا ليس قرارًا فرديًّا عشوائيًّا، فهو يستند لحكم شرعيّ يفصل في الأمر، ثم يأتي دور الأمّ والأب المشاركين فيه أيضًا، وكلّ ذلك إثباتًا للحقّ الكامل للطّفل في الرّضاعة والفطام.

ومن هنا يمكن القول أنّ توظيف الوصف في الخطب المنبريّة الدّينيّة لم يكن اعتباطًا، بل له دور كبير في بيان مقاصد الخطيب وإيضاحها وفهمها...وبالتّالي هي حجّة في صالحه يستطيع من خلالها توجيه الجمهور المتلقي فيدفعهم إلى تعديل سلوك معين أو ترسيخ حقيقة ما...

فالصّفة واسم الفاعل واسم المفعول هي أدوات مؤثّرة في المتلقي، مساعدة على فهم مقاصد المخاطِب الرّامية إلى تقديم حقائق معيّنة في سياق النّصح وآدابه، موضوع المرأة في الإسلام، التّداوي من الأمراض والأوبئة، وحقوق الطّفل في الإسلام، وإزالة ما يعتري ذلك المتلقي من شكوك بشأن هذه الموضوعات.

4تحصيل حاصل (التّكرار):

---

[1] المرجع السابق.

[2] محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام.

[3] سورة البقرة، الآية 233.

التّكرار "هو دلالة اللّفظ على المعنى مردّدا"[1]، وبما أنّ الوصول إلى مقاصد المتكلّم تكون عن طريق آليّات معينة فإنّ التّكرار يُعدُّ واحدا منها؛ إذ أحيانا يحتاج المتكلّم أثناء محاولته إقناع المتلقي بالفكرة المراد إيصالها إليه أن يكرّر ويردّد من أجل التّبليغ والإفهام من جهة وترسيخ الرّأي أو الفكرة من جهة أخرى[2]، لهذا يستعين بالتّكرار ويعتبره رافدًا ومعينًا له في تقريب مقاصده وبالتّالي التّأثير في المتلقي ومن ثمّ ضمان إذعانه وتسليمه.

والتّكرار هو أن يأتي المعنى مردّدا، فمنه من يكون له فائدة ومنه من لا فائدة ترجى منه، ويسمى المفيد منه: الإطناب، وغير المفيد: التَّطويل[3].

وهو "ينقسم إلى قسمين:

-أحدهما في اللّفظ والمعنى

-والآخر يوجد في المعنى دون اللّفظ

فأمّا الذي يوجد في اللّفظ والمعنى فكقولك لمن تستدعيه: ((أسرع أسرع)) وأمّا الذي يوجد في المعنى دون اللّفظ فكقولك: ((أطعني ولا تعصني)). فإنّ الأمر بالطاعة نهي عن المعصية "[4].

لقد ورد تحصيل الحاصل في الخطب المنبريّة الأربع بمقاصد اختلفت حسب السياق الذي رُصدت فيه، والتي يمكننا إجمالها في الآتي:

4-1 تكرار لشدّ انتباه المتلقي والهيمنة على تركيزه:

غالبا ما يعمد الخطيب إلى التّكرار والتّرديد في الخطب المنبريّة بدرجة واضحة وجليّة، وذلك لما يستدعيه مقام الخطب الدّينيّة وما تحمله من إرشاد ووعظ وفتح لبصيرة المتلقي، إضافة لما يمنحه من قوّة خاصّة، متمثّلة في تأكيد الفكرة وتقويتها في نفوس وقلوب السّامعين وغيرها من الوظائف الكثيرة، لهذا يلجأ إليه الإمام وهو على المُنبر ويحاول لفت انتباه المتلقي من خلاله" لما له من وقع صوتي في الأذن؛ لأنّه يُعدّ مركز الإيقاع في جميع حالاته"[5]؛ فبه يستطيع السّيطرة على تركيز الجمهور السّامع، ومن ثمّ تمرير خطابه إلى غاية الوصول إلى التّأثير فيه وإقناعه بعد ضمان وصول المقاصد إليه. وعليه فإنّ استثمار تحصيل الحاصل في الخطب لهو رافد لما سيتبعه من آليات تستند في تطبيقها على الاستحواذ على انتباه المتلقي

---

[1] ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد حوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة،ج3، (دط)، (دت)، ص03.

[2] ينظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم بنيته وأساليبه حتى نهاية القرن الثاني للهجرة، عالم الكتب الحديث، أربد الأردن، (دط)، 2008، ص21-22.

[3] ينظر: أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها، المجمع العلمي العراقي، ج2، (دط)، 1983، ص338-339.

[4] ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج3، ص03.

[5] مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، ص153.

والسّيطرة على تركيزه عن طريق التّكرار سواء اللّفظي أم المعنوي. وقد تجلّى ذلك في خطبة أهميّة النّصيحة وآدابها؛ إذ يقول الخطيب:" **النّصيحة – عباد الله – كلمة يُعبّر بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له، وأصل النّصح هو الخلوص والصّفاء والصّدق وعدم الغشّ (...) والحقّ الذي لا غبار عليه أنّه لا خير في مجتمع أفئدة بنيه في التّناصح هواء، ولا خير في مجتمع آذان ذويه كالأقماع يدخل النّصح مع اليمنى فلا يلبث أن يخرج مع اليسرى (...) النّصح – أيّها المسلمون – ينبغي أن يقوم على آداب جلُّى وسمات غُداف، تجعل الحقّ من خلاله مقبولًا والنّصح بين النّاس منشورًا وباذله والمتسبّب فيه مأجورًا غير مأزور.(...) كما ينبغي للناصح أن يصابر ويجاهد نفسه على تحمّل أعباء هذا الميدان**"[1].

كما نجد الخطيب في خطبة " التّداوي من الأمراض والأوبئة " يقول: " **تذاكرنا الجمعة الماضية من وسائل التّصدي لهذا الوباء الحمية والوقاية والدّواء والعلاج والتّوكل على الله سبحانه وتعالى وهي وسائل ماديّة جسميّة ووسائل عقديّة دينيّة، ومن الوسائل كذلك خاصّة نحن أهل الإيمان من الوسائل التي نتصدّى بها للأمراض ونتصدّى بها للأوبئة والأسقام والهموم والأزمان والشّدائد التّداوي بالقرآن الكريم** "[2].

أمّا في خطبة " حقوق الطّفل في الإسلام "نجد الخطيب يقول: " **الآن أهمّ حقّحقّه في النّسب...ومنها حقّه في الحضانة ...ومنها حقّه في النّفقة عليه...ومنها حقّه في التّربية...ومنها حقّه في الملاطفة والمداعبة...ومنها حقّه في الحفاظ عليه وعدم لعنه وسبّه والدّعاء عليه ...ومنها حقّه في العلاج، لا تعذّبوا صبيانكم...ومنها احترام شخصية الصّغير**"[3].

إنّ هذه الأمثلة وغيرها الكثير تكشف لنا عن مدى اعتماد الأئمة في خطبهم المنبريّة على التّكرار لشدّ انتباه جمهورهم السّامع والاستحواذ على تركيزهم استعدادًا لما هو آتٍ بعده؛ فمن خلال تكرار الشّريم لكلمة النّصيحة والنّصح والنّاصح والتّركيز عليها استطاع الهيمنة على المتلقي لتمرير خطابه ومقاصده المرجوّة منه، والمتمثّلة في مكانة النّصيحة في المجتمعات وفائدتها عند الله والنّاس أجمعين، بعد أن يتحلّى النّاصح بآدابها ويكابد ويصابر نفسه، لأنّ طرق باب النّصيحة ليس بالأمر اليسير والمتاح للجميع.

وفي سياق حديث الخطيب عن العلاج في خطبة " التّداوي من الأمراض والأوبئة " نجده يكرّر كلمة " وسائل" و " التّصدي" وذلك بهدف لفت انتباه الجمهور وجعله يركّز في أنواع تلك الوسائل التي اختلفت بين التي ذكرها في خطبة جمعة ماضية

[1] سعود بن إبراهيم الشريم، خطبة: أهمية النصيحة وآدابها.

[2] أحمد بن علي سعود، خطبة: التداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشريعة الإسلامية.

[3] محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام.

وسابقة لما ذكره في هذه الخطبة، وتكراره لكلمة نتصدّى فيه إشارة لجعل تركيز المتلقي منصبًا حول كيفيّة إيجاد حلول للخلاص من الوباء.
أما تكرار كلمة " حقّ" في خطبة حقوق الطّفل في الإسلام فيه إحالة إلى تمتّع الطّفل المسلم بحقوق كثيرة على المتلقي أن ينظر إليها بعين العقل والقلب وأن يضع جلّ تركيزه عليها قصد فهمها واستيعابها وبالتّالي العمل بها .

4-2 تكرار قصد إبراز الحجّة وتجليّاتها:

إبراز الحجّة وتجليّاتها تعّد مقصدًا يصبو إليه الخطيب من خلال تقنية التّكرار بنوعيه اللّفظي والمعنوي، ففي الغالب يعمدُ الخطيب إليه ليس للتّوكيد فقط بل لأجل الحجاج، بل إنّه ليشكّل سمة بارزة من سمات النّصوص الحجاجيّة، ويُعد رافدًا مُهمًّا يرفد البراهين والحجج التي تطرح فكرة ما في أيّ خطاب كان[1]، لهذا فقد تغيّرت النّظرة إليه ولم يعد مجرّد حشو أو تحصيل حاصل لا يقدّم شيئًا للخطاب أو مجرّد " تقنية أسلوبية، غُنّة آلية "[2]بقدر ما أصبح آليّة لغويّة يضعها المحاجج في حسبانه أثناء التّلفّظ بغرض إيصال مقاصده وحججه إلى المتلقي.وممّا ورد منه في الخطب المنبريّة الأربع نذكر:
قول الخطيب في " التّداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشّريعة الإسلاميّة: **" لقد كان السّلف لقد كان التّابعون يستشفون ويسترقون بالقرآن والصّدقة يرون القرآن خير شفاء، إذ أنّه كلام ربّ العالمين ويرون الصّدقة خير وقاء، إذ أنّها أفضل ما يتقرّب إلى الله سبحانه وتعالى به إليه ألا وهو ماله وفضله"**[3].
ويقول أيضا **:" القرآن شفاء للقلوب بزوال الجهل والرّيب عنها والقرآن شفاء للأبدان من الأمراض بالرّقيّ والتّعاويذ"**[4].
وفي خطبة " المرأة في الإسلام " يقول الخطيب: **"...ومع ذلك كلّه فهن موضع للفتنة، وأوّل فتنة بني إسرائيل كانت في النّساء"**[5].
ويقول أيضا: **" فعندما تكون بنتا ضعيفة لا حول لها ولا طول يأمر أباها وأمها بحسن رعايتها وتوفير حاجاتها"**[6].
وفي خطبة " حقوق الطّفل في الإسلام " وفي سياق الحديث عن حقّ الطّفل في الرّضاعة الطّبيعية يقول الخطيب: **" العقاب الإلهي للنّساء اللّواتي أبين إرضاع**

---

[1] ينظر: سامية دريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد/ الأردن، ط2، 2011م ص168.
[2] لزهر كرشو، الحجاج والهرمينوطيقا في الخطاب أنطولوجيا الهوية والرسالة، أعمال الملتقى الدولي الثالث يومي 14/13 نوفمبر2018، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، ط1، 2020، ص387.
[3] أحمد بن علي سعود، خطبة: التداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشريعة الإسلامية.
[4] المرجع نفسه.
[5] طهراوي أحمد، خطبة: المرأة في الإسلام.
[6] المرجع نفسه.

أولادهنورم خبيث في الثّدي: بالمناسبة أكثر حالات سرطان الثّدي تُصاب به نساء أبين إرضاع أولادهن من أجل شكلهن، فالعقاب الإلهي ورم خبيث في الثّدي"[1].

إن التّكرار الوارد في الأمثلة أعلاه يكشف لنا وجهًا آخر من أوجه توظيف المتكلّم للتّكرار في الخطب المنبريّة الدّينيّة، ولعلّه الوجه الأبرز الذي من أجله يُوظّف؛ إذ كما أشرنا سابقًا أنّه يعدُّ آليّة أو تقنية من تقنيّات الحجاج، فهذه الكلمات التي تتكرّر على مسامع الجمهور في سياقاتها المناسبة تعمل على إقناعهم فتدفع بهم إلى التّسليم والإذعان لما يدافع عنه الخطيب من أفكار و مقاصد، خاصّة وأنّ " تكرار الكلام وترديده على مسامع المخاطب يكون بمثابة حجّة يُحتجّ بها عليه"[2] في بعض الأحيان.

إذ يبدو من خلال تكرار الخطيب لكلمتي " القرآن " و " الصّدقة " سواء التّكرار اللّفظي أم المعنوي أنّه أراد من ذلك إثبات الحجّة على الجمهور السّامع الهاجر التّارك لكتاب الله والتّصدق من ماله متناسيا فضلهما الكبير كالوقاية من الأمراض والأوبئة، وبالتّالي فالمحاجج هنا يُثبت لهم الطّاقة الكامنة وراء التّمسك بالقرآن الكريم والصّدقة عن طريق التّكرار كي تكون حجّة عليهم يوم يتخلّون عن هتين العبادتين أو يتهاونوا في تنفيذهما. وهو ما عمد إليه كذلك في المثال الثّاني من تكراره لـــ: " القرآن، شفاء ".

أما تكرار الخطيب للفظة : " الفتنة " في خطبة " المرأة في الإسلام " في سياق حديثه عن أهميّة المرأة والمكانة التي حباها بها الله تعالى معليًا شأنها ومؤكدًا لحقوقها، فأراد الخطيب من خلالها أن يثبت الحجّة على جمهوره السّامع، فلا يجب أن يتجاهل أنّ تلك المكانة تُخرجها من بوتقة كونها فتنة ومصدر خوف وقلق، إذا لم تُسيَّج بحدود رسمها الله تعالى لها اتّقاء للفتنة التي يمكن أن يلقاها المجتمع إن لم تحط نفسها بها. وفي سياق حديثه عن إكرام الإسلام للمرأة وهي بنت، استعان الخطيب بالتّكرار المعنوي " ضعيفة " " لا حول لها ولا طول " ليثبت حجّته لجمهوره السّامع حول ما أقرّه الإسلام في شأنها، أي يتولّى الأب والأمّ رعايتها وتوفير حاجاتها ومتطلّباتها.

وفي خطبة " حقوق الطّفل في الإسلام " كرّر النّابلسي عبارات: " العقاب الإلهي " ، " أبين إرضاع أولادهنّ " ، " ورم خبيث في الثّدي " أثناء حديثه عن الرّضاعة الطّبيعية كحقٍّ من حقوق الطّفل أقرّها الدّين الإسلامي، وتكراره لهذه العبارات بالذّات ما هي إلا حجّة رفعها الخطيب ضدّ كلّ معارض لفكرة الرّضاعة الطّبيعية أو متردّد في تصديقها والعمل بها لأغراض مختلفة، وجعل من ظهور الورم

[1] محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام.

[2] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ت: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، (1952م-1371ه)، ص156.

الخبيث للمرأة في ثديها ما هو إلّا عقاب إلهي لكلّ من أبت إرضاع ابنها وحرمته من حقّه إرضاء لغرائزها.

إذن يمكن القول أنّ التّكرار في هذه الأمثلة المختارة كان له وقع في القلوب وأثر بالغ في الأسماع والأذهان ما يسوّغ له أن يكون رديفًا مميّزًا للحجاج متى وُضع في سياقه المناسب، وبالتّالى ينفي بذلك احتمالية إيراده دون حصول الفائدة منه.

4-3 تكرار قصد الحثّ والتّوجيه :

إذا كان التّكرار يُوظّف قصد لفت انتباه المتلقي نحو أفكار وقضايا عالقة في ذهن الخطيب قد يحتاج إلى البرهنة عليها بواسطته، فإنّه يُوظّف كذلك قصد التّوجيه إلى فعل شيء معيّن أو الكفّ والانتهاء عنه، ومنه " إلى تغيير سلوك المخاطب حالًا"[1].

وممّا ورد منه في الخطب المنبريّة:

قول الخطيب في خطبة " أهميّة النّصيحة وآدابها": **" فالواجب على العاقل – عباد الله – لزوم النّصيحة للمسلمين كافّة، وترك الخيانة لهم بالإضمار والقول والفعل معًا، وخير النّاس أشدّهم مبالغة في النّصيحة،(...) وضرب النّاصح خير من تحيّة الشانئ، ولا يمنع التّمادي في النّصح والإكثار فيه عدم القبول من المخالف أو عدم رضاه ، لأنّ العبد المسلم مأمورٌ بالتماس رضا الله وحده ولو كان بسخط النّاس"**[2].

وفي خطبة " التّداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشّريعة الإسلاميّة " نجد الخطيب يقول:**" اتّقوا الله وقولوا قولا سديدًا اتّقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتّقوا الله إنّ الله خبير بما تعملون"**[3].

كما يقول النّابلسي في " حقوق الطّفل في الإسلام ":**" أمّا السّقط يُصلّى عليه ويُدعى لوالديه بالمغفرة والرّحمة، أمّا إذا نُفخ فيه الرُّوح يُغسَّل ويُصلّى عليه، احترامًا للسّقط هكذا جاءت الشّريعة"**[4].

فظاهر تكرار كلمة " النّصيحة " في المثال الأوّل كان من باب التّوجيه والحثّ على الالتزام بها، مهما كانت ردة فعل الطّرف الآخر سواء قابلها بالقبول أم الرّفض، لأنّ رضا الله هو الغاية والهدف.

أمّا في تكرار " اتّقوا الله " في المثال الثّاني فالملاحظ أنّ الخطيب أردفه بفعل الأمر، ممّا جعل دلالة التّوجيه المباشر ترمي بظلالها على مقصده.

---

[1] علي محمد علي سليمان، الحجاج عند البلاغيين العرب، ضمن الحجاج والاستدلال الحجاجي، إشراف: حافظ اسماعيل علوي، دار ورد للنشر والتوزيع، ط1، 2011، ص33.

[2] سعود بن إبراهيم الشريم، خطبة: أهمية النصيحة وآدابها.

[3] أحمد بن علي سعود، خطبة: التداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشريعة الإسلامية.

[4] محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام.

والحال ذاته في تكرار الخطيب لعبارة : " يُصلّى عليه " أي " السّقط" في خطبة "حقوق الطّفل في الإسلام"، إذ عمد إلى إرشاد السّامعين لما يجب عليهم القيام به مع الجنين في حالة السّقط على اعتبار أنّه باب من أبواب حقوق الطّفل في الإسلام.
لهذا فإنّ التّكرار قد يستعمله الخطيب في الخطب المنبريّة قصد حثّ وتوجيه وإرشاد الجمهور السّامع إلى ما فيه خير ونفع لهم إن في الدّار الدّنيا أو الآخرة، أو هما معًا، وهو ما يسوّغ إيراده بكثرة فيها.

4-4 تكرار قصد التّعظيم:

كما قد يُوظف التّكرار في الخطب المنبريّة الدّينيّة قصد وضع شيء في حجمه اللّائق به، أو لنقل قصد التّعظيم والإعلاء من شأن شيء أو أمر معيّن لأهميّته ولإبراز جانبه النّفعي، وهو ما يمكن أن يكون وقعه أشدّ وأثره أبلغ، وبالتّالي يدفع ذلك الجمهور المتلقي إلى التّمسك بذلك الأمر وتغيير سلوكهم نحو ما يعارضه ويخالفه. وممّا رُصد منه في الخطب التي بين أيدينا نذكر:
في خطبة " حقوق الطّفل في الإسلام " يقول النّابلسي:**" الأب مقدّس، الأمّ قدّسة، الأولاد مقدّسون"**[1].
كما يقول:**" أيّها الإخوة الكرام، حقيقة أردّدها كثيرًا لم يبق في أيدي المسلمين من ورقة رابحة إلاّ أولادنا، أولادهم هم المستقبل، لعلّ الله عزّ وجلّ يُعيد مجد هذه الأمّة على يد أولادنا، الأولاد ثروة كبيرة يحتاج المجتمع إلى قادة في المستقبل، قد رُبُّوا تربيّة صحيحة، رُبوا تربيّة أخلاقيّة، تربيّة إسلاميّة، تربيّة اجتماعيّة، تربيّة نفسيّة، تربيّة علميّة"**[2].
ويقول أحمد بن علي سعود في خطبته " التّداوي من الأمراض والأوبئة ":" **فالقرآن دواء وصفه له تعالى ودعانا النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى العلاج به وما أعظمه وما أعظمه من علاج إذا ضُمَّ إليه ذكر الله تعالى"**[3].
ويقول أيضًا في نفس السّياق**: " وما أجمل إذا أُضيف إلى التّداوي بالقرآن والتّداوي بقيام اللّيل والتّداوي بالصّدقة، ما أفضل إذا أُضيف إلى هذا كلّه التّداوي بصلة الأرحام، التّداوي التّداوي التّداوي التّداوي بصلة الأرحام"**[4].
فتكرار ألفاظ كـ : " مقدس "، " أولاد "، " رُبوا تربيّة " في خطاب النّابلسي فيه إشارة إلى رسالة الإسلام في شأن الطّفل أو الأسرة عموما؛ إذ جعل من الأسرة هي أساس المجتمع، يثبت صلاحه بصلاحها والعكس صحيح، وبالتّالي قدّس أفرادها ووضع كلّ واحد منهم في مكانه اللّائق، لهذا فإنّ تكرار كلمة " مقدّس" في هذا السّياق قصد الخطيب من ورائها التّعظيم وإبراز المكانة ودحض كلّ ما يخالفها

[1] محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام.
[2] المرجع نفسه.
[3] أحمد بن علي سعود، خطبة: التداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشريعة الإسلامية.
[4] المرجع نفسه.

ويخالف تعاليم الإسلام بهذا الشّأن، أو ينحاز نحو الدّعايات المغرضة الرّامية إلى تقديم قانون الأسرة في الدّيانات الأخرى على قانونها في الإسلام.

ولأنّ موضوع الخطبة خاصّ بفرد من أفراد الأسرة الإسلاميّة ألا وهو "الطّفل"، نلاحظ أنّ الخطيب كرّر كلمة " أولاد " مرارًا في المثال الموالي ليثبت تلك العظمة التي أولاها الدّين الإسلامي لهم، وكي يدعو المخاطبين للاهتمام بهذه الفئة وعقد آمال مستقبلية عليها، شرط التّحكم بسلوكاتها والاهتمام بعقيدتها ومبادئها السّليمة ... فكلّما غُذي الابن بالتربيّة القويمة الصّحيحة كلّما عَظُم دوره في النّهوض بأمّته مستقبلًا. وتكرار عبارة " رُبوا تربيّة " والتّركيز عليها بالإضافة إلى قصد التّعظيم أراد النّابلسي توجيه سلوك المخاطبين وجعلهم يهتمّون بتربية أبنائهم.

أمّا في خطبة أحمد بن علي سعود " التداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشّريعة الإسلاميّة " وفي سياق حديثه عن الاستشفاء بالقرآن الكريم، عمد إلى تكرار عبارة " وما أعظمه "قصد بيان عظمة الأخذ بهذا الدّواء الذي يكتمل نفعه إذا أضيف له ذكر الله تعالى.

وبعد عرضه لأنواع الأدواء الأخرى بعد التّداوي بكلام ربّ العالمين،كالتّداوي بقيام اللّيل والصّدقة نجده يركّز على دواء آخر، لما له من أثر على المسلم الذي يتمسّك به، يتمثّل في التّداوي بصلة الرّحم، ولبيان مكانة هذا الدواء وجدناه يكرّر لفظة " التّداوي " خمس مرات ليكشف بعدها عن الدّواء (صلة الرّحم)، فبالتّكرار هنا استطاع أن يلفت انتباه جمهوره السّامع وتوجيههم لأمر عظيم له فائدة ونفع لهم في الدّارين، ولما له من فعل السّحر في الوقاية من الأمراض والأوبئة.

فمن هنا يبرز الدّور الفعّال للتّكرار في الخطب المنبريّة المسجديّة في مساعدة الجمهور المتلقي على فهم المقاصد التي غالبًا ما تُفهم من سياق القول الذي وردت فيه.

ثانيا: الآليّات التّداوليّة ودورها في إجلاء مقاصد الخطب المنبريّة الدّينيّة:

1-السُّلميات الحجاجيّة وتوجهاتها القصديّة:

1-1 مفهوم السُّلم الحجاجي.

تُعنى السَّلالم الحجاجيّة بدراسة التدرّج في المسار الحجاجي،" وهي تدرس الحجاج انطلاقا من قول الحجّة إلى نتيجتها وطريقة التّلازم والتّعاقد بين الحجج للوصول إلى النّتيجة"[1]، لذلك فهي تهتمّ بمبدأ التّدرج في توجيه الحجج المؤديّة لنفس النّتيجة بداية من الحجّة الأضعف نحو الحجّة الأقوى، إضافة إلى أنّه يمكن تضمين حجّتين أو أكثر متفاوتة في قوّتها الحجاجيّة[2]، ويكون القصد هو المتحكّم في ذلك، فيقول **طه عبد الرّحمن**في هذا الصّدد: " قد تدخل المراتب لا على الألفاظ وحدها، بل كذلك على الجمل فيكون القصد عاملا في تحديد اتجاه المراتب التي تنزلها هذه الجمل؛ مثال ذلك أن يقصد المتكلّم "التوقّف عن العمل متى شعر بالملل" وبالأولى "متى غلب عليه النّوم"؛ فالقولان "شعر بالملل" و" غلب على المتكلّم النّوم" هما بمثابة مرتبتين متفاوتتين بينهما، بموجب القصد الذي للمتكلّم في التوقّف عن العمل"[3]

وهي تقوم على مبدأين:

***القسم الحجاجي:** وعرفه **ديكرو** بقوله: " إنّ المتكلّم، في وضعية خطاب محدّدة، يمكن أن يضع ملفوظين في قسم حجاجي واحد يفضي إلى نتيجة (ن) بشرط أن يكون الملفوظان يقودان ويخدمان نفس النّتيجة، ويقصد به أنّ المتكلّم عندما يذكر قولين(ق1)، (ق2) لموقف حجاجي واحد تحددهما النّتيجة (ن)، فإذا انتمى قولان أو أكثر إلى باب حجاجي واحد فذلك يعني أنّهما يمكنان من خدمة النّتيجة نفسها ويمثلان اختيار متكلّم واحد"[4].

***القوّة الحجاجيّة:** " تنتظم الحجج التي تنتمي إلى قسم حجاجي واحد في علاقة ترتيب إذ إنّ بعض الحجج أقوى من بعضها، فإذا قدّم المتكلّم قولين (ق1)، (ق2) منتميين إلى قسم حجاجي واحد سنقول عن (ق2) إنّ المتكلّم قدّمه على أنّه حجّة أقوى من قول (ق1) إذا كانت النّتيجة (ن) المستخلصة من (ق1) تستلزم النّتيجة المستخلصة من (ق2)"[5].

من هنا جاءت فكرة السُّلميّات الحجاجيّة عند **ديكرو** ورأى أنّ الحجّة الثّانية أقوى حجاجيًّا في الوصول إلى النّتيجة (ن) وأيسر إقناعًا بها من الحجّة الأولى؛ فحتى إن وصلا إلى نفس النّتيجة فليسا بنفس الطّاقة الحجاجيّة و" الحجّة كلّما كانت أقرب إلى رأس الهرم، أي إلى القمّة كانت أنجع وأوقع في نفس المتلقي، وكلّما كانت الحجّة أقرب إلى القاعدة كانت أقلّ حجاجيّة وأقلّ تأثيرًا في المتلقي"[6].

ولا بدّ للسُّلميّات الحجاجيّة من شرطين حتى تؤدي دورها الحجاجي وهما[7]:

---

[1] عايد جدوع حنون، ثائر عمران الجنابي، الحجاج في القرآن الكريم آيات الأحكام نموذجا، عالم الكتب الحديث، إربد/ الأردن، (دط)، 2020م، ص51.

[2] ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 21-22.

[3] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص275.

[4] عايد جدوع حنون، ثائر عمران الجنابي، الحجاج في القرآن الكريم آيات الأحكام نموذجا، ص52.

[5] المرجع نفسه، ص52.

[6] المرجع نفسه، ص53.

[7] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص277.

1 – كلّ قول يقع في مرتبة ما من السّلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطّرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

2– كل قول كان في السّلم دليلًا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلًا أقوى عليه.

وما يثبت صحّة السُّلميّات الحجاجيّة هو التّلازم في عمل المُحاجّة بين القول (الحجّة)، والنّتيجة (ن)، وبالتالي فإنّ الحجّة بالسُّلميّات لا تعدّ حجّة إلّا إذا أُضيفت لها نتيجتها التي قد يُصرّح بها، كما قد تكون ضمنيّة. وكمثال على ذلك نقول[1]:

(حصل أحمد على جائزة برونزيّة، وفضيّة بل على ذهبيّة أيضًا)

فهذه الجملة تتضمّن حججًا تنتمي إلى سلّم حجاجي واحد، ملزم بنتيجة ضمنيّة واحدة تتمثّل في (كفاءة أحمد)، إلا أنّ القول الأخير يُعدّ في أعلى درجة من السُّلم الحجاجي؛ لأنّ نيله الجائزة الذّهبيّة وباعتبارها أكثر قيمة من سابقتيها، فهي إذن أقوى حجّة تثبت كفاءته الرّياضيّة.

النّتيجة: كفاءة أحمد

ح3 الذّهبيّة

ح2 الفضّية

ح1 البرونزيّة

2-1 قوانين السّلم الحجاجي:

قانون الخفض: فحواه أنّ النّفي اللّغوي الوصفي يكون مساويًا للعبارة " أقلّ من" فالجمل:

-الجوّ ليس باردًا.

-لم يحضر كثير من الأصدقاء إلى الحفل[2]

تستبعد التّأويلات التي ترى أن الجوّ بارد وأنّ الأصدقاء كلّهم حضروا إلى الحفل.

ويمكننا صياغة قانون الخفض كالآتي:

إذا كان ليدينا ملفوظ (م) على سلّم حجاجي، وتحققنا منه في منطقة (ط) من المدراج الموافق ل (م)، فإنّ الملفوظ (لا م) يمكن التّحقق منه فقط في المنطقة الأقلّ من (ط) على نفس المدراج[3].

قانـــون النّفـــي:ويقصد بــه أنّه إذا قدّم المتكلّم قولا ما (أ) لخدمة نتيجــة معيّنة (ن)، فإنّ نفيه (أ~) سيكون حجّة لصالح النّتيجة المضادة (لا ن)[4]

"فإذا كان (م) ينتمي للفئة الحجاجيّة المحدّدة بواسطة (ن)، فإنّ (م~) (لام) ينتمي للفئة الحجاجيّة المحدّدة بواسطة (لان). فعندما نقول مثلًا أنّ فلانًا نجح في الباكالوريا لنستنتج

---

[1] عايد جدوع حنون، ثائر عمران الجنابي، الحجاج في القرآن الكريم آيات الأحكام نموذجا، ص54.

[2] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 24.

[3] ينظر: عبد الواحد بن السيد، الحجاج في الخطابة، تقديم: أبو بكر العزاوي، عالم الكتب الحديث، إربد/ الأردن، ط1، 2020م،ص53. وينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص277.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص51.

كفاءته، فإنّ الملفوظ " لم ينجح فلان في الباكالوريا" يؤدي إلى استنتاج عدم كفاءته، أو عندما نمدح شخصًا ما بأن نقول بأنّه يمتلك ميزة ما، فإنّنا نعتبر القول بعدم امتلاكه تلك الميزة نقدًا في حقّه"[1].

قانون القلب:ومقتضاه أنّه "إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التّدليل على مدلول معين، فإنّ نقيض الثّاني أقوى من نقيض الأول في التّدليل على نقيض المدلول"[2]، ومثال ذلك قولنا:

"-حصل زيد على الماجستير، وحتى الدّكتوراه.

-لم يحصل زيد على الدّكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير.

إنّ حصول زيد على الدّكتوراه، أقوى دليل على مكانته العلميّة، بينما عدم حصوله على الماجستير هو الحجّة الأقوى على عدم كفاءته العلميّة"[3].وتُعد السُّلميّات الحجاجيّة من بين الآليّات التي يستعين بها المتكلّم لتقرب مقاصده إلى المتلقي عن طريق تتبّع الحجج الأقوى والتي يكون وقعها أشدّ وبالتّالي تمارس عملية التّأثير فيه وكسب إذعانه، وهو ما فعله الأئمة الأربعة في خطبهم المنبريّة ونذكر منها:

في خطبة " التّداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشّريعة الإسلاميّة" يقول الخطيب:**" إنّ الذي يقي عباده من شرّ وهول وبلاء يوم القيامة لقادر أن يقي عباده من هموم وبلايا أيّام الدّنيا بالصّدقة "**[4].

فالخطاب هنا إلى الجمهور السّامع، حيث يريد المحاجج توجيههم للاهتمام بالصّدقة وفائدتها العظيمة في القضاء على البلاء بشتّى أنواعه، وقد مثّل هذا الأمر النّتيجة المضمرة المراد تحقيقها في هذا القول بإيراد حجّتين متفاوتتين في القوّة والضعف مرتّبة وفق سلّم حجاجي لخدمة نتيجة واحدة. فالحجّة الأولى: (وقاية العباد من هول وبلاء يوم القيامة)، والحجّة الثّانية: (وقاية العباد من هموم وبلايا أيّام الدّنيا)، فالحجّة الأولى أقوى دليل على أهميّة الصّدقة يوم القيامة وفائدتها في دفع البلاء، تليها الحجّة الثّانية، ويمكن توضيحها بالسلّم الآتي:

النّتيجة(ن): أهميّة الصّدقة وفائدتها

↑

وقاية العباد من شرّ وهول وبلاء يوم القيامة

وقاية العباد من هموم وبلايا أيّام الدّنيا

وفي خطبة " المرأة في الإسلام " يقول الخطيب: " **وظلّت المرأة نموذجا يُحتذى به في العلم والفقه والعزّة بالإسلام** "[1]، في سياق حديثه عن نماذج من النّساء اللّواتي أثبتن كفاءتهنّ

[1] المرجع نفسه، ص51.

[2] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص278.

[3] عبد الواحد بن السيد، الحجاج في الخطابة، ص52.

[4] أحمد بن علي سعود، خطبة: التداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشريعة الإسلامية.

العلميّة والدّينيّة، واللّواتي صرن قدوة يُحتذى بها، وبالتّالي فإنّ النّتيجة المرجو الوصول إليها من هذه الحجّة ضمنيّة تتمثّل في الاقتداء بالمرأة،ليس في كلّ شيء بل في طلب العلم عمومًا(الحجّة الأولى)، ثم الفقه خصوصًا (الحجّة الثّانية)، ثمّ العزّة بالإسلام (الحجّة الثّالثة)، وهذه الحجج متفاوتة من حيث القوّة والضّعف، أو يمكن القول أنّها متفاوتة من حيث العموم والخصوص والأخصّ، ويمكن تمثيلها على السلّم كالآتي:

(ن) الاقتداء بالمرأة

في العلم

في الفقه

في العزّة بالإسلام

وفي خطبة " أهميّة النّصيحة وآدابها " يقول المحاجج في التّفريق بين المجتمع الذي يتقبّل النّصيحة، والمجتمع الذي لا يتقبّلها: " **... وبين مجتمع آخر يجعل أصابعه في آذانه ويستغشي ثيابه ويُصرّ ويستكبر استكبارًا** "[2]، فالنّتيجة هنا أيضًا ضمنيّة تتمثّل في (عدم قبول النّصيحة)، تلاها مجموعة حجج متفاوتة من حيث القوّة والضّعف، يبدأ بأضعفها: يجعل أصابع في آذانه (الحجّة الأولى)،كي لا يسمع النّصيحة دليل على رفضها تمامًا، يستغشي ثيابه (الحجّة الثّانية)، يُصرّ (الحجّة الثّالثة)، وينتهي بأقوى حجّة: يستكبر استكبارًا (الحجّة الرّابعة)، ونمثّلها على السلّم الآتي:

(ن) النّتيجة: عدم قبول النّصيحة

يستكبر استكبارًا

يُصِـــــــــــــرّ

يستغشي ثيابه

أصابعه في آذانه

وإذا كان هذا حال المجتمع الذي يرفض النُّصح، فكيف سيكون السلّم لو كان المجتمع متقبلًا لها:(ن) النّتيجة: تقبّل النّصيحة

لا يستكبر استكبارًا

لا يُصرّ

لا يستغشي ثيابه

لا يضع أصابعه في آذانه

[1] أحمد طهراوي، خطبة: المرأة في الإسلام.

[2] سعود بن إبراهيم الشريم، خطبة: أهمية النصيحة وآدابها.

ويقول محمد راتب النّابلسي في خطبة " حقوق الطّفل في الإسلام ": **"حقّه في الحضانة، الولد يحتاج إلى حنان، إلى عطف، إلى رعاية والشّريعة كفلت له ذلك "**[1].

فالنّتيجة هنا صرّح بها الخطيب: (ن) حقّ الطّفل في الحضانة، ثم أعقبها بمجموعة من الحجج التي تؤدي كلّها إلى تحقق الحضانة بدأها بالأضعف وصولًا إلى الأقوى على النّحو الآتي:

(ن) النّتيجة: حقّ الطّفل في الحضانة

يحتاج إلى رعاية
يحتاج إلى عطف
يحتاج إلى حنان

فالحجّة الأخيرة هي الأقوى باعتبار أنّها تشمل لحجتي احتياج الطّفل إلى العطف والحنان.

وعليه فإنّ السلّميّات الحجاجيّة تعدّ آلية مساعدة على كشف مقاصد المتكلّم، وذلك من خلال تتبّع النّتيجة المراد الوصول إليها وترتيب الحجج التي تؤدي إليها، وغالبًا ما تكون النّتيجة هي جزء مهم من أجزاء القضية التي يدافع عنها الخطيب، وبالتّالي فإنّ الوصول إليها وتتبّع حججها يؤدّي بالمتلقي لفهم المقاصد الجزئيّة في سياق الخطاب ومنه إلى المقاصد العامّة للخطاب ككل.

2- الرّوابط الحجاجيّة:

يُعتبر الرّابط " قرينة لفظيّة تعمل على اتّصال أحد المترابطين بالآخر"[2]، وهو حرف أو ضمير يربط بين قولين ويصل بينهما[3]، ولغتنا العربيّة زاخرة بروابط حجاجيّة عدّة نذكر منها: (بل، لكن، حتى، إذن، لأنّ، الواو، الفاء،...) وكلّها له دور فعّال في "ربط المقدّمات بالنّتائج داخل الخطاب الواحد بالانتقال من أحدهما إلى الآخر في تسلسل معين"[4]، وقد أشار **ديكرو** إلى وظيفتها الحجاجيّة حين قال: "هو الذي يربط بين ملفوظين أو أكثر في إطار إستراتيجيّة حجاجيّة واحدة"[5].

ويمكن الإشارة إلى أنواع كثيرة من الرّوابط الحجاجيّة اللّغوية نذكر منها[6]:

-الرّوابط المدرجة للحجج: ومنها: (لأنّ، مع ذلك، حتّى، بل، لكن،...).

-الرّوابط التي تدرج حججا قويّة: ومنها: (حتّى، بل، لكن، ولا سيما أنّ، ...).

-الرّوابط المدرجة للنّتائج: ومنها: (إذن، لهذا،...).

-روابط التّساوق الحجاجي: ومنها: (حتّى، ولا سيما أنّ،...).

---

[1] محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام.

[2] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة/ مصر، ط4، 2004م، ص213.

[3] ينظر: محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، دار الفرقان، مؤسسة الرسالة، بيروت/ لبنان، ط1، (1405ه- 1985م)، ص90.

[4] عايد جدوع حنون، ثائر عمران الجنابي، الحجاج في القرآن الكريم آيات الأحكام نموذجا، ص21.

[5] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص29.

[6] عايد جدوع حنون، ثائر عمران الجنابي، الحجاج في القرآن الكريم آيات الأحكام نموذجا، ص22.

-روابط التّعارض الحجاجي: ومنها: (بل، لكن، مع ذلك،...).
وعند التّدقيق في الخطب المنبريّة نجد أنّ أكثر الرّوابط الموظّفة: الفـــاء، وبـــل....
ويكن إدراجها على النّحو الآتي:

2-1 الرّابط " الفـــاء":

"يُعدُّ (الفاء) من الرّوابط الحجاجيّة التي لها أثر فاعل في ترتيب الحجج، وربط النّتائج بالمقدّمات، إذ يقوم بحصر المعنى وتحديد الفكرة، نحو الرّبط بين حجّة سابقة، ونتيجة لاحقة أو بين مجموعة حجج، ويسهم في بناء النّص وتوالده وانسجامه، ويسهم ذلك الانسجام في إقامة علاقة حجاجيّة بين الحجج والنّتائج من التّتابع، ويربط بين الأحداث ما يجعل الحدث الحجاجي عند المخاطب مقنعًا، والعلاقة التي ينتجها تُعدّ من أبرز العلاقات التّتابعية التي يحرص فيها المحاجج على ربط الأحداث والأفكار التّتابعيّة ربطًا سببيًا، فيتولّد عن ذلك استدلال مباشر للنّتيجة"[1].

ورد (الفاء) رابطا حجاجيًّا في مواضع عدَّة في الخطب المنبريّة الأربع،نأتي على ذكر بعض منها في الجدول الآتي:

الخطبـــــة	الحجـّـــة	الرّابـــط	النّتيجـــــة	المقصـــــد
أهميّة النّصيحة وآدابها	أوصيكم –أيّها النّاس- ونفسي بتقوى الله – سبحانه-	الفاء	فهي للنّفس زمام وللهوى خطام وللشّهوات والملذات فطام.	توجيه المتلقي لالتزام التّقوى لما لها من فوائد يمكن أن يجنيها، إضافة إلى أهميّة النّصيحة والحرص عليها كي ينال المتلقي البركة.
	كما ينبغي أن ينطلق نصحه من باب المحبّة والإشفاق بالآخرين	الفاء	فهو أحرى أن يبارك الله فيه ويبلغ به المقصود.	
حقوق الطّفل في الإسلام	من تعدّى على جنين فأسقطه	الفاء	فعليه ديّة.	حفظ حقّ الجنين والعدل بين الأبناء
	الإسلام يهتمّ بمشاعر الصّغار	الفاء	فأمر بالعدل التّام بين الأولاد.	
التّداوي من الأمراض	القرآن وقيام اللّيل أفضل	الفاء	فعليكم بالقرآن وعليكم بقيام اللّيل وعليكم بالصّدقة.	أهميّة التّداوي بالقرآن وقيام

[1] عايد جدوع حنون، ثائر عمران الجنابي، الحجاج في القرآن الكريم آيات الأحكام نموذجا، ص33.

والأوبئة في ضوء الشّريعة الإسلامية	العبادات والصّدقة قرب من عباد الله بمال الله			اللّيل والصّدقة وصلة الأرحام، اتّقاء لوباء كورونا وحتى بقية الأمراض والأوبئة الأخرى.
	من أحب أن يُبسط له في رزقه ويُمدّ في أجله	الفاء	فليصل رحمه.	
المرأة في الإسلام	لا عجب أن يكثر الحديث عن المرأة	الفاء	فهي تمثّل نصف المجتمع أو تزيد.	مكانة المرأة ومنزلتها في المجتمع والتّذكير بدورها العلمي قصد الاقتداء بها.
	وأفلح تعليم المرأة المسلمة في عصور الإسلام الزّاهية	الفاء	فكانت نوابغ النّساء في كافة الفنون	

2-2 الرّابط " بل":

وهي من أدوات التّعارض الحجاجي، وتُعدّ "حرفًا من حروف العوامل، ومعناه الإضراب عن الأول والإيجاب للثّاني"[1]، وقال **ابن هشام الأنصاري(ت761ه)**:"حرف إضراب فإن تلاها جملة كان معنى الإضراب إمّا الأبطال،...وإمّا الانتقال من غرض إلى آخر..."[2]، وفي إشارة الانتقال تلك دلالة على الانتقال من حجّة إلى أخرى أقوى منها أثناء ترتيب الحجج على السلّم، حيث نضرب عن الحجّة الأضعف لننتقل إلى الحجّة الأقوى منها وهكذا.

وعند تتبّعنا لهذا الرّابط في الخطب المنبريّة الأربع وجدنا بأنّه وُظف عدّة مرّات نورد منها:

قال أحمد طهراوي في خطبة " المرأة في الإسلام "، وأثناء حديثه عن مكانتها:" **كما ضمن الإسلام الأهليّة للمرأة في الحقوق الماليّة مهما كان نصيبها...بل فوق ذلك جعل الإسلام للمرأة الرّعاية في بيت زوجها، وحمّلها مسؤوليّة رعايته"**[3].فقد أراد الخطيب في قوله هذا توصيل مقصده المتعلّق بحقوق المرأة في الإسلام، فقام بإيراد الرّابط الحجاجي" بـــل" والذي من خلاله أسهم في إنشاء السلّم الحجاجي، والتّراتبية في ذكر الحجج التي تسبقها وهي الحجّة الأولى، ثمّ التي تليها وهي الحجّة الثّانية على النّحو الآتي:

[1] أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، معاني الحروف، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ط3، (1404ه- 1984م)، ص71.

[2] جمال الدين بن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: بركات يوسف هبود، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/ لبنان، ط6، (1419هـ- 1999م)، ص185.

[3] أحمد طهراوي، خطبة: المرأة في الإسلام.

الحقوق الماليّة للمرأة في الإسلام
حمّلها مسؤوليّة الرّعاية
الرّعاية في بيت زوجها
بـــــــــــــــل.
ضمان حقوق المرأة الماليّة.

ولحفظ حقوق الطّفل نجد محمد النّابلسي يقول:"**الإجهاض عندنا ممنوع، بل إنّ إسقاط الجنين يوجب ديّة لأنّه أزهق نفسًا** "[1].

فالملاحظ أنّ الخطيب يثبت مسألة شرعيّة تتعلّق بالإجهاض(اسقاط الجنين قبل أن يُولد)، وهو أمر مرفوضٌ ممنوعٌ في الإسلام، وليس هذا فحسب بل إنّ إسقاطه يترتّب عليه مال يُدفع إلى ورثة الجنين، فقد عملت "بـــل" هنا على الانتقال من حجّة إلى حجّة أقوى منها، وهذا هو دورها الحجاجي؛ إذ تأتي "إضرابًا عمّا قبلها، إمّا على جهة التّـرك للانتقال، من غير أبطال"[2]، فالحكم بمنع الإجهاض يُعدُّ الحجّة الأضعف لهذا انتقل الخطيب إلى الحجّة الأقوى منها بواسطة الرّابط "بـــل" والتي تتمثّل في وجوب الديّة، بطريقة مرتبّة على النّحو الآتي:

حكم الإجهاض في الإسلام
يُوجب الديّة.
بـــــل.
ممنوع في الإسلام

كما نجد في خطبة " أهميّة النّصيحة وآدابها " أنّ الخطيب يقول:" **ثمّ اعلموا- يا رعاكم الله – أنّه لا يضرّ المرء ما يُلاقيه ممّن يشرقون بالنّصح ويتأفّفون بالتّوجيه والإرشاد ويهوشون ويشوشون بادّعاء الكمال الزّائف الذي يستنكرون بسببه نّصح النّاصحين، بل يعدّونه ضربًا من ضروب التّعيير والتّدخل فيما لا يعني**"[3].

فأثناء حديثه عن أهميّة النّصيحة تطرّق الخطيب إلى أنّه على النّاصح أن يتحلّى بالصّبر، ولا يبالي لردّة فعل المنصوح، فتطبيق النّصيحة ليس بالأمر السّهل؛ لهذا عليه توقّع كلّ شيء، فوصف الرّافضين للنّصيحة ادّعاء للكمال المزيّف منهم، والأدهى والأمرّ من ذلك أنّهم يعتقدون أنّ الذي ينصحهم، يعيّرهم ويتدخّل في شؤونهم...وهذا الأمر لا يجب أن يؤثّر على النّاصح الذي يرجو رضا الله قبل كلّ شيء، واستعمال الرّابط " بـــل" هنا أيضًا كان بقصد الانتقال والتّرتيب من الحجّة الأضعف إلى الحجّة الأقوى لإقناع المتلقي والدّفع به لتقبّل النّصيحة والصّبر أثناء إسدائها للمنصوح، ويمكن ترتيب ذلك وفق السلّم الحجاجي الآتي:

رفض النّصيحة وعدم قبولها

[1] محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام.
[2] الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، (1413هـ- 1992م)، ص235.
[3] سعود بن إبراهيم الشريم، خطبة: أهمية النصيحة وآدابها.

النّصيحة ضربٌ من ضروب التّعيير والتّدخل فيما لا يعني.

بـــــــــــــــل.

يرفضون النّصيحة بادّعاء الكمال الزّائف الذي يستنكرون بسببه نصح النّاصحين.

من هنا يمكن القول أنّ استعمالات "بـــل" في الخطب المنبريّة وردت بدافع الانتقال من حجّة إلى حجّة أقوى منها، وترتيبها وفق سُلميّة حجاجيّة، ولم ترد بمعنى الإضراب الكلّي لما قبلها ، ويمكن تفسير ذلك بأنّ تلك الحجج كانت عبارة عن أحكام شرعيّة تقتضي التّرتيب لا الأبطال، لأنّ القصد منها ليس الإقناع فحسب بل العمل والتّطبيق. وهو ما حاول الأئمة الأربعة إيصاله للجمهور السّامع عن طريق هذا الرّابط.

ثالثا: الآليّات البلاغيّة:

إنّ الوصـول إلـى القصـد فـي الخطـب المنبريّـة الدّينيّـة منـوط – كمـا أشـرنا سـابقًا - بالآليّـات والتّقنيـات المختلفـة التـي يوظّفهـا منـتج الخطـاب (الإمـام) أثنـاء عمليّـة الـتّلفّظ، والتـي يضـمّنها قولـه كـي تعمـل علـى ترشـيد المتلقـي إلـى غاياتـه وأهدافـه، وبالتـالي فـإنّ دورها سينحصـر علـى القصـد الـذي أُعـدت لـه منـذ البدايـة. ولمّـا كانـت الخطـب المنبريّـة الدّينيّـة خطابًـا حجاجيًـا إقناعيًـا يـروم الخطيـب فيـه إلـى التّـأثير والاسـتمالة فإنّـه ومـن المعقـول جـدًّا أن يضـمّنها آليّـات حجاجيّـة بلاغيـة يشـدّ بهـا انتبـاه المتلقـى مـن جهـة، ومـن جهـة أخـرى تكـون رديفًـا لبقيّـة الآليّـات الموظّفـة، وهـو مـا مـن شـأنه أن يجعـل المتلقـي يسـلّم ويُـذعن لمـا يُعـرض عليـه مـن أفكـار ورؤى تصـبُّ كلّهـا فـي صـالحه دنيويًـا وأخرويًا.

تُعـدّ البلاغـة مـن آليّـات الخطـاب والمسـاهمة فـي تشـكيله مـن أجـل تحقيـق غايـات معيّنـة، فهـي" نظـام الجمـال فـي اللّغـة أو بـالأحرى فـنّ القـول الـذي يُعـدّل موقـف المسـتمع مـن أجـل اسـتمالته، فوظيفتهـا الإفهـام والإقنـاع أي إيصـال التّصـوّر كمـا هـو فـي ذهـن المـتكلم

إلى المتلقي"[1]، إضافة إلى وظيفة الإقناع، فمن غير المعقول طرق باب البلاغة دون التّطرق إلى الحجاج فيها.

لهذا فإنّ الخطيب يعمد لتوظيف الآليّات البلاغيّة المختلفة قصد المحاججة والتّأثير، إلا أنّ هذا المقصد الإجمالي تنجرُّ عنه مقصديّة أخرى فرعيّة – خاصّة - تستمدُّ قوّتها من الآليّات البلاغيّة وفي ذات الوقت من السّياق الذي وردت فيه، لهذا فالقصد متعدّد ومتداخل، وهو ما أشار إليه **غرايس** من أنّ المقاصد الخطابيّة ليست قصدًا بل مجموعة من المقاصد التي يرتئيها المخاطب من أجل نجاح العمليّة الخطابيّة فالمقاصد كما رآها عدّة أنواع "أوّلي يتجلّى في المعتقدات والرّغبات، التي تكون لدى المتكلّم، وثانوي يكون فيما يعرفه المتلقي من مقاصد المتكلّم، وثلاثي ينعكس في هدف المتكلّم الذي يريد أن يجعل المتلقي يعترف بأنّه يريد منه جوابا ملائما"[2]، وبالتّالي فهي متعددّة ومتداخل ومركّبة من عدّة مقاصد.

لهذا نحاول في هذا الفصل الوقوف على مقاصد هذه الآليّات في سياق حالها، ومدى توفيق الخطباء في الاختيار الأمثل لها، خدمة للمقصديّة العامّة لخطبهم المختارة.

1 إشراك المتلقي في بناء المعنى:

1-1 المجاز

يُستعمل المجاز لمقاصد إقناعيّة في كثير من الحالات ذلك استنادًا للسّياق الذي يرد فيه،" وعلى المعرفة المشتركة بين المتخاطبين، والوعي بطرق لغة المتخاطبين ومسالكها، والوعي بأعراف اللّغة عاداتها ومذاهبها وأنحائها كوسيلة لتحديد المعنى"[3].

ويمكن تعريفه بأنّه " مكوّن من مكونات النّسق اللّغوي للعربيّة، يتناوله المتخاطبون فيما بينهم، وهو بذلك يمثل جزءًا من المعرفة المشتركة التي يُبنى عليها إنشاء الخطاب، هذه المعرفة تصير عنصرًا موجّها للتّأويل"[4] ، لهذا هو مساعد على فهم المقاصد خاصّة لما يعمل على جعل المتلقي يتفاعل مع الملفوظ أمامه باحتمالاته المتعدّدة ووجوه تعبيراته.

ويرى **ابن جنّى(ت393ه)**في كتابه **الخصائص** أنّ الهدف من المجاز يتمثّل في أنّه " يُعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة؛ وهي الاتّساع، والتّوكيد، والتّشبيه"[5]، ولا يختلف عليه **الجرجاني(ت471ه)** الذي زاد عليه بدور المجاز في الإقناع؛ إذ يرى أنّه " ليس المعنى إذا قلنا: إنّ الكناية أبلغ من التّصريح، أنّك لما كنيت عن المعنى زدت

---

[1] لزهر كرشو، الحجاج والهرمينوطيقا في الخطاب، أنطولوجيا الهوية والرسالة، ص512.

[2] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 1986م، ص164.

[3] عبد الواحد بن السيد، الحجاج في الخطابة، ص181.

[4] محمد مشبال، البلاغة والأصول دراسة في التفكير البلاغي العربي نموذج بن جني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب2007، ص139.

[5] ابن جني عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، (دط)، ج2، ص442.

في ذاته، بل المعنى أنّك زدت في إثباته، فجعلته أبلغ وأكد وأشدّ (...) وكذلك ليست المزيّة التي تراها لقولك: رأيت أسدًا (...) أنّك قد أفدت بالأول زيادة في مساواته الأسد، بل أفدت تأكيدًا وتشديدًا وقوّةً في إثباتك له في المساواة، وتقريرك لها"[1]، والوصول إلى القصد المراد من العبارة متوقّف على مدى التّأويل الذي يعتري ذهن المتلقي أثناء سماعه للخطاب المستعار أو المكنّى ...بعد عرضه على السّياق الذي قيل فيه.

1-1-1 الاستعارة:

تُعدُّ الاستعارة من أهمّ سمات وخصائص أسلوب الخطابة؛ فهي تسهم في بنائه الحجاجي بهدف التّأثير والإقناع، والتّلميح للمقاصد، وقد عرّفها **السّكاكي** بقوله: " هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مُدّعيا دخول المشبّه في جنس المشبّه به، دالًا على ذلك بإثباتك للمشبّه ما يخصّ المشبّه به"[2].

بينما يعرفها **الجاحظ** على أنّها " تسمية الشّيء باسم غيره إذْ قام مقامه"[3]، وقد أشار **عمر أوكان** إلى تقسيمات **أرسطو** للاستعارة في كتابه **اللّغة والخطاب** حيث جرى تقسيمها إلى: الاستعارة الجمهوريّة، والاستعارة الحجاجيّة، والاستعارة الشّعريّة، إذ يقول: وقد أقمنا هذا التّمييز انطلاقا من مقام التّواصل اليومي للخطاب، فإذا كان الخطاب يهدف إلى الإقناع يكون حجاجيًّا، وحين يهدف إلى المتعة يكون شعريًا، وحين يهدف إلى الإبلاغ يكون عاديًا متداولًا"[4]، وما يستشف من هذا الكلام أنّ الاستعارة عند **عمر أوكان** لا تخرج عن وظيفتين رئيستين: وظيفة المتعة الجماليّة ووظيفة حجاجيّة إبلاغيّة تداولية في عمليّة تواصل بين المرسِل والمرسَل إليه. وهتان الوظيفتان قد أشار إليهما **أبو بكر العزاوي** حين قال: "الاستعارة على نوعين: استعارة بديعيّة وأخرى حجاجيّة، وهي النوع الأكثر انتشارًا لارتباطهما بمقاصد المتكلّمين وسياقاتهم التّخاطبيّة التّواصليّة، ونجدها في اللّغة اليوميّة، وفي الكتابات الأدبيّة، أمّا الاستعارة البديعيّة فهي مقصودة لذاتها، ولا ترتبط بالمتكلّمين ومقاصدهم وأهدافهم، وإنّما نجدها عند بعض الأدباء والفنانين الذين يهدفون من ورائه إلى إظهار تمكّنهم من اللّغة"[5]، وبالتالي فإنّنا سنركّز في الخطب التي بين أيدينا على الاستعارة الحجاجيّة، لما لها من صلة مباشرة بمقاصد المخاطبين والذي يتبلور من خلال النّشاط التّداولي المتزامن مع حضور الأطراف المتواصلة؛

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص71.

[2] أبو يعقوب يوسف السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وشرحه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط2، (1987م-1407ه)، ص369.

[3] الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط7، 1998، ج2، ص153.

[4] عمر أوكان، اللغة والخطاب، إفريقيا الشرق، المغرب، 2001، ص131.

[5] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص109.

المخاطَب والمخاطِب، والسّياق الذي ينجز فيه الخطاب وما يحيط به من بيئة ثقافية ، سياسية، اجتماعية، في زمان ومكان معينين...

فكلّ هذه العناصر والعوامل مجتمعة كفيلة بإظهار المقاصد من الخطب المنبريّة وتبيان أهدافها، بعد إشراك المتلقي في عمليّة التّأويل.

وبعد ولوجنا للخطب المنبرية موضوع الدّراسة نجد في سياق حديث الخطيب " محمد راتب النّابلسي " عن حقوق الطّفل في الإسلام يقول: **" الطّفل حينما يكون له أب وأم مع الحليب يرضع الرّحمة والحبّ"**[1]، حيث شبّه الرّحمة والحبّ بالشّيء المادي، وهي استعارة مكنية؛ إذ ذكر المشبّه وحذف المشبّه به، أي المستعار منه، وأبقى على لازمة من لوازمه، وقد استعمل اللّفظ الرّحمة والحبّ لما فيهما من بلاغة التّعبير وإيضاح المقصد والتّفسير، ولعلهما أشدّ وقعًا وتأثيرًا على المستمع؛ حيث جعلهما في نفس منزلة الحليب الذي يرضعه الطفل، وذلك من خلال تمثيله وتجسيده وجعله محسوسًا، فلطالما اعتبر **بن جني** الاستعارة تمثلًا حسّيًا لمعنى مجرّد[2]، وهو ما بدا جليا في هذا المثال.

إنّ الاستعارة في الغالب ما تقوم على مبدأ الحوار الضمني بين المخاطب(المتكلم) والمتلقي(الجمهور السّامع)، فمنتج القول يعتمد في إفهام مقصده على مدى قدرة ذلك الجمهور على التّأويل الصّحيح والدّقيق لما يُلقى على مسامعه، وبالتالي سيساهم بطريقة غير مباشرة في إنتاج دلالة المقصد المراد من خلال الاستعارة التي وظفها الخطيب.

لقد أراد" محمد راتب النابلسي" توضيح أنّ حقّ الطفل لا يكمن في الماديّات فحسب، بل حتى المعنويّات وهي لا تقلّ شأنًا عنها، فكما يرضع الطّفل الحليب وجب إرضاعه الرّحمة والحبّ، ولن يتحقّق ذلك إلّا في أحضان أبوين تتوافر فيهما كلّ المؤهلات لتولي تلك المهمّة. لهذا نجد الخطيب استجلب الاستعارة هنا ليبيّن للمتلقي أنّ الطّفل ليس في حاجة إلى الحليب فقط بل هو أيضا في حاجة إلى حنان وعطف وحبّ ... وجميعها في منزلة تضاهي منزلة الحليب، ولوصول المتلقي(الجمهور السامع) لهذه الحقيقة وجب عليه إقامة جسر تواصل مع كلام الخطيب؛ ليعرف كيف يربط الأفكار ويرتّبها ويكشف عن المستعار منه المحذوف ويستبدل موقع صورة رضاعة الحليب بصورة رضاعة الرّحمة والحبّ، وحينها فقط يمكن أن نقول أنّه استطاع استنتاج المقصد المرجو من ورائها، وطبعًا لن يتأتّى له ذلك دون أعماله للعقل وقدرته على الكشف والتّأويل.

أمّا في خطبة " التّداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشّريعة الإسلاميّة " يقول الخطيب أحمد بن علي سعود في سياق حديثه عن اتّقاء مرض كورونا: **" قيام اللّيل**

[1] محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام.

[2] ينظر: محمد مشبال، البلاغة والأصول، ص208.

مطردة للدّاء من الجسد"[1]، في هذا التركيب نجد المشبّه قيام اللّيل والمشبّه به الشّخص القويّ أو بالأحرى الطّبيب الذي بإمكانه تخليص الجسد من المرض، واللّازمة تتمثّل في صفة الطّرد، على سبيل الاستعارة المكنية.

فحجّة الخطيب في هذا السّياق جاءت قصد التّأثير في المتلقي الشّغوف الباحث عن علاج أو وسيلة ناجعة يقضي بها على هذا الوباء الذي أرّقه وأقلق مضجعه، ويتمثّل هذا العلاج في قيام اللّيل وما له من هالة نورانية تحمي وتحصن صاحبها من كلّ داء، لكنّ الخطيب لم يقدمه بصورة مباشرة، بل أضفى عليه لمسة استعارية حجاجية من شأنها أن تجعل المتلقي مشاركًا ومحاورًا في استنباط المقصد المرجو، وبالتالي التّأثير فيه وضمان إذعانه.

ولأنّ سياق التّخاطب ما هو في الأصل إلّا نشاط تداولي بامتياز يستلزم حضورًا للأطراف الثلاثة المشاركة فيه من متكلّم وسامع ومقام أو سياق، ناهيك عن مجموعة من الظّروف الأخرى كالثّقافة والبيئة وزمان التّلقي ومكانه، فإنّنا نجد أنّ الخطيب يضع في حسبانه كلّ الذي ذكرناه أثناء نسجه لاستعارته، إذ كان خطابه موجها إلى جمهور في مكان كان قد أصيب بجائحة كورونا في نفس الزمان الذي اجتاح فيه هذا الوباء العالم، في ظروف تشاكل فيها البحث بين الطبّ العلمي والطبّ النّبوي ... فجاءت خطبته هذه لتؤكد على الطبّ النّبوي الرّوحاني الذي لا يجب على المتلقي إغفاله. وبالتالي فإنّ المقصد الصّحيح منوط دائمًا بالمدخل الصحيح؛ فمتى كانت قدرة المتكلّم على اختيار النّافذة الصّحيحة التي يدخل منها بدقّة إلى المتلقي استطاع هذا الأخير التّفاعل والتّحاور معه بطريقة غير مباشرة ومنه الوصول إلى ذلك المقصد.

وفي خطبة " المرأة في الإسلام " يقول أحمد طهراوي بعد أن عرض عناية الإسلام بالبنت حتى تغادر البيت معزّزة مكرّمة: " **فأين هذا من الحضارة المزعومة المعاصرة التي ترمي بالبنت في قارعة الطّريق لتبحث عن مأوى آخر، وتهيم على وجهها في صحراء مهلكة، تحيط بها الذّئاب من كل جانب؟** "[2].

لقد جمع هذا التّركيب العديد من الصّور في سياق واحد؛ ففي قوله:" الحضارة المزعومة المعاصرة ..." مجاز مرسل في علاقته الكلّية؛ حين ذكر الكل وهو الحضارة ويريد الجزء وهم الأشخاص في العالم الغربي.

وفي قوله: " ترمي بالبنت في قارعة الطّريق لتبحث عن مأوى آخر" استعارة مكنية؛ إذ شبّه البنت بالقمامة أو بالحيوان الذي يتمّ التّخلي عنه لعدم نفعه أو لضرره أو لتفاهة قيمته، وحذف المشبّه به وترك لازمة من لوازمه وهي ترمي في قارعة الطريق.

[1] أحمد بن علي سعود، خطبة: التداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشريعة الإسلامية.

[2] أحمد طهراوي، خطبة: المرأة في الإسلام.

أمّا في قوله: " تهيم على وجهها في صحراء مهلكة" فهي كناية عن بحث البنت عن مأوى أو ملجأ تلوذ إليه، ولكن أنَّى لها ذلك؟ فسرعان ما ستدرك أنّها في مكان قفر لا حياة ولا رحمة فيه.

ثم يعود الخطيب للاستعارة من جديد في قوله: " تحيط بها الذئاب من كل جانب" حيث شبّه الأشخاص السيئين بالذئاب، حذف المشبّه وصرّح بلفظ المشبّه به (الذئاب) ليبيّن أنّ الحقوق التي منحها الطّرف الآخر للمرأة باسم الحرّية ما هي إلّا سبيل مهلكة تؤدّي إلى ضياع حقوقها لا الحفاظ عليها، لكنّه قدّمها للمتلقي في سياق استعارة تصريحية حجاجية مؤثّرة ومقنعة.

ومن خلال فكّ شفرات هته الصّور الثلاث يستطيع الجمهور السّامع استيعاب المقصد المرجو من إيرادها من طرف الخطيب.

ولهذا كلّه يمكن القول أنّ توظيف الاستعارة في الخطب المنبرية الدّينية لم يكن اعتباطًا؛ فبما أنّها تندرج ضمن الآليات البلاغية الحجاجية فهي إذن تقدّم إضافة لفهم المقصد أثناء عمليّة التّداول، وذلك لما تتمتّع به من قدرة على استمالة عقل وذهن السّامع فتجعله بطريقة معيّنة يشعر بلذّة ومتعة المشاركة في الكشف عن المقصد الذي أراده الخطيب والذي يصبّ في صالحه، على اعتبار أنّ الخطب المنبرية الدينية إرشادية وعظية توجيهية تنبيهية تذكيرية...حسب الموضوع المتطرّق إليه فيها.

2-1-1 التّشبيه:

لقد اهتمّ البلاغيون العرب بالتّشبيه وأولوه عناية بالغة لما له من أهميّة في فهم المقاصد خاصّة في الخطب المنبرية الدينية، فهو" ما استدعى طرفين مشبها ومشبها به واشتراكا بينهما من وجه الشّبه وافترقا من آخر، مثل أن يشتركا في الحقيقة ويختلفا في الصّفة أو بالعكس، فهو بذلك علاقة مقاربة تجمع بين طرفين لاتحادهما أو اشتراكهما في صفة أو حالة أو مجموعة من الصّفات والأحوال"[1]،إنّه علاقة تربط بين طرفين أوّلهما يسمّى: المشبّه والثاني: المشبّه به ومسوّغ الارتباط يكمن في الاشتراك بينهما.

كما عرّفه **جابر عصفور** بقوله: "التّشبيه علاقة مقارنة بين طرفين لاتّحادهما أو اشتراكهما في صفة أو حالة أو مجموعة من الصّفات والأحوال، هذه العلاقة قد تستند إلى مشابهة حسّية، وقد تستند إلى مشابهة في الحكم أو المقتضى الذّهني الذي يربط بين الطّرفين المقارنين، دون أن يكون من الضّروري أن يشترك الطّرفان في الهيئة المادّية أو كثير من الصّفات المحسوسة"[2]، لهذا فإنّ الاشتراك بين الطّرفين قد يكون ماديًا أو معنويًا في صفات إيجابيّة أو سلبيّة.

---

[1] عبد الجليل شعراوي، الحجاج في الخطبة النبوية، عالم الكتب الحديث، إربد/ الأردن، ط1، 2012م، ص163.

[2] جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت/لبنان، ط3، 1992م، ص172.

أمّا عن أهميّته فتبرز في كونه "يزيد المعنى وضوحًا ويكسبه تأكيدًا، ولهذا ما أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه، ولم يستغن أحد منهم عنه"[1]، لذلك فتكاد لا تخلو منه أيّة خطبة خاصة المنبرية الدينية فهو من السّمات البارزة فيها.

ومن أمثلته في الخطب المنبرية الأربعة قول الخطيب في خطبة "التّداوي من الأمراض والأوبئة":**"القرآن شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها. القرآن شفاء للأبدان من الأمراض بالرُّقي والتَّعاويذ. القرآن دواء وصفه له تعالى. قيام اللّيل قيام اللّيل شفاء لأنّه حال القرب من الله "**[2].

حيث جاءت هذه التّشبيهات خالية من الأداة ليكون أبلغ وأبدع وأكثر قوةً وتأثيرًا في المتلقي؛ إذ وأثناء حديث المخاطب عن الوسائل الرّوحانية المساعدة على القضاء عن وباء كورونا، جعل من بينها التّداوي بالقرآن الكريم، فجعله في سياق التّشبيه، فهو شفاء للقوب وللأجسام وهو وصفة فعّالة من الله تعالى، كما أنّه شبّه قيام اللّيل بالشّفاء أيضا مع حذف الأداة.

والظّاهر أنّ الخطيب استعمل هذا النّوع من التّشبيه بغية تسهيل الوصول إلى المقصد للمتلقي، إذ يبدو سهل الفهم ليس من التّشبيهات التي تحتاج إلى إمعان الفكر وتحريك العقل بالتّدبر والتّأويل العميق، هذا لأنّ التّشبيه يختلف " وإنّ ما طريقه التّأويل يتفاوت تفاوتًا شديدًا، فمنه ما يقرب مأخذه ويسهل الوصول إليه، ويعطي المقادة طوعا (...) ومنه ما يحتاج إلى قدر من التّأمل، ومنه ما يدقّ ويغمض حتى يحتاج في استخراجه إلى فضل رؤية ولطف فكرة "[3].

وتتوالى التّشبيهات من نفس هذا النّوع حتى في الخطب الأخرى، فيقول أحمد طهراوي في خطبة " المرأة في الإسلام ": **" المرأة هي قمّة شمّاء، المرأة صخرة صمّاء إذا صلحت واستقامت تحطّمت على أسوارها المنيعة مكائد الكائدين، المرأة هي نافذة واسعة، المرأة بوابة مشرّعة للفساد إذا خلص إليها المغرضون "**[4] .

لقد جاءت كلّ هذه التّشبيهات بليغة أيضًا محذوفة الأداة، وفي ذات الوقت هي عبارة عن حجج قويّة استجلبها الخطيب بغية التّأثير في المتلقي وإقناعه بالمكانة التي حظيت بها المرأة في الإسلام، ويمكن التّفصيل في أركان هذه التّشبيهات على النّحو الآتي:

المشبّهالمشبّه بهوجه الشّبه بينهما

المـــــــــرأة قـــمـــّـــة شمـــّـــاء الارتفاع والعلوّ

صخـــــــرة صمـــــّاءالقوّة والصّلابة

[1] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ج1، ص265.

[2] أحمد بن علي سعود، خطبة: التداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشريعة الإسلامية.

[3] عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أسرار البلاغة، تعليق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، (دط)، (دت)، ص93.

[4] أحمد طهراوي، خطبة: المرأة في الإسلام.

نافـــذة واسعـــــة ← الانفتاح

بوابة مشرّعة للفساد ← الفتنة والغواية

والحـال ذاتـه فـي خطبـة " أهميّـة النّصـيحة وآدابهـا "؛ إذ يقـول الخطيـب: " **إنّ قلّـة الإنصـاف وشـيوع المـذقّ لهمـا معـولان مـن معـاول تقـويض البنـاء للصَّـرح الإسـلامي الشّـامخ، والنّقـد الموجّـه والنّصـح الهـادف الموافقـان لمـراد الله ورسـوله ـ صـلّى الله عليـه وسـلم ـ وهمـا لبنتـان مـن لبنـات الحصـن العزيـز للمجتمـع المسـلم المتكامـل الـذي تجتمـع قلـوب بنيـه علـى رعايـة الصّـالح العـامّ الخاضـع لرضـا الله – جـلّ وعـلا –، لا رضا الأهواء والشّهوات والأنفس التي تألف ما يُسخط الله لا ما يرضيه** "[1].

إنّ المتأمّـل فـي هـذه الفقـرة يـدرك أنّ الخطيـب يعتمـد فـي خطابـه علـى التّـدقيق فـي التّصـوير والتّشـبيه الـذي لـم يوظفـه اعتباطـا أو مـن أجـل غايـة جماليـة، بقـدر مـا حـاول مـن خلالـه إيصـال مقاصـده للمتلقـي بأيسـر السُّـبل، فهـو علـى درايـة بـأنّ الجمهـور يتـأثّر ويـذعن للكـلام المتـداول الـذي يتميـز بميـزة تشـدّ انتباهـه وتجعـل منـه بطريقـة أو بـأخرى لـيس ذلـك المسـتمع السـلبي الـذي يكتفـي بمـا يلقـى عليـه بطريقـة مباشـرة صـمّاء لا حيـاة فيهـا، بـل مشـاركًا، متفـاعلًا، متحرّكًـا، ... بمـا يخـدم الموضـوع المتطـرّق إليـه كـي تـؤدّى العمليـة التخاطبيـة التداوليـة بشـروطها وظروفهـا كاملـة، وبالتـالي تُـؤتي أكلهـا وتحقّـق الهـدف المرجـو منهـا المتمثّـل فـي فهـم المقاصـد ومـن ثـمّ التّـأثير والتّسـليم والإذعـان. وهـو مـا قـام بـه الخطيـب فـي خطبتـه، حيـث اختـار أيضـا التّشـبيه البليـغ ليقـرّب بـه مقاصـده للمتلقـي، فشـبّه (قلّـة الإنصـاف وشـيوع المـذَق) بـــ: (معـولان مـن معـاول تقـويض البنـاء للصـرح الإسـلامي الشـامخ)، فعـدم وجـود العـدل والإخـلاص فـي المجتمع الإسلامي القائم على القرآن والسنّة كفيلان بتهديمه والقضاء عليه.

ثـم يشـبّه (النّقـد الموجّـه والنّصـح الهـادف) بـــ: (لبنتـان مـن لبنـات الحصـن العزيـز للمجتمـع المسـلم المتكامـل)، وهـي الصّـورة المعاكسـة للتّشـبيه الأول تمامـا؛ فكلّمـا كـان المجتمـع يعتمـد علـى النّقـد البنّـاء والتّناصـح بـين أفـراده، كلّمـا حـافظ علـى حصـانته وتآلف قلوب بنيه على خدمة المصالح العامّة المشتركة لنيل رضا الله تعالى.

ثـمّ فـي عبـارة أخـرى مـن نفـس الخطبـة نجـد الخطيـب يقـول: "**إنّ اللّجامـة والنّفـرة مـن أصـوات النّاصـحين المخلصـين ليُعـدّ طبعًـا لئيمًـا مـن طبـائع أعـداء الأنبيـاء وخصـومهم، وهـو فتتـوق لا يرقّعـه أيّ رتـوق لا يكـون مصـدره النّصـح لله ولرسـوله – صلىّ الله عليه وسلم –** "[2].

حيـث شـبّه الخطيـب (اللّجامـة والنّفـرة مـن أصـوات النّاصـحين المخلصـين) بـــــ: (فتـوق لا يرقّعـه أيّ رتـوق لا يكـون مصـدره النّصـح لله ولرسـوله – صـلىّ الله عليـه وسلم-)، فقد قيل قديمًا " إذا سكت أهل الحقّ عن الباطل توهّم أهل الباطل أنّهم على

[1] سعود بن إبراهيم الشريم، خطبة: أهمية النصيحة وآدابها.

[2] سعود بن إبراهيم الشريم، خطبة: أهمية النصيحة وآدابها.

حـقّ "، و" أنّ السّـاكت عـن الحـقّ شـيطان أغـرس ". فالخطيـب هنـا اسـتعان بالتّشـبيه لأجـل تقريـب المقصـد مـن خـلال الصّـورة الفنيّـة الجميلـة، فسـكوت أهـل النّصـح وعـدم قيـامهم بمـا يجـب علـيهم تجـاه مجتمعـاتهم، لهـو أمـر مخـالف لسـنن الأنبيـاء، بـل هـو فتـوق لا يمكـن ترقيعـه بـأيّ رتـوق آخـر إلّا أن يكـون منبعـه خالصـا لله تعـالى ولسـنّة نبيـه عليـه الصّلاة والسّلام.

مـن هنـا يمكـن القـول أنّ التّشـبيه مهمـا كـان نوعـه إنّمـا تـمّ توظيفـه فـي الخطـب المنبريـة بغـرض تقريـب المقاصـد وإجلائهـا، ومـن ثـمّ المحاججـة والتّـأثير فـي الطّـرف الآخـر، فالحجّـة يكـون مفعولهـا أقـوى إذا كانـت متضـمّنة للتّشـبيه مقارنـة بالحجّـة العاديـة الخاليـة منـه، وعليـه فـإنّ المـتكلّم فـي الخطـب المنبريـة الدينيـة عليـه التّسـلح بهـذا السّـلاح – فـي حـدود المعقـول طبعًـا - كـي يضـمن فهـم مقاصـده ، وكـي لا يبقـى كلامـه مجـرّد حـروف صمّاء بكماء لا تثير الجمهور السّامع ولا تفعل فعلتها فيه.

3-1-1 الكناية:

هـي "تـرك التّصـريح بـذكر الشّـيء علـى مـا ذِكْـرِ مـا يلزمـه لينتقـل مـن المـذكور علـى المتـروك، كمـا نقـول فـلان طويـل النّجـاد لينتقـل منـه علـى مـا هـو ملـزوم وهـو طـول القامـة، وكمـا تقـول فلانـة نـؤوم الضُّـحى لينتقـل منـه علـى مـا هـو ملزومـه وهـو كونهـا مخدومـة غيـر محتاجـة علـى السّـعي بنفسـها فـي إصـلاح المهمّـات وذلـك أنّ وقـت الضّـحى وقـت سـعي نسـاء العـرب (...) فـلا تنـام فيـه مـن نسـائهم إلّا مـن تكـون لهـا خـدم ينوبـون عنهـا فـي السّـعي، لـذلك سُـمّي هـذا النّـوع كنايـة لمـا فيـه مـن إخفـاء وجـه التّصـريح ودلالـة كنّـي علـى ذلـك؛ لأنّ (ك ن ى) كيفمـا تركبـت دارت مـع تأديـة معنـى الخفـاء مـن ذلك كنّى عن الشيء يكنَّى إذ لم يصرَّح به ومنه الكُنّى"[1].

والكنايـة فـنٌّ بلاغـي يسـتعمله المـتكلّم لأجـل بلـوغ مقاصـده التـي يـروم إيصـالها إلـى المتلقـي، هـذا لمـا لهـا مـن وقـع تحدثـه فـي نفـس وعقـل المتلقـي لـو قارنّاهـا بـالقول الصّـريح، وقـد أشـار إلـى هـذا المعنـى **عبـد القـاهر الجرجـاني** حـين قـال: "الكنايـة أبلـغ مـن التّصـريح أنّـك حـين كنّيـت عـن المعنـى زدت فـي ذاتـه، بـل أنّـك زدت فـي إثباتـه فجعلتـه أبلـغ وآكـد وأشـدّ فليسـت المزيّـة فـي قـولهم (جـمّ الرّمـاد) أنّـه دلّ علـى قـرى أكثـر، بـل إنّـك أثبـت لـه القـرى الكثيـرة مـن وجـه هـو أبلـغ، وأوجبتـه إيجابـا هـو أشـدّ، وادّعيته دعوى أنت بها أنطق، وبصحّتها أوثق"[2].

وتُعـدُّ الكنايـة مـن أسـاليب البيـان التـي تكمـن بلاغتهـا فـي كونهـا تقـدّم الحقيقـة مصـحوبة بـدليلها ، حيـث تـذكر الأمـر وفـي طيّاتـه برهانـه أو الـدّليل عليـه[3]، وكمـا هـو متعـارف

---

[1] أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد علي السكاكي، مفتاح العلوم،ضبطه وشرحه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط2، (1987م-1407ه)، ص402.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص71.

[3] ينظر: عايد جدوع حنون وثائر عمران الجنابي، الحجاج في القرآن الكريم، تقديم: الأستاذ الدكتور أبو بكر العزاوي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، (دط)، 2020، ص152.

عليه أنّه كلّما أردفنا الفكرة بدليلها كانت أشدّ تأثيرًا على المتلقي، إضافة إلى تسهيل أمر إيصال المتكلّم لمقاصده أثناء عملية التّلفظ.

وهو ما نروم إيضاحه في الخطب المنبرية الأربع؛ إذ وظّف الأئمة الكناية في عدّة مواضع نورد منها:

في خطبة " أهمية النصيحة وآدابها " يقول الخطيب:

"- وإنّه ليُعلم من هذا – عباد الله – أنّ عين الرّضا قد تكلّ عن كلّ عيب، كما أنّ عين السّخط لا تُبدى إلّا المساوئ، وأنّ المرء قد ينظر بعين عداوة لو أنّها عين الرّضا لاستحسن ما استقبح"[1].

فعين الرّضا كناية عن القناعة.

وعين السّخط كناية عن التشاؤم.

وعين العداوة كناية عن العدوانية.

" ما أشبه اللّيلة بالبارحة واليوم بالأمس وها هو التّاريخ يعيد نفسه"[2].

اللّيلة بالبارحة كناية عن الزّمن الحاضر والزّمن الماضي وكذلك الأمر بالنّسبة لليوم والأمس.

وفي خطبة " حقوق الطّفل في الإسلام " يقول النّابلسي:

"- النّبي –عليه الصّلاة والسّلام- رأى غلامًا تطيش يده في الصّفحة قال له: " يا غلام سمّ الله وكل بيمينك وكل ممّا يليك""[3].

تطيش يده في الصّفحة هي كناية عن الفوضى التي يحدثها الغلام في وعاء الطّعام.

" تقوم الدّنيا ولا تقعد"[4]، كناية عن الغضب وعدم الرّضا.

فالكناية غالبا ما تعطينا الدّليل مع الحكم، كما تجعل الشّيء المعنوي في صورة حسّية مع الإيجاز وعدم الإطناب، إضافة إلى أنّها تتيح للأديب والبليغ التّعبير عمّا يقصد دون أن يُكشف أمره أو يفتضح شأنه فيؤاخذ بما انزلق إليه[5]، وربما هو ما يفسّر توظيفها بنسبة قليلة في الخطب المنبرية التي بين أيدينا مقارنة بالصّور الأخرى.

2 الحجاج بالطّابع الجمالي التّحسيني:

2-1 السّجع:

السّجع محسّن بديعي يحدث نغمًا موسيقيًا جذّابًا تطرب له أذن السّامعين أثناء التّلفظ به، إذ هو"طريقة في الإنشاد سارت منذ القديم في النّثر العربي، وراجت كثيرًا في

[1] سعود بن إبراهيم الشريم، خطبة: أهمية النصيحة وآدابها.

[2] المرجع نفسه.

[3] محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام.

[4] المرجع نفسه

[5] ينظر: يوسف أبو العدوس، البلاغة والأسلوبية، مقدمات عامة، الأردن ط1، 1999م، ص122.

عصور التّنميق مع ما راج من محسّنات بديعية ، وهي تقوم على اتّفاق فاصلتي الكلام في حرف واحد من التّقفية، وقد تفنّن الكُتّاب كثيرًا في استعماله"[1].

في خطبة " أهمية النصيحة وآدابها " يقول الخطيب:

"-النُّصح – أيّها المسلمون – ينبغي أن يقوم على آداب جُلى وسمات غُداف تجعل الحقّ من خلاله مقبولًا والنُّصح بين النّاس منشورًا وباذله والمتسبّب فيه مأجورًا غير مأزور.

-أمّا بعد: فأوصيكم – أيّها النّاس – ونفسي بتقوى الله – سبحانه -، فهي للنَّفس زمام وللهوى خطام، وللشَّهوات والملذَّات فطام.

-وأصل النُّصح هو الخلوص والصّفاء والصّدق وعدم الغشّ، ولذا كان لزاما على كل مجتمع مسلم أن يجعل لهذه الشّعيرة محلًا واسعًا في حياته اليومية واهتمامًا بالغًا لا يقلّ مستوى عن الاهتمام بالجوانب الصّحية والجوانب الأمنيّة والجوانب المعيشيّة"[2].

لقد أدرك الخطيب أنّ عذوبة الرّنين الذي يحدثه هذا المحسّن البديعي يمكّنه من الإمساك بزمام الأمور، أي يمكّنه من إيصال مقاصده إلى جمهوره السّامع، ومنه يستطيع التّأثير فيه وإقناعه، لهذا عمد إلى توظيفه في سياق حديثه عن آداب النُّصح والتّناصح، وأن النّاصح إذا التزم بها نجح في نصحه فأورد:

تجعل الحق من خلاله مقبولا،

النصح بين الناس منشورا،

باذله والمتسبب فيه مأجورا...

وبقليل من التّمعن في هذه الفواصل المسجوعة أدركنا أنّها حجج تربط بينها علاقة استلزامية؛ فإذا صار الحقّ مقبولًا فإنّه لا محالة من انتشار النُّصح والتَّناصح بين النّاس في المجتمع، وهو ما يجعل فاعله ينال أجره في الدّنيا قبل الآخرة.

كما نجد الخطيب وظف السّجع أيضًا في المثالين المواليين، فأثناء حديثه عن تقوى الله في مقام التّوجيه والإرشاد للتّمسك بها أورد الفواصل المسجوعة الآتية:

للنفس زمام،

للهوى خطام،

للملذات فطام.

وكلّ ذلك من أجل إقناع السّامعين بأهميّة التّقوى الحقّة من باب تذكيرهم بها " وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ"[3].

---

[1] إنعام نوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني، مراجعة: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط2،(1996م-1417ه)، ص596.

[2] سعود بن إبراهيم الشريم، خطبة: أهمية النصيحة وآدابها.

[3] سورة الذاريات، الآية:55..

وحينما عرض لفكرة المكانة العظيمة التي من المفترض أن تجعلها المجتمعات للنصيحة، أتى على ذكرها مسجوعة تشدّ آذان السّامعين فتسترعي انتباههم للمقصد الحقيقي:

في الحياة اليومية،

الجوانب الصحية،

الجوانب الأمنية،

الجوانب المعيشية.

والقصد من ذلك بيان أنّ النُّصح والتّناصح ليس حكرًا على جانب حياتيّ دون آخر، بل هو شامل وعامّ لجميع مجالات الحياة وشؤونها.

أمّا في خطبة " حقوق الطّفل في الإسلام " نجد النّابلسي يقول: " **حقّه في الحضانة امرأة ترعاه، تعتني به، تحبُّه، تقبّله، تشمّه، تضمّه، تطعمه، تنظّفه**"[1].

للسّجع هنا طابع خاص من خلال خاصّية النّبرة الموسيقية التي يتميّز بها، لكنّ الخطيب – طبعًا – لم يوظفه لهذا الغرض، وإنّما هو فقط وسيلة للاستمالة ولفت الانتباه بغرض الاهتمام بالمقصد المختبئ بين طيّاته.

فبعد أن يضمَن الخطيب أنّ الأسماع كلّها متّجهة نحو كلامه أثناء عمليّة التّداول يركّز على هدفه المرجو وهو بيان حقّ الطفل في أن تحتضنه امرأة (أمّه) ترعاه وتهتمّ به، والملاحظ أنّ الكلمات المسجوعة المتتالية ما هي إلّا شرح وتفسير لمعنى الرّعاية والعناية، وبالتالي استطاع التّأثير في المتلقي وضمان إذعانه.

ويقول أحمد طهراوي في خطبة " المرأة في الإسلام ": " **هي قمّة شمّاء، وصخرة صمّاء...ونزل القرآن معليًا شأنهنّ، ومؤكدًا حقوقهنّ**"[2].

ورد السّجع بين الفواصل الآتية:

قمّة شمّاء،

صخرة صمّاء،

ثمّ بين: معليًا شأنهنّ،

مؤكدًا حقوقهنّ.

جاءت هذه الأقوال المسجوعة على شكل حجج لبيان مكانة المرأة في الإسلام وكمحاولة من الخطيب إقناع الجمهور السّامع بهذه الحجّة، إذن فالسّجع هنا لم يأت محسنًا بديعيًا فحسب بل كان القصد منه بيان الحجّة رغم ما مارسه من تأثير على المتلقي بواسطة إيقاعه وجرسه، وهو ما جعل المتلقي ينجذب ويزداد شغفه لمعرفة ذلك القصد ومن ثمّ الاقتناع والتّسليم.

[1] محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام.

[2] أحمد طهراوي، خطبة: المرأة في الإسلام.

وعليه يمكن القول أنّ الخطيب في خطبته المنبرية بحاجة إلى وسيلة يضمن من خلالها استمالة وجذب السّامعين إلى كلامه بهدف الدَّفع به نحو فهم مقاصده، وما الأقوال المسجوعة الواردة في الخطب المنبرية التي بين أيدينا إلّا أقوال حجاجية زادت تّأثيرًا في المتلقي، وكان لها أثرها الجليّ في دفعه للاقتناع بتلك الحجج في سياقاتها المختلفة.

2-2الطّباق والمقابلة:

قالت العرب قديمًا:" وبضدّها تتميّز الأشياء". الطّباق والمقابلة هما الجمع بين لفظتين أو عبارتين متضادتين، "وهما من المحسّنات البديعية التي لها بُعد حجاجي يتجلّى في كون ذكر الشّيء وضدّه يكون دافعًا للمقارنة بينهما، واستنتاج ما يمكن استنتاجه من هذه المقارنة حسب مقتضى المقام"[1]، وقد سمَّى **عبد القاهر الجرجاني** الطّباق تطبيقًا وعرّفه بقوله:" أمّا التّطبيق، فأمره أبينُ، وكونُه معنويًا أجلى وأظهر، فهو مقابلة الشّيء بضدّه، والتّضاد بين الألفاظ المركّبة مُحال، وليس لأحكام المقابلة ثَمّ مجال"[2]، وقد أشار **حازم القرطاجني** إلى أنّ التّضاد المعنوي يندرج ضمن المقابلة في قوله:" فإذا أردت أن تقارن بين المعاني وتجعل بعضها إزاء بعض وتُناظر بينها فانظر مأخذًا يمكنك معه أن تكوّن المعنى الواحد وتوقعه في حيّزين، فيكون له في كليهما فائدة، فتناظر بين موقع المعنى في هذا الحيّز وموقعه في الحيّز الآخر فيكون من اقتران التّماثل(...) أو مأخذًا يصلح فيه اقتران المعنى بمضادّه فيكون هذا مطابقة أو مقابلة"[3].

استعمل الخطباء الطّباق والمقابلة بكثرة في خطبهم نورد منها:

في خطبة " حقوق الطفل في الإسلام " نجد:

"- ما دامت زوجتك وهذا فراشك فالذي ولد هو ابنك، لو كنت أبيض اللّون وهو أسود.

- لذلك الفرق بين الإرضاع الطّبيعي والصّناعي فرق كبير جدًا.

- فقال الولد: يا أبت إنّك عققتني صغيرًا فعققتك كبيرًا، وأضعتني وليدًا فأضعتك شيخًا.

- علّم الطفل إن علّمته تحبّه، إذا ما علّمته تكرهه"[4].

إذن فالطّباق والمقابلة غالبًا ما يوظّفهما الخطيب من أجل تقريب مقاصده للجمهور السّامع بالإضافة إلى شدّ انتباهه بوضعه في سياق المقارنة بين الضّدين ثم ربطها بالسياق العام للخطبة، فذكر اللّون الأبيض مقابل الأسود، والإرضاع الطّبيعي مقابل

[1] عبد الواحد بن السيد، الحجاج في الخطابة، ص193.

[2] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ج1، ص20.

[3] حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بلخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت/لبنان، ط2، 1981م، ص14-15.

[4] محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام.

الصّناعي، وعقوق الصّغير وإضاعته مقابل عقوق الوالد وإضاعته كبيرًا، ومحبّة الطفل إن علّمته مقابل كرهه إذا ما علّمته، كلّها تجعل المتلقي في حالة اختيار بين الأنفع والأصلح والأنسب بينهما، وبالتّالي يسهل عليه فهم مقاصد الخطيب من خلال إيراد هذه الأضداد سواء أكانت بين الألفاظ أو الجمل، فمن حقّ الطفل أن يختار له الوالد الأمّ المناسبة، حتى يتجنّب الوالد فيما بعد قضية الشّكّ بنسب ابنه حتى وإن كان الوالد أبيض والولد أسود، فلعله نزعة عرق خرج لِجَدٍّ قديم من أجداده، ومن حقّ الطّفل أن يأخذ كفايته من الرّضاعة الطّبيعية التي تختلف اختلافًا كليًا عن الرّضاعة الصّناعية من جميع نواحيها، وإيراد الطّباق هنا إنّما هو بدافع المقارنة بينهما وبيان أفضلية الرّضاعة الطّبيعية وحقّ الطفل فيها، أمّا ما يفعله الوالد في ابنه صغيرًا فهو ذاته ما سيردّه الابن لأبيه حينما يكبر سواءً في العقوق أو الاهتمام والتّعليم وغيرها من الحقوق الأخرى ...فما على المتلقي إلا حسن الاختيار بين هذه المتضادّات.

وفي خطبة " التداوي من الأمراض والأوبئة " يقول الخطيب:

"-إنّ الذي يقي عباده بالصّدقة من شرّ وهول وبلاء يوم القيامة لقادر أن يقي عباده من هموم وبلايا أيام الدّنيا بالصّدقة"[1].

نجد الطّباق هنا بين (يوم القيامة، أيّام الدّنيا)، وإنّما تمّ استجلابه في هذا السياق من أجل وصول الخطيب إلى مقصده المتمثّل في إقناع المتلقي بأهميّة الصّدقة وفوائدها على المؤمن المسلم عمومًا، فهي دافعة لشرّ وبلاء يوم القيامة هذا اليوم العظيم، وهي تُطفئ الأخطاء وتُذهب غضب الله، فما بالك بأيّام الدّنيا وما فيها من محن وكروب ...وأوبئة، فالله سبحانه وتعالى جعل مفعول الصّدقة يمتدّ حتى إلى أشدّ الأيّام صعوبة ومشقّة على الإنسان (يوم القيامة) فهل سيعجز على دفع هذا الوباء - كورونا - عن الإنسان في (أيّام الدّنيا) ؟إذن فالطّباق هنا جاء بقصد ترغيب وتحبيب الجمهور السّامع في التّداوي بالصّدقة لما لها من أثر فعّال في تخليص المسلم من بلاءات الدّنيا والآخرة.

أمّا في خطبة " المرأة في الإسلام " نجد:

"-يقرّر الإسلام ابتداءً وحدة الأصل بين الذّكر والأنثى.

- فلها ثواب الطّاعة إن عملتها، وعليها عقوبة المعصية إن وقعت فيها.

- ولقد فقه سلف الأمّة وخيراها هذه الحقوق فرعوها حقّ رعايتها بأقوالهم وأفعالهم"[2].

لقد ورد الطّباق والمقابلة في هذه الخطبة على الشّكل التّالي:

- الذّكر / الأنثى

[1] أحمد بن علي سعود، خطبة: التداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشريعة الإسلامية.

[2] أحمد طهراوي، خطبة: المرأة في الإسلام.

- لها ثواب الطّاعة إن عملتها / عليها عقوبة المعصية إن وقعت فيها
- أقوالهم / أفعالهم

مقاصد الخطيب في هذه الخطبة ارتبطت بمدى توظيفه للحجج من أجل التّأثير في المتلقي وإقناعه بقضيّة المكانة التي حبا الإسلام بها المرأة المسلمة، لهذا فإنّ الطّباق والمقابلة هنا لم يوظّفا من أجل التّحسين والتّجميل بقدر ما ساهما في التّأسيس لإيصال المتكلّم مقاصده لجمهوره السّامع، فهو من خلالهما سيعمل على لفت انتباههم وشدّهم بدافع فتح باب المشاركة، وبالتالي وصولهم لتلك المقاصد ومن ثمَّ الاقتناع والإذعان.

فالإسلام ساوى بين (الذّكر والأنثى) وقضى على جميع التّرهات والاعتقادات التي كانت سائدة ردحا من الزّمن الجاهلي، فصارت للمرأة حقوقًا وواجبات لا تقلّ أهميّة عن تلك التي يتمتّع بها الرّجل حتى في الثّواب والعقاب...ولم يكتف السَّلف الصّالح بالتّنظير لهذه الحقوق بالأقوال فحسب بل ظهر ذلك حتى في أفعالهم من خلال تعاملهم مع المرأة.

لهذا فإنّ الطّباق هنا غلب عليه القصد الحجاجي الإقناعي حتى لا تبقى هذه الحقوق حبيسة الورق وكلامًا يُلقى في المنابر، بل على الجمهور السّامع من خلال الطّباق والمقابلة التي تمَّ توظيفها أن يعي أنّ القضية أكبر من ذلك بكثير فهي تحتاج إلى عمل وتطبيق في الحياة من أجل نيل رضا الله تعالى.

كما نجد في خطبة " أهمية النصيحة وآدابها" :

"- ومن هنا فإنّ لكل رامق بعين البصيرة أن يقرّر حكمه على المجتمعات سلبًا وإيجابًا.

- ألا إنّ الفرق واضح والبون شاسع بين مجتمع تغشاه النصيحة على قبول وترحاب وبين مجتمع آخر يجعل أصابعه في آذانه ويستغشي ثيابه ويُصِرُّ ويستكبر استكبارًا.

- ولا خير في مجتمع آذان ذويه كالأقماع يدخل النُّصح مع اليمنى فلا يلبث أن يخرج مع اليسرى.

- يضاف إلى ذلك – عباد الله – الصّدق في النصيحة والسّتر وإرادة الإصلاح لا إظهار الشماتة والتّعيير لأنّ السّتر في النُّصح من سمات المؤمن الصّادق، فإنّ المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويُعيّر"[1].

استعمل سعود الشريم الطّباق والمقابلة بكثرة في خطبته:

- سلبًا / إيجابًا
- مجتمع تغشاه النصيحة على قبول وترحاب / مجتمع يجعل أصابعه في آذانه ويستغشي ثيابه ويُصرُّ ويستكبر استكبارًا

[1] سعود بن إبراهيم الشريم، خطبة: أهمية النصيحة وآدابها.

- يدخل النُّصح مع اليمنى / فلا يلبث أن يخرج مع اليسرى
- الصّدق في النصيحة والسّتر وإيراد الإصلاح / لا إظهار الشّماتة والتّعيير
- المؤمن يستر وينصح / الفاجر يهتك ويعيّر

من خلال هذه الثّنائيات الضّديّة التي وظّفها الخطيب وبعد تمعّن المتلقي فيها ، سيدرك أنّها لم تكن عبثًا من أجل التّحسين البديعي فحسب، بل المقصود منها المقارنة بين حضور النّصيحة وغيابها، إضافة إلى التّحلي بآدابها كي تصبح نصيحة حقيقية تؤتي أكلها كلّ حين، مع عدم الاهتمام بردّة فعل الطّرف الآخر لأنّ الهدف منها نيل رضوان الله .

2-3الجناس:

هو الاتّفاق بين لفظتين أو أكثر؛ نوع الحروف وعددها وشكلها وترتيبها مع اختلافهما في المعنى، وهو " من الحلي اللّفظية والألوان البديعية التي لها تأثير بليغ، تجذب السّامع، وتحدث في نفسه ميلا إلى الإصغاء والتّلذُّذ بنغمته العذبة، وتجعل العبارة على الأذن سهلة ومستساغة، فتجد من النَّفس القبول، وتتأثّر به أيّ تأثير، وتقع في القلب أحسن موقع"[1]، لهذا فإنّ للجناس وقع على المتلقي نتيجة للجرس الموسيقيّ الذي يتبع نطق الكلمتين اللّتين يحدث بينهما، فأحيانا يعتقد السامع أنّه قد تمَّ تكرار اللّفظة ذاتها، ولكن سرعان ما يدرك أن توقعه قد كُسر. وخاصيّة الجذب هذه التي يتمتّع بها الجناس جعلت من الباحثين والدّارسين من يتّخذه وسيلة حجاجية ذات قيمة في فهم المقاصد، لأنّه يترك أثرًا حسنا في نفس المتلقي، ووقعًا جميلًا في قلبه[2].

وممّا ورد في الخطب المنبرية:

" لقد كان السّلف لقد كان التّابعون يستشفون ويسترقون بالقرآن والصّدقة"[3]

"-سبق الحديث عن نماذج من امتهان المرأة في الجاهليات الأولى وما كانت تلاقيه من مسخ وخسف وذلة ومهانة

-وذلك من الأدلة على أهمية النّساء أيّام نضارة حضارة العرب"[4]

"-كما قد كانت النّصرة كرّات ومرّات بالسّيف والسّنان

-ثم اعلموا – يا رعاكم الله- أنّه لا يضرُّ المرء ما يلاقيه ممّن يشرقون بالنُّصح ويتأفَّفون بالتَّوجيه والإرشاد ويهوشون ويشوشون بادّعاء الكمال الزّائف الذي يستنكرون بسببه نصح النّاصحين"[5].

---

[1] عبد الفتاح لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة/مصر، ط1، 1999م، ص158.

[2] ينظر: عايد جدوع حنون وثائر عمران الجنابي، الحجاج في القرآن الكريم، آيات الأحكام نموذجا، ص163.وينظر أيضا: فيصل أبو الطفيل، شعرية الجناس في القصيدة الصوفية عند عمر بن الفارض، ضمن كتاب: الخطاب والأخلاق مقاربات بلاغية وتداولية مقالات علمية محكمة، ص312- 313.

[3] أحمد بن علي سعود، خطبة: التداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشريعة الإسلامية.

[4] أحمد طهراوي، خطبة: المرأة في الإسلام.

[5] سعود بن إبراهيم الشريم، خطبة: أهمية النصيحة وآدابها.

الملاحظ أنّ الجناس وُظّف في الخطب المنبرية الدينية دون تكلّف، وكلّه كان من النوع غير التّام؛ أي تشابه اللّفظين في عدد الحروف مع الاختلاف في حرف أو حرفين إضافة إلى اختلاف المعنى، وذلك من أجل استمالة المتلقي والتّأثير فيه بواسطة الإيقاع الجذّاب الذي يتركه الجناس في نفس السّامع، ممّا يسهّل عليه فهم المقصد الموجّه إليه في سياقاته المختلفة.

3تجليّاتآليّات (الوصل والفصل) من منظور البلاغة الجديدة لدى "بيرلمان ودورها في كشف المقاصد في الخطب المنبريّة الدّينيّة

لقد كان لـ**بيرلمان** دور هامّ في تجديد البلاغة وفائدتها بفضل أعماله حول البلاغة الجديدة التي قام بها بالاشتراك **مع لوسي اولبريخت تيتكا (Lucie Olbrecht Tyteca)**، وقد جاءت البلاغة الجديدة قطيعة مع المنطق البرهاني (La logique demonstrative)، ومع البداهة الديكارتية لتفتح المجال أمام منطق حجاجي غير صوري[1].

وأشار إلى أنّ البلاغة الجديدة تتعارض مع كلّ بلاغة غير حجاجية كالبلاغة القديمة التي اهتمت بالإقناع، والبلاغة الكلاسيكية التي اهتمت بالأسلوب وجمالية الخطاب، ليؤسّس لبلاغة جديدة أهمّ ما يميّزها هو اهتمامها بالخطابات الموجّهة لكل أنواع المتلقين، سواء توجّه الخطاب لجمع في ساحة عموميّة، أو لمجموعة من المتخصصين، أو لشخص واحد، أو للبشرية جمعاء، كما أنّها تهتمّ بالحجج المستعملة في المناجاة الفردية مع الذّات[2].

فنجده يُعرّف الحجاج على أنّه " جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزّيادة في حجم هذا الاقتناع "[3] وأنّ غايته " الفعل في المتلقي على نحو يدفعه إلى العمل أو يهيئه للقيام بالعمل"[4]، لهذا فإنّ تفاعل الخطيب مع جمهوره أمر مُهمّ أثناء الحجاج عند **بيرمان؛** هذا لأنّ النّص الحجاجي "هو نص يمتلك سمة خاصّة عبّر عنها بعض الباحثين بـ" الحوارية" إذ أنّه حوار يقوم على علاقة ما بين مؤسّس النّص ومتلقيه وهي علاقة تتّخذ دون شكّ أشكالًا عديدةً يكشفها الخطاب ذاته باعتباره يراهن أحيانا كثيرة على إقناع أكبر عدد ممكن من المتلقين بما جاء فيه، بل قد يطمح أحيانا إلى إقناع ما يسمّى بـ: المتلقي الكوني، وعندها تبقى الخاصّية الحوارية هامّة وأساسيّة في

---

[1] Philippe breton et Gilles Gauthier, Histoire des théories de l'argumentation, paris,2000, p35.

[2] المرجع نفسه، ص19.

[3] سامية دريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص21. نقلا عن: برلمان وتيتكاه، مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة، المطابع الجامعية بليون، ج1، 1981، ص92.

[4] المرجع نفسه، ص92.

تأكيد حجاجية النّص إذ تجعله بشكل ضمني أو صريح موضع رؤى متباينة متناقضة فيتأسّس حول أطروحتين متباينتين حتى وإن اقتضت إستراتيجية الإقناع تغيّب إحداهما أو اقصاهما بحيث لا يجليها ظاهر النّص ولا تلمحها القراءة التي تقف عند حدوده لا تتجاوزها"[1].

أمّا عندما نكون في حوار ثنائي مع مخاطب وحيد –كما في الخطب المنبريّة الدّينيّة – فالحجاج يُبنى حينها على مدى الاتفاق بين الخطيب وجمهوره وقدرته على جعلهم يسلّمون بالأطروحات التي يتقدّم بها إليهم، وبالتّالي فإنّ اختيار وانتقاء المقدّمات والمنطلقات للحجاج، من ضمن الأطروحات المقبولة مِن طرف مَن نتوجّه لهم بالخطاب، ضروريّ في كلّ حجاج، ويفرض علينا انتقاء الوقائع والحقائق وطريقة الوصف والتّقديم، فوصف العناصر التي يتكلّم عنها المتكلّم، لا يمكن أن تتمّ إلّا بواسطة لغة مفهومة من طرف الجمهور(L'auditoire) بشكل يجعل الوقائع المعروضة تتضمّن بالإضافة إلى ما هو مُعطى وما هو مبني، نسبي، من وجهة نظر حجاجيّة، وهو ما يمكّن من التّمييز بين العناصر النّاتجة عن التّأويل والعناصر التي يقع حولها الاتفاق[2]، ومن ثمّ الظّفر بالمقصد المراد إيصاله للمتلقي؛ هذا لأنّ فهم المقاصد منوط بالمتلقي ومدى قدرته على التّأويل الصّحيح الدّقيق لما يلقى عليه من كلام.

إنّ وضوح النّص شيء مرتبط بالمؤوّلين، أي بطريقة تأويلهم للنّص، وهو الأمر الذي يمكن ملاحظته بعد مواجهة مختلف وجهات النّظر ببعضها البعض. وتطرح مشاكل المعنى والتّأويل، عندما يتعلّق الأمر بالعلامات (signes) والمؤشّرات (indices)، ففيما يشكّل تأويل خاطئ لمؤشّر ما خاطئ، فإنّ التأويل المغلوط لعلامة ما، يؤدي إلى سوء فهم وعدم فهم الرسالة (message)[3].

وبما أنّ الخطاب المنبري الدّيني حجاجي بامتياز، فإنّ مقاصده ستختلف باختلاف الآليّات المختارة من طرف الخطيب، وباختيار السّياق الذي ترد فيه...لهذا فإنّنا سنسلّط الضّوء في هذا الجانب على المقاصد المرتبطة بآليّات الحجاج البلاغي، والتي أرسى دعائمها اللّغوي البلجيكي **شاييم يرلمان**، ومن ثمّ البحث في مدى فاعليّتها وجدواها في إقناع الجمهور السّامع.

لقد قسم **بيرلمان** الآليّات الحجايّة إلى قسمين اثنين؛ إذ رأى أنّ العناصر الموظّفة في الحجاج (الحجج) يمكن أن تُقدّم على شكل وصل يمكّن من نقل الموافقة التي يُبديها المتلقي بخصوص المقدّمات إلى النّتائج، ويمكن من ربط الصّلة بين العناصر التي

---

[1] سامية دريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص28.

CHaim perelman, L'empire rhétorique, rethorique et argumentation, librairie philosophique, jvrin, paris,1977, p55

[2] المرجع نفسه، ص55.

[3] المرجع السابق، ص56-57.

تكون متفرّقة في البداية.كما يمكن أن تُقدّم على شكل فصل يهدف إلى فصل عناصر كانت متّصلة فيما بينها بواسطة اللّغة أو بواسطة تقليد معروف وجعلها متفرّقة، أو إحداث قطيعة بينها[1].

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ دراسة آليّات الوصل والفصل الحجاجيّة ومقاصدها لن تتقيّد أثناء التّطبيق بما أرساه **بيرلمان** بحذافيره، وإنّما ستتقيّد بما تمّ توظيفه منها في الخطب المنبريّة المختارة (موضوع الدّراسة)، وعليه فإنّنا سنكتفي أثناء التّطبيق بالحجج الطّاغية فقط ، لأنّ الهدف الحقيقي ليس الوقوف على كلّ هذه الآليّات بقدر ما هو البحث عن مقاصدها في سياقها التّداولي الذي أُلقيت فيه.

1 آليات الوصل:

1-1 حجّة السّلطة (L'argument d'autorité):

غالبا ما تأتي حجّة السّلطة لتأييد حجّة أو حجج أخرى، ويتمّ اختيارها وفقًا للقضية المدافع عنها، وهي "تتمثّل في الاحتجاج لفكرة أو رأي أو موقف اعتمادًا على قيمة صاحبها، والواقع أنّ عددًا كبيرًا من معتقداتنا لا تتأسّس إلّا على تبريرات غير مباشرة يتعلّق الأمر بالمعتقدات التي نقرّها فقط لأنّنا نعتقد أنّ أشخاصًا آخرين لهم من الأسباب الوجيهة ما يجعلهم يقرّونها، فلا نعرف المبرّرات التي تدعم هذه المعتقدات ولكنّنا نعرف أنّ أشخاصًا آخرين يعرفون تلك المبرّرات، ولهذا السّبب نقول إنّ معتقدات كهذه تستدعي حجّة السّلطة"[2]. إذن نلاحظ هنا أنّ المحاجج يحتاج إلى البحث عمّن سبقه لرأيه الذي يدافع عنه، كي يعزّز حجته ويقوى بها من خلال ما جادت به أقوال ومعتقدات سلطات أخرى، وهي كثيرة ومتنوعة فقد "تكون الإجماع أو الرّأي العامّ تارةً، وقد تكون فئات من النّاس تارةً أخرى كالعلماء والفلاسفة ورجال الدّين والأنبياء، وأحيانًا تكون سلطة غير شخصية كالفيزياء أو المذاهب أو الكتب المنزّلة"[3]، ومهما اختلفت أنواعها يبقى الغرض منها واحدًا يتمثّل في إقناع المتلقي ودفعه إلى التّسليم والإذعان؛ هذا لأنّ هذا النّوع من الحجج له طاقة تأثير كبيرة على المتلقي بحيث أنّه إذا ما أرادنا نقضها قابلناها بحجّة سلطة أخرى قد تعادلها أو تكون أقوى منها.

ومن بين السّلطات الواردة في الخطب المنبرية الأربع نجد:

1-1-1 سلطة القرآن الكريم:

يعتمد الخطاب المنبري الدّيني على سلطة القرآن الكريم بالدّرجة الأولى، ذلك لأنّه يُعدّ حجّة لها قوّة تأثير على المتلقي فتدعوه للتّسليم والإذعان بطواعية بعيدًا عن القهر والإرغام، وقد ورد في التّنزيل قوله تعالى: " فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ

[1] المرجع نفسه، ص64.

[2] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص232-233.

[3] الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص79.

فَلْيَكْفُرْ" [1]، لهذا فإنّ خاصيتي الحوار والحجاج التي يتمتّع بهما أكسبتاه قبولا واستحسانًا، مع أنّ الله تعالى غنيّ عن العالمين.

إضافة إلى إعجازه المنقطع النّظير، وما يتميّز به من خصائص ومميّزات جعلت من كلّ مسلم يستمدُّ منه القوّة والعون في محاربة وساوس النّفس والشّيطان...، وبالتالي فهو الدّستور الأوّل والمشرّع الذي لا يُعلى عليه.

ومن غير المعقول أن يلقي خطيب خطبته الدّينيّة دون اللّجوء لهذه السّلطة لما تتمتّع به آيات وأحكام ذات دلالة حجاجيّة تعمل على توجيه المتلقي السّامع نحو حكم شرعي عليه الخضوع له، والعمل بمقتضاه، لما فيه من نفع له سواء في الدّنيا والآخرة.

وبما أنّ الخطيب يحاول بشتّى الطّرق إيصال مقاصده إلى المتلقي، فإنّ اعتماده على سلطة كلام الله تعالى تساعده بشكل كبير على ذلك، وبالتالي فإنّ درجة الإقناع والتّأثير ستزداد، ويرتفع مستواها مقارنة بعدم توظيفها، كما فعل الأئمة الأربعة في خطبهم التي استدعوا فيها هذه السّلطة بشكل بارز كلّ حسب سياق خطبته عموما والسياق الخاصّ الذي وردت فيه الآية.

وقد تمّ توظيف هذه السّلطة في الخطب المنبرية الأربع بنسبة معتبرة في سياقات مختلفة.

ففي خطبة " التّداوي من الأمراض والأوبئة " أورد المحاجج قوله تعالى:

-" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ اِتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ"[2]/ -" اِتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كَلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ"[3]/ -" وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْآَنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا"[4]/-" يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ"[5]/-" وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا"[6]/-" وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا اِبْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّى إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ"[7] /-" فَاقْرَأُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُواْ الصَّلَاةَ وَآَتُواْ الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُواْ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا"[8] /-" تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ

[1] الكهف، آية: 29.
[2] التوبة، آية: 119.
[3] الحج، آية: 02/01.
[4] الإسراء، آية: 82.
[5] يونس، آية: 57.
[6] الإنسان، آية: 09/08.
[7] البقرة، آية: 271.
[8] المزمل، آية: 18.

لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ"[1] /-" **إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُواْ قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ"**[2] /-" **إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَا مِنْ ثُلُثَيْ اللَّيْلِ وَنِصْفِهِ وَثُلُثِهِ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَأُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ القُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَاقْرَأُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُواْ الصَّلَاةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُواْ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا"**[3] /-" **إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا"**[4].

فالمتأمّل لهذا الآيات سيلاحظ أنّها حجج سلطوية نابعة من الذّات الإلهية، تمّ توظيفها من قبل المحاجج لخدمة السياق العامّ لخطبته التي تتمحور حول أنواع مختلفة من وسائل التّصدي لوباء كورونا بحسب ما أقرّته الشّريعة الإسلاميّة (التّداوي بتقوى الله -التّداوي بقراءة القرآن- التّداوي بالصّدقة- بقيام اللّيل- بصلة الأرحام- وبكثرة الصّلاة والسّلام على رسول الله)، والتي قد شملتها الآيات الكريمات السّابقة.

إنّ استدعاء المحاجج لهذه السّلطة العليا كان القصد منه – دون شكّ–هو إقناع المتلقي بطلب الدّواء الرّوحاني وعدم الاكتفاء بوسائل العلاج الماديّة، خاصّة وأنّ النّص السّلطوي كان صريحًا في الحثّ على ذلك حين قال: "وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا".

وفي خطبة " حقوق الطفل في الإسلام " وظّف النّابلسي الآيات الآتية:

-" **وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا"**[5] /-" **ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُواْ آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ"**[6] /-" **وَالوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى المَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ"**[7] /-" **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ"**[8].

إنّ الخطاب في الآيات السّابقات هو خطاب توجيهي استغلّه المحاجج في تمرير هذه السّلطة إلى المتلقي قصد إقناعه، فابتدأ بقضية إحياء الأنفس عمومًا ليحذر بذلك من أيّ تعدّ أو قتل أو ظُلم للنّاس بعضهم لبعض، وللطفل على وجه الخصوص، وهو حق شرعي له، لينتقل إلى واجب الآباء والأمّهات تجاه أبنائهم؛ فهم مسؤولون عليهم

[1] السجدة، آية: 17/16.
[2] الذاريات، آية: 17/16.
[3] المزمل، آية: 18.
[4] الأحزاب، آية: 56.
[5] المائدة، آية: 32.
[6] الأحزاب، آية: 05.
[7] البقرة، آية: 233.
[8] البلد، آية: 10.

مسؤولية كاملة دون نقص، فالله تعالى بيّن طريق الحقّ وطريق الباطل، وكلٌّ منهما بيّن وواضح لمن أراد الحفاظ على حقوق الطفل كما حدّدها الشّرع.

ولعلم النّابلسي مدى تأثير هذه الآيات على مسامع المتلقي على اعتبار السّلطة التي تمارسها، استدعاها لإيصال مقاصده له، وبالتالي اقناعه بكل رفق وسلاسة باتّباع الشّرع في احترام حقوق الطّفل ومنه ضمان تسليمه وإذعانه.

كما نجد أحمد طهراوي في خطبته " المرأة في الإسلام "يوظّف قوله تعالى:

-" الحَمْدُ للهِ الّذِي جَعَلَ الظُّلُمَات وَالنُّورَ ثُمَّالَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ"[1] /-"كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهُهُ لَهُ الحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ"[2] /-" وَللهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اِتَّقُواْ اللهَ وَإِنْ تَكْفُرُواْ فَإِنَّ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللهُ غَنِيًا حَمِيدًا"[3] /-" وَعَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا"[4] /-" فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ"[5] /-" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اِتَّقُواْ رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً"[6] /-" وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ"[7] /-"وَإِذَا المَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ"[8] /-"قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ"[9] /-"لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونِ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرِكَ الوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا"[10] /-"قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ"[11] /-"أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى"[12] /-"وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"[13] /-"وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُواْ إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا "[14] /-"حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهًا وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا"[15].

---

[1] الأنعام، آية:01.
[2] القصص، آية 88.
[3] النساء، آية 131.
[4] النساء، آية: 19.
[5] آل عمران، آية:195.
[6] النساء، آية: 01.
[7] النحل، آية: 58.
[8] التكوير، آية: 09/08.
[9] الأنعام، آية: 140.
[10] النساء، آية: 07.
[11] الزمر، آية: 09.
[12] البقرة، آية: 282.
[13] الروم، آية: 21.
[14] الإسراء، آية: 23.
[15] الأحقاف، آية: 15.

الآيات السّابقة وقع الاستشهاد بها في خطبة " المرأة في الإسلام " نظرا لحجّتها السّلطوية المستمدّة من مرجعية دينية خاصّة متمثّلة في كلام الله عزّ وجلّ، وهذه السّلطة في حقيقتها تمنح الكلام مصداقية لا ريب فيها وتحمل في طيّاتها حقائق ما على المتلقي إلّا تقبّلها و التّسليم بها.

فعلى الرّغم ممّا نادت به التّشريعات الأخرى من حقوق للمرأة باسم الانفتاح والحرّية، و...، إلّا أنّ تعاليم الدّين الإسلامي كانت عادلة، تدعو إلى الوسطيّة والاعتدال في كلّ شيء بما في ذلك مكانة المرأة أمًّا، بنتًا، زوجةً، أختًا، ودورها في النّهوض بالأمم على حدّ قول الشّاعر **أحمد شوقي**:

الأمّ مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبًا طيّب الأعراق

لهذا نجد أنّ المحاجج وفّق في استدعاء هذه السّلطة لإقناع جمهوره السّامع، خاصّة وأنّ موضوع مكانة المرأة يُعد من الموضوعات الحسّاسة نوعا ما.

كذلك الأمر ذاته في خطبة " أهميّة النّصيحة وآدابها "؛ إذ وظّف الخطيب قوله تعالى:

-"فَاتَّقُواْ اللهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"[1] /-"أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آَمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ كَالمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ المُتَّقِينَ كَالفُجَّارِ"[2] /-"لَنْ يَسْتَنْكِفَ المَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا للهِ وَلَا المَلَائِكَةُ المُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا"[3] /-"فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ"[4] /-"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالقِسْطِ شُهَدَاءَ للهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوْ الوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ"[5] /-"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُواْ اِعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى"[6] /-"فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اِتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ"[7] /-"لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا"[8] /-"اُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"[9] /-"فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ"[1] /-"إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا"[2].

---

[1] المائدة، آية: 100.
[2] ص، آية: 28.
[3] النساء، آية: 172.
[4] الأعراف، آية: 79.
[5] النساء، آية 135.
[6] المائدة، آية: 08.
[7] القصص، آية: 50.
[8] الإنسان، آية: 10/09.
[9] النحل، آية: 125.

نلحظ هنا أنّ سلطة القرآن الكريم قدّمت خدمة جليلة للمحاجج الّذي اعتمد عليها في بيان أهميّة النّصيحة والآداب الواجب التّحلي بها أثناء إسدائها إلى الطّرف الآخر، خاصّة وأنّ هذا الموضوع يلمس جانبًا كبيرًا من حياة الأنبياء والمرسلين، الذين حاولوا بشتّى الطّرق نصح وإرشاد أقوامهم إلى دين الله الواحد الأحد، وتحمّلهم المشاقّ والصّعاب في ذلك، لهذا فإنّ استجلاب هذه السّلطة تجعل من المتلقي يقتدي بمن سبقه من الأنبياء والمرسلين في النُّصح والتَّناصح رغم صعوبة المهمّة.

2-1-1 سلطة الحديث النّبوي الشّريف:

يُعدّ الحديث النّبوي الشّريف المصدر الثّاني من مصادر التّشريع بعد القرآن الكريم، إذ أنّ أهميته لا تقلّ عن القرآن الكريم، والأصل فيه أنّه خطاب قضوي يدعو إلى الله تعالى، وأنّه خطاب إجرائي يتمثّل في إتّباع الحكمة والموعظة الحسنة[3]، بكل رفق ولين، لهذا فهو "عمل غرضه دائما أن يغيّر وضعًا قائمًا"[4]عن طريق ممارسة الحجاج بسمة حوارية، وهو تمامًا ما نادت به البلاغة الجديدة؛ حيث يرى **بيلمان وتيتكاه** أنّه ومن أجل وصول منتج الخطاب إلى نتيجة معيّنة أثناء تلفظه فعليه اتّباع إحدى الطّريقين: العنف أو الخطاب المقنع، غير أنّ الحديث النّبوي الشّريف لم يعتمد إلا الحوار سبيلًا ومنهجًا في سبيل الدّعوة إلى الله تعالى[5]، ونظرًا لخصائصه الإقناعية فإنّه لا غنى لخطيب في خطبته المنبرية الدينية عنه، إذ يُعتمد عليه اعتمادا كبيرا، أو هو دائما في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم نتيجة للسّلطة الحجاجية التي يتمتّع بها، وهو ما فعله الأئمة الأربعة في الخطب التي بين أيدينا.

ففي خطبة " المرأة في الإسلام " يوظّف الخطيب سلطة الأحاديث النّبوية الآتية[6]:

-" **استوصوا بالنّساء خيرا** " متفق عليه

-" **ما تركت بعدي فتنة أضرّ على الرّجال من النّساء** " صحيح الجامع

-" **والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيّتها** "

-" **من كنّ له ثلاث بنات فصبر على إيوائهن وضرائهنّ أدخله الله الجنّة برحمته إيّاهنّ، فقال رجل: وابنتان يا رسول الله؟ قال: وابنتان، قال رجل يا رسول الله وواحدة؟ قال: وواحدة** " رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

-" **من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين** " وضمّ أصابعه. رواه مسلم وغيره

-" **الدّنيا متاع وخير متاعها المرأة الصّالحة** " رواه مسلم

---

[1] فصلت، آية: 34.

[2] الأحزاب، آية: 56.

[3] ينظر: أرفيس بلخير، الحجاج وآليات الاقناع في الحديث النبوي الشريف، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، مج34، ع1، ص449.

[4] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، دار الفارابي، ط2، 2007، ص45.

[5] ينظر: أرفيس بلخير، الحجاج وآليات الاقناع في الحديث النبوي الشريف، ص450.

[6] أحمد طهراوي، خطبة: المرأة في الإسلام.

-" **فخياركم خياركم لنسائهم** " رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وصححه ابن حيان

-" **رغم أنف، رغم أنف ثمّ رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنّة** " رواه مسلم

-"**وهذا ابن عمر رضي الله عنهما يشهد رجلًا يمانيًا يطوف بالبيت وقد حمل أمّه وراء ظهره ويقول:**

إنّي لها بعيرُها المذلّل إن أُذْعِرَتْ ركابها لم أَذْعَرْ

ثمّ قال: يا ابن عمر أتراني جزيتها؟ قال لا، ولا بزفرة واحدة" رواه البخاري في الأدب المفرد وصحّحه الألباني

-" **وفي صحيح مسلم قال أبو هريرة-رضي الله عنه-: والّذي نفس أبي هريرة بيده، لولا الجهاد في سبيل الله، والحج، وبرّ أمي، لأحببت أن أموت وأنا مملوك. قال أحد رواة مسلم: وبلغنا أنّ أبا هريرة – رضي الله عنه- لم يكن يحجّ حتى ماتت أمه؛ لصحبتها"** رواه مسلم

لقد وُظّفت هذه الأحاديث النّبوية كلّها خدمة للموضوع العامّ للخطبة، وهي تمثّل سلطة تشريعيّة تدعو المتلقي السّامع إلى التّسليم والانقياد لها دون نقاش أو جدال، والملاحظ أنّ هذه السّلطة استدعاها المحاجج لتكون رديفة لحجّة سلطة القرآن الكريم؛ إذ أنّها تقوم بتفسير وشرح معاني ودلالات الآيات القرآنية التي استشهد بها المحاجج للدّفاع عن مكانة المرأة في الإسلام.

ولقد أورد أحمد بن علي سعود في خطبة " التّداوي من الأمراض والأوبئة " أحاديث النّبي صلّى الله عليه وسلّم كسلطة فيما يأتي[1]:

-" **احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز**" رواه مسلم.

-" **من لم يستشف بالقرآن فلا شفاء له، شفاءُ أمّتي في آية من كتاب الله أو لعقة عسل أو شرفة محجم**" أورده القرطبي في تفسيره.

- روى ابن كثير في تفسيره حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله صلّى الله عليه وسلم: " **يا عائشة إنّ الله أخبرني بدائي وشفائي، قالت كان صلّى الله عليه وسلم إذا اشتكى قرأ على نفسه الإخلاص والمعوذتين؛ سورة الإخلاص، سورة الفلق، سورة النّاس. قالت لمّا اشتدّ وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه بيده رجاء بركتها**" سنن أبي داوود.

-" **من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين** " أخرجه البخاري.

[1] أحمد بن علي سعود، خطبة: التداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشريعة الإسلامية.

-" **داووا مرضاكم بالصّدقة فإنّ الصّدقة برهان تطفئ الخطيئة وتُذهب غضب الربّ وتدفع ميتة السّوء** " حسّنه الألبانيّ.

-" **عليكم بقيام اللّيل، عليكم بقيام اللّيل فإنّه دأب الصّالحين قبلكم وقربة إلى ربّكم ومنهاة عن الإثم وتكفير للسّيئات ومطردة للدّاء عن الجسد** " أخرجه السيوطي.

- **سأل أبو كعب رضي الله عنه النّبي صلّى الله عليه وسلم عن كثرة الصّلاة والسّلام قال له: " إذن تُكفى همّك ويُغفر ذنبك** " رواه الترمذي.

إنّ اختيار الخطيب لهذه الأحاديث لم يكن وفقا لمضمونها فحسب، بل لما تتمتّع به من سلطة تأثيريّة على الجمهور السّامع، الذي بمجرد تلقيه لهذه النّصوص سيهدأ باله، ويزداد توكّله على الله تعالى في مواجهة الأمراض والأوبئة التي اجتاحت العالم، خاصّة وأنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلم قد عايش مواقف مشابهة لما يعيشه العالم الآن، لهذا نلحظ أنّ المحاجج يضغط على الزّناد بهذه السّلطة الحجاجية قصد تخفيف الهلع أولا، ثمّ لجعل المتلقين يسعون للبحث عن العلاج الرّوحي لهذا الوباء وعدم الاكتفاء بالطّبّ العادي.

وفي خطبة " حقوق الطّفل في الإسلام " يوظّف النّابلسي أحاديث النّبي صلّى الله عليه وسلم الآتية[1]:

-" **لا تجني أمّ على ولدها** " النسائي وأبو يعلى وأبو نعيم عن طارق المحاربي

-" **الولد للفراش** " رواه مسلم عن أبي هريرة

-" **كفى بالمرء إثمًا أن يضيّع من يقوت** " أبو داود عن عبد الله بن عمرو

-" **كلُّكم راع ومسؤول عن رعيّته** " متفق عليه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

-" **مُروا أولادكم بالصّلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرّقوا بينهم في المضاجع** " رواه أحمد والبيهقي والدار قطني عن عمرو بن شعيب

-" **احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده اتجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله** " أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عبّاس

-" **يا غُلام سمّ الله وكُل بيمينك وكل ممّا يليك** " صحيح عن عمر بن أبي سلمة

-" **مَنْ لا يرحم لا يُرحم** " البخاري ومسلم عن أبي هريرة

إنّ الاستشهاد بأحاديث النّبي صلّى الله عليه وسلم في الخطب المنبرية الدينية يزيدها قوّة حجاجية واقناعية بحكم سلطتها التّشريعية، التي يستغلّها منتج الخطاب في تمرير خطابه الدّيني، واهتمام النّبي صلّى الله عليه وسلم بالطفل وإيلائه مكانة في حياته تجلّت من خلال تعامله مع أبنائه والأبناء عموما، يجعل المتلقي يستشعر ذاك الصّنيع ويتّبعه من باب الاقتداء به، فهو المعلّم والمربي والموجّه...، لهذا فإنّ أقواله

1 محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام.

وأفعاله تعدّ كلّها حججا قوية لمن أراد الدّفاع عن أمر معيّن باتباعه أو الحثّ عن الابتعاد عنه.

أمّا في خطبة " أهميّة النّصيحة وآدابها " وظّف الخطيب الأحاديث النّبوية الآتية[1]:

-" **من لا يهتمّ بأمر المسلمين فليس منهم** " رواه الطبراني

-" **الدّين النّصية" قالها ثلاثا، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: "الله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامّتهم**" رواه مسلم

-" **مَنْ التمس رضا الله بسخط النّاس كفاه الله مؤونة النّاس، ومن التمس رضا النّاس بسخط الله وكّله الله إلى النّاس** " رواه الترمذي

لقد استثمر الخطيب في خطبته حجّة الحديث النّبوي الشّريف، ليثبت للمتلقي أنّ قضيّة النُّصح والتّناصح لم يُشر إليها القرآن الكريم فحسب، بل حتى النّبي صلّى الله عليه وسلم قد أشار إليها في أحاديثه ودعا للتّحلي بها، ولهذا فإنّ استدعاءه لهذه الأحاديث كان من باب أنّها حجّة لها سلطة على من يوجّه إليه الخطاب، وبالتّالي ما عليه إلا الاستسلام ومحاولة التّطبيق، وذلك بقبول النّصيحة في المجتمع والدّعوة لها وتعميمها دون اعتراض أو طلب لغير رضا الله تعالى.

3-1-1 سلطة كبار العلماء والشّخصيات والمؤسّسات:

أساس هذه السّلطة أقوال وأفعال العلماء وكبار الشّخصيات والمؤسّسات ذات المصداقية...والتي اكتسبت شهرةً ومعرفةً عالميةً من خلال ما قدّمته للبشرية من فوائد ومنافع جمّة في مجالات مختلفة، فحازت على الثّقة وصارت أقوالها وأفعالها حجّة يستدعيها منتج الخطاب كي يقنع طرفا آخر أثناء العملية التّلفظية التّواصلية التّداولية.

وكثيرا ما يحتاج الخطيب أثناء إلقاء خطبته المنبريّة إلى هذا النّوع من السّلطة قصد إقناع الجمهور السّامع بالموضوع الذي يُلقى على مسامعه، فيستطيع من خلالها إيصال مقاصده له حين يستجلب قولًا أو فعلًا أو تقريرًا لعالم أو شخصيّة أو مؤسّسة ... لها باع عريض في ذاك المجال، فيضفي بذلك على كلامه قوّة حجاجيّة تجعل من السّهل عليه أنّ يؤثر على غيره ويقودهم نحو التّسليم والإذعان لما يقوله.

وبعد ولوجنا الخطب المنبريّة عثرنا من هذه السّلطة على الآتي:

ففي خطبة " المرأة في الإسلام " يقول الخطيب:

-" **قال سعيد بن جبير[2] وقتادة: كان المشركون يجعلون المال للرّجال الكبار ولا يورثون النّساء ولا الأطفال شيئا فأنزل الله هذه الآية: " للرّجال نصيب ممّا ترك**

---

[1] سعود بن إبراهيم الشريم، خطبة: أهمية النصيحة وآدابها.

[2]"سعيد بن جُبير: الوالي الكوفي المُقري المفسر الفقيه المحدث أحد الأعلام؛ أكثر روايته عن ابن عبّاس، وحدّث في حياته بإذنه وكان لا يكتب الفتاوي مع ابن عبّاس؛ فلمّا عمي ابن عبّاس كنب وروى. رُويَ أنّه قرأ القرآن في ركعة في البيت الحرام، وقيل كان أعلم التابعين بالطلاق. قتله الحجاج سنة95ه وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه". حسن مغنية، حال العرب سلسلة أخبار العرب، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت/ لبنان، 1981م، ص145.

الوالـدان والأقربـون وللنّسـاء نصـيب ممّـا تـرك الوالـدان والأقربـون ممّـا قـلّ منـه أو كثر نصيبا مفروضا".

-هذا غوستاف لوبون[1]صاحب حضارة العرب يذكر أنّـه كثُر فـي العهد العباسـي وفـي ظـلّ الأمـويين فـي الأنـدلس النسـاء اللّـواتي اشـتهرن بمعـارفهن العلميـة والأدبيـة و..."[2]

أمّا في خطبة " أهميّة النّصيحة وآدابها " نجد توظيفا لهذه السّلطة من خلال:

-" قـال الفضـيل[3]– رحمـه الله – : " الحـبُّ أفضـل مـن الخـوف، ألا تـرى إذا كـان لـك عبـدان مملوكـان أحـدهما يحبّـك والآخـر يخافـك، فالـذي يحبّـك منهمـا ينصـحك شـاهدا كنـت أو غائبـا لحبّـه إيّـاك، والـذي يخافـك عسـى أن ينصـحك إذا شـهدت لمـا يخافـك، ويغشّك إذا غبت عنه ولا ينصحك"

-" ولقـد أحسـن ابـن القـيّم[4] –رحمـه الله – حـين قـال: "فالسّـعيد الـرّابح مـن عامـل الله فـيهم ولـم يعـاملهم فـي الله، وخـاف الله فـيهم ولـم يخفهـم فـي الله، وأرضـى الله بسخطهم ولم يُرضهم بسخط الله، وراقب الله فيهم ولم يراقبهم في الله"

-" ورحـم الله الإمـام أبـا عبـد الله ابـن بطّـة[5] حينمـا تحـدّث عـن النّصـح وقبـول الصّـواب مـن الغيـر فقـال: " واغتنامـك بصـوابه – أي: بصـواب ناصـحك – غـشٌّ فيـه وسـوء

---

[1]"غوستاف لوبون: (07مايو1841- 13 ديسمبر 1931) عالم نفس اجتماعي وعالم اجتماع وطبيب هاوي فرنسي، اهتم بالحضارة الشرقية. من أشهر آثاره: " حضارة العرب" و " حضارة الهند " و " باريس 1884 " و " الحضارة المصرية " و " حضارة العرب في الأندلس "، يعتبر أحد أشهر فلاسفة الغرب وأحد الذين أنصفوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية. وهو يرى أنّ الإسلام رفع المرأة من الدرك الأسفل الذي كانت فيه خلافا للاعتقاد الشائع".
https://www.marefa.org .تاريخ النشر: 13 أغسطس 2010م، تاريخ الزيارة: 21 جويلية 2022م، 09:00.

[2]أحمد طهراوي، خطبة: المرأة في الإسلام.

[3]الفضيل ابن عياض التميمي، وُلد بسمرقند ونشأ بخراسان، لم تحدد كتب التاريخ سنة مولده، قضى فترة من الوقت في الكوفة، فكتب العلم عن علمائها، كمنصور والأعمش، وعطاء بن السائب، وصفوان بن سليم...، ثمّ استقرّ بمكة حتى توفي بها سنة 187ه، التزم الكتاب والسنة، عومن بين مواعظه: الاخلاص والخوف من الرياء، الحرص على المأكل الحلال، التحذير من البدع...ينظر: صالح أحمد الشامي، مواعظ الإمام الفضيل بن عياض ت187ه، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998م، ص من 5 إلى 23.

[4] ابن قيّم الجوزية: هو المجتهد الأصولي البارع والمتكلم النظار واللغوي الفائق أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز، الزرعي الدمشقي، شمس الدين المعروف بابن قيّم الجوزية ولد سنة 691ه وهو الظرف الذي سقطت فيه الخلافة العباسية ب 35سنة ، تتلمذ على يد العديد من أعلام عصره ومن أبرزهم الحافظ تقي الدين بن تيمية. كان رحمه الله شديد التمسك بكتاب الله وسنّة رسوله، كامل الاقتداء بهدي السلف الصالح، سُنيّ المعتقد. ترك عدّة مؤلفات لا يتسع المقام لذكرها منها " أعلام الموقعين" في الفقه وأصوله ومقاصد الشريعة و" الصواعق المرسلة " في أصول الدين...توفي – رحمه الله – سنة 751ه .ينظر: ابن قيّم الجوزية، الفوائد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/لبنان، 2000م، ص3-4-5-6.

[5] أبو عبد الله بن بطّة: هو عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري المكنى ب: أبو عبد الله، المعروف بابن بطّة، ولد في عكبرا سنة 304ه ، سافر كثيرا إلى مكة والثغور والشام والبصرة وغيرها من البلاد، كان إماما فاضلا من أئمة السنة ومن فقهاء الحنابلة، صالحا زاهدا مستجاب الدعوة. توفي في عكبرا سنة 387ه، من مؤلفاته: " السنن" و " الإبانة الكبير والابانة الصغير " و " تحريم النميمة ".
https://majles.alukah.net/t36889 تاريخ النشر: 2009/07/06م، تاريخ الزيارة: 2022/07/21م، 10:49.

نيّة في المسلمين، فاعلم – يا أخي –أنّ من كره الصّواب من غيره ونصر الخطأ من نفسه لم يؤمن عليه أن يسلبه الله ما علمه وينسيَه ما ذكره، بل يُخاف عليه أن يسلبه الله إيمانه؛ لأنّ الحقّ من رسول الله إليك افتُرض عليك طاعته، فمن سمع الحقّ فأنكره بعد علمه له فهو من المتكبّرين على الله"[1].

كما وظف الخطيب في ذات الخطبة قوله:

-" قال النّووي[2] – رحمه الله - : هذا حديث عظيم الشّأن[3]، وعليه مدار الإسلام، وأمّا ما قاله جماعات من العلماء أنّه أحد أرباع الإسلام – أي: أحد الأحاديث الأربعة التي تجمع أمور الإسلام – فليس كما قالوه، بل المدار على هذا وحده"

-" يقول ابن القيّم[4]– رحمه الله – :" إذا رُزق العقل الغريزيّ عقلا إيمانيًّا مستفادًا من مشكاة النّبوّة، لا عقلًا معيشيّا نفاقيّا يظنّ أربابُه أنّهم على شيء، ألا إنّهم هم الكاذبون، فإنّهم يرون العقل أن يُرضوا النّاس على طبقاتهم ويسالموهم ويستجلبوا مودّتهم ومحبّتهم، وهذا مع أنّه لا سبيل إليه فهو إيثار للرّاحة والدّعة ومؤونة الأذى في الله والمحبّة فيه والبغض فيه، وهو إن كان أسلمَ في العاجلة فهو الهلك في الآجلة، فإنّه ما ذاق طعم الإيمان من لم يحبّ في الله ويبغض فيه، فالعقل كلّ العقل ما أوصل إلى رضا الله ورسوله"[5].

ولقد وظّف النّابلسي أيضا هذه السّلطة حين قال:

-" حدّثنا أستاذ في الجامعة قال: لو أنّ الأمّ أرضعت ابنها بقسوة لكان المولود قاسيا، يشرب الحنان مع حليب أمّه"

- حتى أنّ معمل الحليب للأطفال أُلزم أن يكتب لا شيء يعدل حليب الأمّ

---

[1] سعود بن إبراهيم الشريم، خطبة: أهمية النصيحة وآدابها.

[2] النوويّ: الإمام الحافظ القدوة شيخ الإسلام محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مروى الحزامى الحوراني الشافعي صاحب التصانيف النافعة ولد سنة 631ه بنوى، تتلمذ على يد شيوخ كبار من أمثال الرضي بن البرهان، وعبد العزيز بن محمد الأنصاري، وزين الدين بن عبد الدائم ...ترك ثروة طائلة من التصانيف نذكر منها: شرح صحيح مسلم، رياض الصالحين...وافته المنية سنة676ه. ينظر: النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، موسوعة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع، ج1، ط2، 1994م، ص13- 15- 16.

[3] كلام النووي هذا جاء تعقيبا على حديث النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: "الدّين النّصيحة" قالها ثلاثا، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: "الله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" رواه مسلم. سعود بن إبراهيم الشريم، خطبة: أهمية النصيحة وآدابها.

[4] ابن قيّم الجوزية: هو المجتهد الأصولي البارع والمتكلم النظار واللغوي الفائق أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز، الزرعي الدمشقي، شمس الدين المعروف بابن قيّم الجوزية ولد سنة 691ه وهو الظرف الذي سقطت فيه الخلافة العباسية ب 35سنة ، تتلمذ على يد العديد من أعلام عصره ومن أبرزهم الحافظ تقي الدين بن تيمية. كان رحمه الله شديد التمسك بكتاب الله وسنّة رسوله، كامل الاقتداء بهدي السلف الصالح، سُنيّ المعتقد. ترك عدّة مؤلفات لا يتسع المقام لذكرها منها " أعلام الموقعين" في الفقه وأصوله ومقاصد الشريعة و" الصواعق المرسلة " في أصول الدين...توفي – رحمه الله – سنة 751ه .ينظر: ابن قيّم الجوزية، الفوائد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/لبنان، 2000م، ص3-4-5-6.

[5] سعود بن إبراهيم الشريم، خطبة: أهمية النصيحة وآدابها.

- الآن طبيب أطفال كبير في دمشق قال لي: والله خمس عشرة حالة أطفال ضُربوا بآلات حادة من آبائهم وأمهاتهم لأنّهم نغصوا عليهم ليلتهم فجيء بهم إلى المستشفى"[1]

إنّ استدعاء منتجي الخطاب لهذه المقولات لم يكن من أجل إثراء الموضوع بقدر ما هو سلطة موظّفه من أجل مساعدة الجمهور السّامع على فهم مقاصدهم من جهة، ومن جهة أخرى بغرض الإقناع، وهو القصد الأسمى من الخطب المنبريّة الدّينيّة، كلّ بحسب الموضوع المتطرّق إليه، والبون شاسع والفرق واضح بين توظيف هذه الحجّة السّلطوية من عدمه، فهي تزيد من لفت الانتباه وشدّة التّأثير على المتلقي الذي حينما يُعرض عليه موضوع مدعّم بحجج متنوّعة منها سلطة الشّخصيات العظيمة... فإنّه لا محالة سيقتنع، خاصّة لمّا تكون نابعة من سلطة أخرى تتمثّل في سلطة الخطيب (إمام المسجد).

4-1-1 سلطة إمام المسجد (منتج الخطاب):

يحتاج منتج الخطاب أثناء إلقاء خطبته إلى فرض سلطته كإمام للمسجد، بعد أن يكون قد اكتسب ثقة كبيرة من لدن جمهوره السّامع الذي منحه تلك الثّقة استنادًا إلى مواقف وتجارب بُنيت عليها، فيصبح كالآمر النّاهي الذي لا تُردّ كلمته، وبالتّالي نجده يستغلّ هذه السّلطة في أن يجعل منها حجّة قويّة مادامت مستندة على كلام الله تعالى وأحاديث رسوله الكريم صلّى الله عليه وسلّم ولا تعارضهما؛ أي تدعو إلى المعروف وتنهى عن المنكر،و يمكن عدُّ أساليب الأمر والنّداء والاستفهام الواردة في الخطب المنبريّة التي بين أيدينا والتي سيتمّ التّطرق إليها في الفصل القادم.

وبالرّجوع إلى تلك الأساليب نلاحظ أنّ أغلبها كان على شكل نصائح وإرشادات قدّمها منتجو الخطاب،واستثمروها من أجل تسويغ خطاباتهم النُّصحيّة، لهذا فهي نابعة من سلطة الذّات التي يتمتعون بها بناء على المسؤوليّة الملقاة عليهم، وبالتّالي فإنّ استجلابهم لهذا النّوع من الحجج يُعدّ من باب فرض سلطتهم العليا - سلطة الأنا – وجعل جمهورهم السّامع أكثر اقتناعًا وأكثر تسليمًا.

2 آليّات الفصل:

2-1- فصل المفاهيم(La dissociation des notions):

المقصود بفصل المفاهيم فصل الحقيقة كما تظهر وحقيقة الأشياء في ذاتها خاصّة في تلك المفاهيم المسلّم بها، ويتمّ ذلك بواسطة ثنائية مظهر / حقيقة (Apparence/réalité)، فيتم حينها فصل وحدة المفاهيم المتضامنة لأجل إقصاء أحد العنصرين اللّذين تمّ الفصل بينهما للتّأكيد على الباقي[2]، ولأجل تفادي التّناقض

[1] محمد راتب النابلسي، خطبة: المرأة في الإسلام.

[2] ينظر: فيليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، ط1، 2011، ص57.

والتّعارض الذي من الممكن أن يحدث بين الثّنائيتين؛ إذ " يشكل المظهر الحدّ الأوّل للمعرفة، بينما تشكّل الحقيقة الحدّ الثّاني، والحقيقة هي المعيار الذي يمكّن من الحكم بين المظاهر. يصير الحدّ الثاني معيارا للحد الأوّل من حيث كونه يزكيه باعتباره تعبيرا أصيلا عن الواقع أو الحقيقي (Le réel)، أو يرفضه لكونه يشكّل خطأ أو مظهرا زائفا"[1].

وكمثال على ذلك، لو أخذنا نموذج الزّوج: مظهر / حقيقة، فيمكننا أن نمثّله بـــ: الحدّ1 / الحدّ2، حيث يشكّل الحدّ1 المظهر، يعني ما يتبادر إلى الذّهن بشكل آني وفوري، عكس الحدّ2، على اعتبار أنّه لا يفهم ولا يمكن إدراكه إلّا في علاقته بالحدّ1، هذا لأنّه نتيجة لفصل يجري داخل الحدّ1، إضافة لأن هدفه إزالة وإزاحة التّناقضات التي من الممكن أن تظهر بين مختلف مظاهر هذا الأخير، وبالتالي فإنّ الحدّ2 عبارة عن معيار يتيح خاصية التّمييز والتّفريق بين ما هو مقبول وما هو غير مقبول فيما يخص مظاهر الحدّ1 [2] .

وعليه، ومن خلال الفصل بين حدّي الثّنائية نستطيع أن نميّز أحدهما عن الآخر، وأن نقصي ونبعد كلّ ما يحمله الحدّ1 من تظليل وتزييف ومظاهر خادعة بعيدة عن واقع الحدّ2، أي إسقاط أحد الحدّين وإبقاء الآخر، وذلك بانطلاقنا من الحدّ2 الذي يمثّل القاعدة والأساس والجوهر الذي نحكم من خلاله، ومن بين هذه الثّنائيات - على سبيل التّمثيل لا الحصر- ثنائية عالم المادة / عالم المثل ، ظاهر / حقيقي، معرفة حسية / معرفة عقلية، جسم / روح، تحوّل / ثبات، ...[3]

إنّ التّعبير عن ثنائيات الحدّ1/ الحدّ2 يكون وفق مختلف الأساليب التي يتجلّى فيها الفصل بين الحدّين، كاستخدام عبارات وسوابق (Préfixes) معيّنة مثل (شبه) كقولنا: شبه طبّي، واللّا أخلاقي، وبعض الصّفات مثل (المزعوم)، (الموهوم) كقولنا: الحقوق المزعومة، فهي كلّها تشير إلى الحدّ1، في حين الحدّ2 يعبّر عنه بعبارات دقيقة كاستعمال الحرف النّاجي (Majuscule)، وأداة التّعريف (أل)، والنّعوت مثل (فريد)، (حقيقي)[4].

ولو أمعنّا النّظر في الخطب المنبرية الأربع لوجدناها هي في حدّ ذاتها حجج فصل، القصد منها تمييز وفصل المفاهيم بعضها عن بعض.

فقد لجأ الأئمة في خطاباتهم إلى حجّة الفصل بين ثنائيتي الظّاهر/ حقيقي، وذلك لتمييز الوهم الذي يعيشه غالبية النّاس في واقعهم، من الحقيقة المتمثّلة في كيف ينبغي أن يعيش، إزاء الموضوعات المختارة.

---

[1] عبد الواحد بن السيد، الحجاج في الخطابة، ص118.

[2] ينظر: عبد الواحد بن السيد، الحجاج في الخطابة، ص118.

[3] ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر، تونس، ط1، 2011م، ص62.

[4] ينظر: الحسين بنو هاشم: نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت/ لبنان، ط1، 2014، ص98.

ففي خطبة المرأة في الإسلام استدعى المحاجج حجّة الفصل من خلال بيان الحدّ بين ما تعيشه المرأة ومعاملة الآخر لها واقعا (الظاهر الزائف)، وبين المرأة في الإسلام (الحقيقة الصّادقة)، والمكانة التي كرّمها بها الله تعالى وعقلاء النّاس والتي لا تدرك إلا بالعقل." فالحقيقة باعتبارها الطّرف الثّاني في الزّوج المظهر/ الحقيقة مهمّته إقصاء التّعارضات التي تظهر في الطّرف الأوّل (المظهر)؛ إذ يزودنا بما هو مقبول وغير مقبول في الطّرف الأوّل.إنّ الطّرف الثّاني بالقياس إلى الطّرف الأول معياري وتفسيري؛ فهو يسمح عند الفصل بتثمين أو بتبخيس المظاهر التي يبدو عليها الطّرف الأول؛ إنّه يسمح بالتّمييز داخل هذه المظاهر بين ما يُعدّ سوى مظهر وبين ما يعدّ حقيقة"[1]، فواقعنا العربي الإسلامي المزيف بات ينظر إلى المرأة بمنظار غيره من باب التّبعية العمياء، ربّما لشعور نقص لديه أو لأنّ المغلوب دائما مولع بإتباع الغالب في جميع أحواله على حدّ تعبير **ابن خلدون (ت**808ه)، وبالتّالي فإنّ نظرة المجتمع للمرأة ليست حقيقية خالصة، بل يشوبها التّزييف من جانبين اثنين:

الجانب الأول: وهو كما أشرنا إليه، يتعلّق بمنظار الغير النّاتج عن التّبعية للآخر من جميع الجوانب.

الجانب الثاني: تلك النّظرة الدونية النّاتجة عن المجتمع العربي المسلم الذّكوري الذي لا يعترف بمساواة الإسلام بين الذّكر والأنثى عمليا...

لهذا جاء الخطيب أحمد طهراوي ليفصل في الأمر بهذه الخطبة التي هي حجّة تفنّد الواقع المزيّف الذي يعيشه الإنسان، فبعد عرضه لحقوق المرأة في الإسلام في خطبته نجده يطرح السؤال الآتي:" **أين هذا من الحضارة المزعومة المعاصرة التي ترمي بالبنت في قارعة الطّريق لتبحث عن مأوى آخر، وتهيم بوجهها في صحراء مهلكة، تحيط بها الذّئاب من كلّ جانب"**[2].

وكذلك واقع الطّفل في المجتمع فهو لا يعدو أن يكون مشابها لواقع المرأة، فالواقع شيء والحقيقة التي أقرّها الله تعالى من حقوق للطّفل شيء آخر، لهذا نجد النّابلسي يفصل في هذه القضيّة بدقّة، كي يُجلي جميع جوانبها الخفيّة، وبالتّالي تظهر الحقيقة الخالصة التي لا تشوبها شائبة من العوالم غير المسلمة التي تسنّ قوانين باسم حقوق الطّفل وهي في حقيقتها مهلكة ومدمّرة له، إذ يلجأ في بداية خطبته لحجّة الفصل فيقول: " **اليوم أعرض على مسامعكم بعض ما في هذا الدّين العظيم من حقوق الطّفولة لا يحلم بها الطّرف الآخر، من منّا يصدّق أنّ الإسلام يُنشئ للطّفل حقًّا على والديه، أو على أبيه إن صحَّ التّعبير قبل أن يُولد، على الأب أن يُحسن اختيار**

[1] محمد مشبال، محاضرات في البلاغة الجديدة، الرافدين، بيروت/ لبنان، ط1، 2021م، ص86.

2 أحمد طهراوي، خطبة: المرأة في الإسلام.

أمّ الطّفل، فهذا أوّل حقّ يترتّب على الأب قبل أن يكون له ابن، لا يوجد نظام في الأرض أشار إلى هذه النّاحية، حقّ الابن على أبيه أن يُحسن اختيار أمّه"[1].

أمّا خطبة " أهميّة النّصيحة وآدابها " فأيضا تعدّ حجّة في حدّ ذاتها، فالواقع المزيّف شيء والحقيقة التي ينبغي أن نسير على نهجها شيء آخر، خاصّة مع صعوبة تطبيق النّصيحة في المجتمع، فمتى ما أراد العالم الإسلامي النّهوض من سباته والإصلاح من شأنه، ينبغي أن يجعل للنّصيحة في ذلك مكانًا " **كما ينبغي للنّاصح أن يصابر ويجاهد نفسه على تحمّل أعباء هذا الميدان وما قد يناله فيه من صور الشّماتة والاستكبار"**[2]، لكن هيهات ذلك، فالواقع الذي نعيشه هو ضرب من الوهم مقارنة بالحقيقة التي صرّح بها الخطيب في خطبته، ويقول **بيرلمان** في هذا الصّدد: " إنّنا نلجأ إلى الحجاج لإزالة التّعارضات التي نصطدم بها ونريد أن نجد لها حلا"[3]، والحلّ والحقيقة واضحة بيّنهما المحاجج في هذه الخطبة فنجده يقول:" **والحقّ الذي لا غبار عليه أنّه لا خير في مجتمع أفئدة بنيه في التّناصح هواء، ولا خير في مجتمع آذان ذويه كالأقماع يدخل النُّصح مع اليمنى فلا يلبث أن يخرج مع اليُسرى"**[4]، فالخطيب هنا يفصل بين الثّنائي الظّاهر (الواقع المزيّف الذي لا يقبل النّصيحة) / والحقيقة (كيف يمكن أن يكون الواقع، أي تقبّل النّصيحة) .

والحال ذاته في خطبة "التّداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشّريعة الإسلاميّة"، فقد حاول المحاجج إثبات صحّة مرماه من خلال حجّة هذه الخطبة؛ إذ أنّها حجّة فصل في مفاهيم أهملها الفرد والمجتمع في واقع حياته، فنلاحظ عدم تطابق بين واقع معاش يزعم الدّواء والعلاج في الطّب الحديث عند عيادة الطّبيب والمستشفى...وبين حقيقة قطعيّة تقول أنّ الدّواء والعلاج يكون أيضًا في طلب العلاج الرّوحاني بقراءة القرآن وقيام اللّيل والصّدقة وكذا صلة الرّحم والصّلاة والسّلام على سيّد الخلق محمد. حتى أنّ هناك من ينظر إلى هذا الموضوع نظرة استهزاء واستهتار، ويصف المقتنع به بشيء من الوسوسة والتّوهم... ، لكن جاء الخطيب ليفصل في هذا المفهوم عن طريق ثنائية الواقع المزيّف/الحقيقة التي ينبغي إتّباعها " فلولا هذا الفصل بين الظّاهر الخادع والحقيقة لظلّ التّعارض قائمًا في الشّيء واستحال الفهم والإقناع"[5].

ومن هنا يمكن القول أنّ الخطب المنبريّة الدّينيّة تُعدّ مكانًا ملائمًا لتجلّي حجج الفصل، وتوظيفها من قبل المحاجج يكون القصد منه الإقناع عن طريق الفصل بين المفاهيم التي يقع التّعارض حولها، فتكشف زيفها من حقيقتها خاصّة وأنّ الخطب

1 محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام.

[2]سعود بن إبراهيم الشريم، خطبة: أهمية النصيحة وآدابها.

[3] محمد مشبال، محاضرات في البلاغة الجديدة، ص86.

[4] سعود بن إبراهيم الشريم، خطبة: أهمية النصيحة وآدابها.

5 محمد مشبال، محاضرات في البلاغة الجديدة، ص86.

تعتمد بشكل كبير على سلطة القرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف اللّذين يُقرّان الحقائق ويُبطلان كلّ كاذب مزيّف.

خلاصة الفصل:

لقد رصدنا في هذا الفصل مقاصد مختلفة لآليّات الحجاج اللّغوية والتّداولية التي وظّفها الأئمة الأربعة في الخطب المنبريّة الدّينية المختارة، ويمكننا إجمال ذلك في الآتي:

* يتجلّى في الخطب المنبريّة الدّينيّة الحجاج بشكل واضح جدًّا، لأنّ الخطيب أثناء عملية التّلفظ يكون قد أعدّ مقصده مسبقًا والمتمثّل في تركيزه على التّأثير في المتلقين بواسطة الحجج التي يلقيها ويعرضها أمامهم، والتي تبقى رهينة بمدى استيعاب المتلقين لتلك المقاصد من خلال ما يتيحه عقل الجمهور السّامع من تفسير وتأويل مرتبط باعتبارات عدّة يأتي في مقدمتها المقام أو السّياق الذي من أجله تلفّظ الخطيب بخطبته.

* للوصول إلى المقاصد المرجوّة من الخطاب الدّيني المنبري المقنع وظّف المتلفظون به آليات واستراتيجيات لغوية فرضها سياق الحال، وهو ما من شأنه أن جعلهم يختارون أدوات لغويّة مناسبة دون أخرى، ممّا جعل تلك المقاصد تستمدّ طاقتها من دلالة الآليّة اللّغوية والسيّاق الذي قيلت فيه معا من ذلك :

- الدّفاع بالتّعليل والتّبرير والتي استعان فيها الخطباء بأدوات التّعليل: لأنّ – لام التّعليل – المفعول لأجله والابتعاد عن : كي – أن المضمرة بعد حتى- ...وغيرها ، ولعلّ مسوّغ ذلك مردّه إلى قصد الدّفاع الذي أرادوه أن يكون ظاهرا للجمهور

المتلقي، على اعتبار أنّ الخطب المنبريّة الدّينيّة خطاب موجّه لعامة أنواع المخاطبين، دون تخصيص؛ فقد دافع الأئمة على قضايا مهمّة في حياة الإنسان تتمثّل في: قضية حقوق المرأة في الإسلام وكذا حقوق الطّفل، النّصيحة وأهميّتها، وطرق العلاج الشّرعي من الأمراض والأوبئة ، فكانت حاجتهم إلى أدوات تعليل مناسبة للسّياق ومناسبة لعقول السّامعين .

- هذا إضافة إلى المقاصد الأخرى كـــ: رهن الّنتيجة بالسّبب، وتحصيل الحاصل والتي كان توظيفها خادما ومدعّما للحجاج، ومساعدا للأئمة الأربعة على إيصال مقاصدهم، ومن ثمّ التّأثير أكثر على الجمهور السّامع.

- لقد كان للسّلميّات والرّوابط الحجاجيّة دور بارز في إجلاء المقاصد الإقناعيّة للأئمة في خطبهم، وذلك من خلال خاصّية ترتيب الحجج والانتقال من الأضعف منها إلى الأقوى، وبالتّالي تنظيم البنية الخطابيّة من جهة، ومن جهة أخرى تعمل على إقناع الجمهور السّامع بالقضايا التي يدافع عنها الأئمة والتي من أجلها ألقوا خطبهم، لهذا فما من خطيب يستطيع الاستغناء عنها وإنشاء خطبته من دونها خاصّة الرّابط "الفاء" والرّابط "بل" اللّذين حظيا بحضور قوي في الخطب المنبرية المختارة مقارنة بباقي الرّوابط التي لا يسع المقام لذكرها كلّها، بل كان التّركيز منصبًّا على البارزة منها فقط.

- أظهرت حجة السّلطة بأنواعها براعة الأئمة في استدعاء حجج الوصل من أجل التّأثير في الجمهور، وهو ما لا يمكن لأيّة خطبة منبريّة دينيّة الاستغناء عنه، إضافة إلى حجج الفصل التي تعمل على بيان الحقيقة وكشفها بعيدًا عن أي زيف وتظليل.

الفصل الثالث:مقصديّة المنجزات الكلاميّة في الخطب المنبريّة الدّينيّة

توطئة

1 الأفعال الكلاميّة

1-1 الأفعال الكلاميّة تأسيسا وتأصيلا

1-2 الأفعال الكلاميّة في الدراسات العربيّة

1-3 الفعل الكلامي عند " جون سيرل "

2 الفعل الكلامي ومقاصده التّواصليّة

2-1 المقصديّة الإخباريّة

2-2 المقصديّة الموضعيّة

2-2-1 النّداء

2-2-2 الأمر

2-2-3 الاستفهام

2-3 القرينة والإشارة

2-3-1 الضّمائر

2-3-2 الحروف

2-4 المقصديّة الإجماليّة

2-4-1الافتراض المسبق

2-4-2القول المضمر

خاتمة الفصل

توطئة:

إنّ الأفعال الكلاميّة تنظر إلى العمليّة التخاطبيّة على أنّها مرتبطة بموقف تعبّر عنه، فالطّلب يعني الرّغبة في شيء ما، والمدح يعبّر عن الرّضي والقبول، أمّا الشّكر فيعبّر عن الامتنان، والاعتذار يعبّر عن النّدم وهكذا...، فإنّ تداول الكلام بين أطراف العملية التخاطبية سيؤدي إلى إنجاز أفعال لغوية منوطة بسياق القول، ويبقى نجاحها رهين بمدى اكتشاف المخاطَب لذلك الموقف في سياقه المناسب حتى يتسنّى له فهم مقصد المخاطِب منه، ذلك أنّ "المقصد يحدّد هدف المرسِل من وراء سلسلة الأفعال اللغوية التي يتلفّظ بها، وهذا ما يساعد المتلقي على فهم الخطاب، ومن ثمّة يصبح توفّر القصد مطلبًا أساسيًا وشرطًا من شروط نجاح الفعل

اللّغوي الذي يجب أن يكون متحققًا ودالًا على معنى"[1]، وبالتالي يتسنّى التّأثير في المتلقي وإقناعه.

لهذا سنحاول في هذا الفصل الوقوف على بعض المقصديّات التي تتيحها الأفعال الكلاميّة المنجزة في الخطب المنبرية الدينية الأربع أثناء عملية التّواصل بين الخطيب وجمهوره السّامع،وأثر ذلك عليهم، لأنّ قوة الأفعال الكلاميّة تظهر من خلال الأثر الذي يتولّد من القول، والذي بدوره لن يتحقق إلا بتوافر شرطين مهمين وهما: مطابقة الكلام لحال الجمهور السّامع والمواطن التي يقال فيها، والمعاني المستفادة من الكلام ضمنا بمعونة القرائن[2].

1 الأفعال الكلامية:

تُعدّ الأفعال الكلاميّة من المفاهيم المركزيّة المؤسسة للدّراسات التّداولية، وقد أولاها العلماء واللّسانيين والفلاسفة عناية كبيرة، نظرًا لعلاقتها باللّغة التي تعتبر أداة للتّخاطب بين المخاطِب الذي يتمثّل دوره في انجاز فعل ما، والمخاطَب الذي يستجيب بدوره لردود فعل المخاطِب، لهذا فإنّ اللّغة "ترتبط بالأفعال الكلاميّة في قضية مفادها أنّ اللّغة تمكّن المتكلّم من التّأثير في المتلقي"[3].

1-1 الأفعال الكلاميّة تأسيسًا وتأصيلًا:

تزامنت نشأة الأفعال الكلاميّة مع نشأة العلوم الفلسفيّة والمعرفيّة التي تحمل أصولًا تداوليّةً، ونخصّ بالذّكر الفيلسوف الإنجليزي **أوستين (Austine)** الذي يُعدّ بحقّ المؤسّس الفعلي لنظرية الأفعال الكلاميّة من خلال كتابه **(كيف ننجز الأفعال بالكلمات؟) (How to do thing with word?)**[4]، حيث حاول فيه نفي النّظرة التقليدية الوصفية والحرفية للغة، ورأى أنّه يجب النّظر إليها "على أنّها أداة لأفعال لسانيّة مختلفة من جانب المخاطِب الذي يسعى إلى إنجاز الأفعال ذات السّمات الإجتماعيّة والتّفاعليّة في إطار الظّروف السياقية المتعلقة بها والقائمة على الأقوال التي بدرت من المخاطِب"[5]، وقد رأت **خولة طالب الإبراهيمي** في هذا الصّدد أنّ اللّغة نشاط وفعل ينجزه المتكلّم ليصل به إلى أغراض معيّنة[6]، بحيث يحقّق عملية التّواصل وفي ذات الوقت يعمل على التّأثير في المخاطبين، وعليه فقد أنكر **أوستين** وظيفة اللّغة القائمة على وصف الوقائع ويستبدلها بالأفعال المنجزة المرتبطة بحالة التلّفظ المباشر.

---

[1] محمد مدور، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة باتنة1، الجزائر، 2014/2013م، ص5.

[2] ينظر: عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، (دط)، 1985م، ص37.

[3] عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية (دراسة في إنتاج بن باديس الأدبي)، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2014م، ص261.

[4] ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لأفعال الكلام في التراث اللساني العربي، ص40. وينظر أيضا: مهاباد هاشم ابراهيم، الخطاب اللساني في رسائل الجاحظ (مقاربة تداولية) ،ص67.

[5] ينظر: المرجع نفسه،ص67-68.

[6] ينظر، خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، 2006م، ص161.

وقد حدّد **أوستين** مجموعة من الشّروط لنجاح الفعل الإنجازي،وعدم توفرها قد يعرّض فعل الإنجاز للإخفاق، وهي تتمثّل في[1]:

*أن يكون الكلام المتلفّظ به خاضعًا للمواضعة اللّغوية التي تمكّننا من إنجاز فعل ما.

*أن يكون المتكلّم ممن هو أهل للإنجاز.

*مناسبة المقام للكلام المنجز.

*الجديّة أثناء التلفّظ بالعبارة والابتعاد عن الهزل.

ثمّ توصّل إلى التمييز بين الإنجازات الأوليّة والإنجازات الصريحة، حيث أنّ هذه الأخيرة تتضمّن فعلًا دالًا على الإنجاز، في حين أنّ الإنجازات الأولية خالية من فعل إنجازي مسند إلى المتكلّم في الحاضر يفيد بدقّة الفعل المنجز رغم إمكانية استحضاره في التّأويل، وكمثال على ذلك ندرج عبارة: (الثّور خطير) هي تتضمّن فعلًا إنجازيًا ضمنيًا مفاده: أحذّرك من أنّ الثّور خطير[2]، وهو ما قاد **أوستين** فيما بعد إلى تقسيم الفعل الإنجازي إلى ثلاثة أفعال هي: فعل القول، الفعل المتضمّن في القول (الفعل الإنجازي)، وفعل التّأثير بواسطة القول.

أ فعل القول The locutionary act

ويُسمى الفعل الصّوتي أو اللّغوي،والمقصود به"التلفّظ بوحدات معجمية أو كلمات، أي أصوات خاصّة تنتمي إلى معجم محدّد وفق تركيب خاصّ تبعًا لنحو (لغة) ما، وهو يتضمّن ثلاثة أفعال فرعية هي الفعل الصّوتي، ويتمثّل في التلفّظ بأصوات من مخارج محدّدة، ثمّ الفعل الدّلالي، ويتجسّد في التلفّظ بكلمات تنتمي إلى معجم لغة معيّنة للإحالة على معان مخصوصة، وثالثا الفعل التّركيبي، ويُراد به التَأليف بين الكلمات استنادا إلى قواعد النّحو"[3].

ب فعل الإنجاز Illocutionary act:

ويُمكن تسميته بالفعل المتضمّن في القول، وهو يمثّل أساس نظرية الأفعال الكلاميّة لأنّه يشكّل القوّة الإنجازيّة الثّاوية خلف عمليّة التلفّظ، والتي تُفهم من خلال السياق كالسّؤال، التّحذير، النّصح..."فالمخاطب يقوم بإنجاز قول من خلال القواعد والمعايير التي تمكّنه من إنجاز خطابه وفقا لاختياره آلية الخطاب المناسبة والتزامه بقوانين الخطاب وبيان القصدية الخطابية التي يرمي إليها"[4]كي يستطيع التّأثير في المخاطَب ومن ثم إقناعه.

---

[1] ينظر: محمد القاسمي، دراسات معاصرة في اللسانيات والتداوليات، عالم الكتب الحديث، إربد/ الأردن، ط1، 2019م، ص53.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص54.

[3] المرجع السابق، ص54- 55. وينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص41.

[4] مهاباد هاشم ابراهيم، الخطاب اللساني في رسائل الجاحظ (مقاربة تداولية) ،ص83.

ج فعل التأثير Pelocutionary act:

وهو الأثر الذي يتركه الفعل الإنجازي في المخاطَب، "فللمخاطِب مقاصد تتمثّل في التّأثير في أفعال المخاطَب وأقواله؛ لأنّ فعل الإنجاز يتعلّق بالمخاطِب الذي يتلفّظ بالخطاب لينجز معنى قصديًا في العمليّة التخاطبيّة، وفعل التّأثير يقع على عاتق المخاطَب الذي يستحضر الحسّ اللّغوي والجمالي والاجتماعي في نفسه نتيجة إدراكه للفعل النّاتج عن القول"[1]، والغرض منه حمل المخاطَب على اتّخاذ قرار ما، أو تغيير رأي أو سلوك، أو القيام بعمل ما...

ويمكننا تلخيص الأقسام الثلاثة للفعل الكلامي عند **أوستين** في المخطط الآتي[2]:

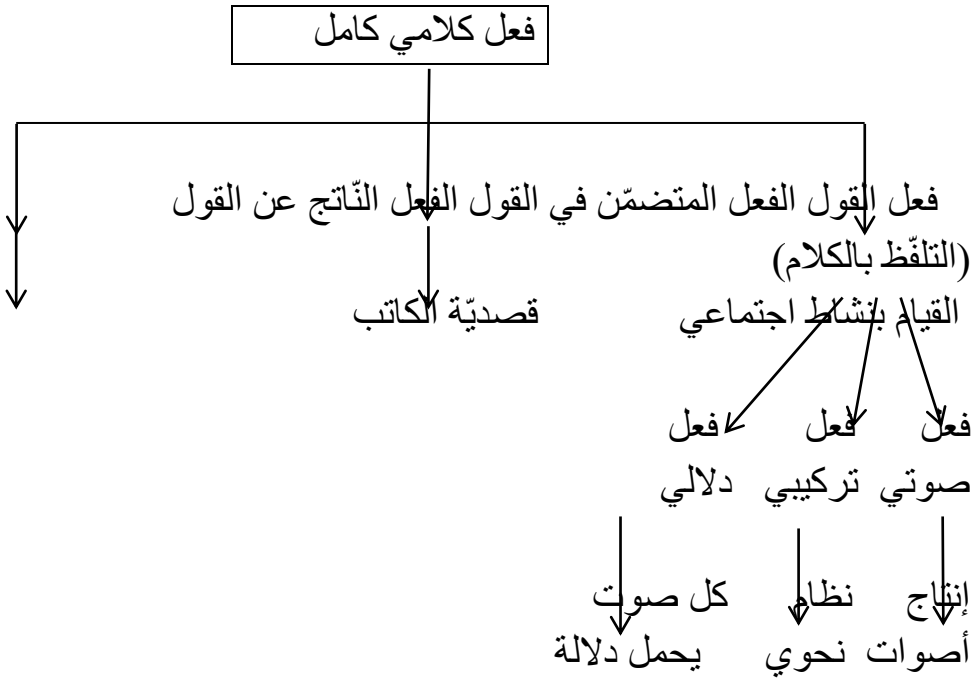

وبعد هذا التّقسيم للأفعال الإنجازية عند **أوستين** نلاحظ أنّ الأفعال جميعها لا تتشابه في قوّتها الإنجازيّة التّأثيريّة، لهذا أتى بتقسيم آخر للأفعال وفقا لقوّتها الإنجازيّة، ويمكن تلخيصها في المخطّط الآتي[3]:

[1] المرجع نفسه، ص84.

[2] ينظر: عفاف سايح، المقصدية في الخطاب الروائي عند إبراهيم سعدي، رسالة دكتوراه في الأدب العربي، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة باتنة01، الجزائر، 2019-2020م، ص57.

[3] مهاباد هاشم ابراهيم، الخطاب اللساني في رسائل الجاحظ (مقاربة تداولية)، ص86.

الحُكميّات (Verdictives) الأفعال الحكميّة
(الحكم التبرئة- الفهم- إصدار الأوامر- التّصنيف)
التّنفيذيّات- أفعال القرارات (Exercitives) تنفيذ الأحكام
(التّوصية- الاستقالة- التّسمية- الفتح- الغلق)
الوعديّات (Commissives)أفعال التّعهد تلزم المخاطب القيام بتصرّف ما(الوعد- الموافقة- التّعاقد- العزم- النيّة- الأذن- القسم)
السّلوكيّات (Behabitives) أفعال السّلوك، أفعال تتفاعل مع أفعال الغير
(الاعتذار- الشّكر- التهنئة- النّقد- الرأفة- التّرحيب- الكره- التّحريض
العرضيّات (Expositivo) وهي أفعال تستعمل في الحجاج وتختصّ بالعرض:(التّأكيد- النّفي- الوصف- الفكر- الحجاج- التّأويل- التّوضيح- التّفسير)

ورغم هذا التّقسيم للأفعال المنجزة لدى **أوستين** إلا أنّه لم يحقّق الوصول إلى إرساء نظريّة متكاملة للأفعال الكلاميّة، ولعلّ مردّ ذلك يعود إلى عدم القدرة على الفصل بينها، نظرا للتّداخل الكبير الذي اتّسمت به.

1-2 الأفعال الكلاميّة في الدّراسات العربيّة:

أمّا جهود العلماء العرب في هذا المجال تظهر في الدّراسات اللّسانية القديمة وخاصّة البلاغية منها، التي يشكّل الخطاب أساسًا مهمًّا فيها "فالمخاطِب لا يتلفّظ بخطاب ولا يتفوّه به إلّا بقصد وغرض وفائدة مستقاة منه"[1]، فلا وجود لكلام دون قصد يفهم من ورائه.

لهذا فإنّنا نجد الحديث عن الأفعال الكلاميّة عند القدامى يندرج تحت علم المعاني في مواضع عدّة؛لا سيما في باب الأسلوب الخبري والإنشائي؛ ففي موضع الخبر قال **المبرّد**(ت286ه): "والخبر ما جاز على قائله التّصديق والتّكذيب"[2] وهذا يعني أنّ الخبر خاضع لعدّة معايير حتى يتمّ الحكم عليه بالصّدق، منها أنّه يجب ألّا يخالف الحدث الخطابي، كما يجب أن يطابق كلام المخاطِب واقع أفعاله في ذلك الحدث، وإلا جاز إطلاق صفة الكذب عليه، وعليه فقد قسّم القدامى الخبر إلى عدّة تقسيمات تبعًا للأطراف الخطابية، فلو أخذنا مثلًا تقسيم **الجاحظ** سنجده " اهتم بالأثر النّاتج عن الخطاب التّداولي القادر على جعل الخطاب ناجحًا تداوليًّا وتفاعليًّا وذلك من خلال تركيزه على الأطراف الخطابية المتمثّلة في المخاطِب وقصديّته الخطابية والمخاطَب ومدى تأثيره وإفهامه للخطاب"[3]، واستنادا على ذلك جعل الخبر إمّا صادقًا وإمّا كاذبًا وإمّا لا صادقًا ولا كاذبًا على النّحو الآتي[4]:

---

[1] المرجع السابق، ص70.

[2] أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت285هـ)، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق غضمية، وزارة الأوقاف المحلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط1، 1994م، ص89.

[3] مهاباد هاشم ابراهيم، الخطاب اللساني في رسائل الجاحظ (مقاربة تداولية)، ص72.

[4] المرجع نفسه، ص72.

الخبر عند الجاحظ

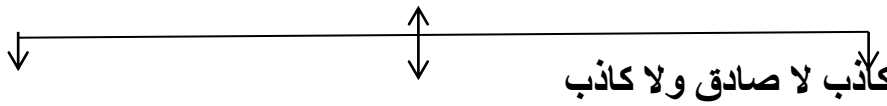

الصّادق الكاذب لا صادق ولا كاذب

مطابقة للواقع غير مطابق للواقع مع عدم-مطابق للواقع مع اعتقاد واعتقاده بالمطابقة اعتقاد المخبر بمطابقة له المتكلّم أنّه غير مطابق.

- مطابق للواقع دون اعتقاد المتكلّم أنّه مطابق أصلًا.
- غير مطابق للواقع مع اعتقاد المتكلّم أنّه مطابق.
- غير مطابق للواقع دون اعتقاد المتكلّم أنّه مطابق أصلًا.

كما نجد القدامى ركّزوا على قضية الفائدة المرجوّة من الخطاب اللّساني، وهو ما ارتبط بقصديّة المتكلّم، الذي يسعى من ورائها إلى تحقيق فائدة معيّنة إلى المرسَل إليه، فأثناء تعريف **السّكاكي** لعلم المعاني ركّز على مسألة الفائدة والإفادة حين قال:" هو تتبّع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتّصل بها من الاستحسان وغيره..."[1]، كما قسّم الكلام إلى خبري وطلبي وفقا لمقتضيات العمليّة الخطابيّة وقصدية المخاطِب التي تعدّ حجر الزّاوية في كلّ حدث خطابي تواصلي.

أمّا في الدّراسات العربيّة الحديثة فهناك عديد منها ممّن تناولت الأفعال الكلامية بالدراسة والبحث، مستفيدين ممّا قدمه القدامى من الأصوليون والنّحاة وأهل البلاغة، وفي ذات الوقت من الأبحاث الغربيّة التي اهتمت بالقضايا التّداولية والأفعال الكلاميّة، فقد تقدّم **أحمد المتوكّل** بدراسة حول الخبر والإنشاء عند العرب القدامى بعد أن طبّق عليها آليات اللّسانيات الحديثة ليحاول الرّبط بين جهود العرب القدامى والدّراسات الغربيّة الحديثة، كما نجد الدّكتور **مسعود صحراوي** الذي تقدّم بدوره بدراسته الموسومة بـ: **التّداولية عند العلماء العرب دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التراث اللّساني العربي**، والتي حاول فيها دراسة التّراث العربي للأفعال الكلاميّة استنادا للدّراسات اللّسانية الحديثة، فنجده يقول:" وتتموقع ظاهرة الأفعال الكلاميّة تحديدًا ضمن الظّاهرة الأسلوبية المعنونة بـ: "الخبر والإنشاء" وما يتعلّق بها من قضايا وفروع وتطبيقات، ولذلك تعتبر "نظرية الخبر والإنشاء" عند العرب – من الجانب المعرفي العامّ – مكافئة لمفهوم " **الأفعال الكلاميّة** "لدى المعاصرين، وقد آثرنا أن نستخدم في هذا الفصل الاصطلاح

[1] السكاكي، مفتاح العلوم، ص161.

العربي "الخبر والإنشاء" بدلا من المصطلح الغربي "الأفعال الكلامية""[1]، إذن فالدّراسة ما هي إلا إثبات بأنّ ما جاء به اللّسانيين المحدثين توجد جذور له في التّراث العربي، وبعد المقارنة بينهما قدّم الباحث تصورا للخبر والإنشاء فقال: "الخبر هو الخطاب التّواصلي المكتمل إفاديًا والذي يريد المتكلّم من نسبته الكلاميّة أن تطابق نسبته الخارجيّة، وأنّ الإنشاء هو الخطاب التّواصلي المكتمل إفاديًا والذي يريد المتكلّم من نسبته الكلاميّة أن توجد نسبته الخارجيّة"[2]، والتي تندرج تحت معايير أخرى حدّدها **سيرل** بمصطلح التقريريّات والأمريّات ... في اللّسانيات الحديثة.

1-3 الفعل الكلامي عند " جون سيرل ":

صحيح أنّ **أوستين** يُعدُّ المؤسّس الأوّل لنظرية الأفعال الكلاميّة، لكنّ تصنيفه لها لم يكن واضحًا بما فيه كفاية، لهذا فإنّ البناء الفعلي لهذه النّظرية كان على يد **جون سيرل**(J.R.Searle) الذي انطلق من القواعد التي أسّسها **أوستين**، ومن ثمَّ بنى فعله اللّغوي، ثم قام ببعض التّعديلات والإضافات عُدّت بحق جوهرًا للأفعال الكلاميّة في كلّ الدّراسات من بعده، وقد رأى أن الأفعال الكلاميّة "قائمة على أنّ الكلام محكوم بقواعد مقصدية intentional، وأنّ هذه القواعد يمكن أن تحدّد على أسس منهجيّة واضحة ومتّصلة باللّغة"[3]، لهذا فقد صنّفها إلى أربعة أصناف تتمثّل في: فعل القول، الفعل القضوي، الفعل المتضمّن في القول، والفعل النّاتج عن القول:

أ فعل القول: (Acte Enonciaitif)

ويتمثّل في النّطق الصّوتي للألفاظ وفق معاييرها النّحوية والمعجميّة الصّحيحة.

ب الفعل القضوي: (Acte Propositionnel)

والمقصود به الإحالة أو مرجعيّة الخطاب وخبره، والمقصود به أيضًا "المعنى الأصلي للقضيّة المتألّفة في المرجع والخبر، فالمتكلّم في الفعل القضوي يقوم بأداء فعل لغوي إخباري كي يصل إلى المقصد المراد إيصاله إلى السّامع، وعليه فقد قسّم **سيرل** الفعل القضوي إلى:

-الفعل القضوي الإحالي الذي يربط بين المتخاطبين ضمن السّياقات الإحالية إلى الزّمان والمكان والشّخص.

-الفعل القضوي الحملي هو الإسناد بين الموضوع والمحمول"[4].

ج الفعل المتضمّن في القول: (Acte illocutoire)

---

[1] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص74-75.

[2] المرجع نفسه، ص109-110.

[3] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص71.

[4] مهاباد هاشم ابراهيم، الخطاب اللساني في رسائل الجاحظ (مقاربة تداولية)، ص89-90.

وهو لا يختلف عمّا نادى به **أوستين**، حيث أنّ العمليّة الإنجازيّة "ذات فعاليّة في الخطاب التّداولي، ولها خاصيّتها التّأثيرية في مستوى الأداء الفعلي الذي يقوم به المخاطِب والمستوى القصدي وعلاقته بالفعل الذي يُنجز... ووجوده يُعدّ أساسا ضمن شروط نجاح الفعل الكلامي"[1].

د الفعل النّاتج عن القول (الفعل التّأثري): (Acte Perlocutionary)

لم يهتم **جون سيرل** بالفعل التّأثري بدليل أنّ من الأفعال من لا يحدث تأثيرًا في الطّرف الآخر؛ لذا فقد أولى جلّ اهتمامه بالأفعال المتضمّنة في القول أي الفعل الإنجازي، وكذا الأفعال القضويّة .

هذا وقد عدّل **سيرل** في شروط الملاءمة كي يجعل الفعل الكلامي محققًا وموفقًا، نلخصها في الآتي[2]:

- شرط المحتوى القضوي: (contenue propositionnelle): أي أن يكون معنى الكلام يقوم على إحالة أو مرجع، وهو المعنى الظّاهر من التّركيب اللّغوي الصرفي.
- الشرط التّمهيدي: (preparatoire): يتحقّق من خلال قدرة المخاطب على إنجاز الفعل وإدراك المتكلّم لذلك.
- شرط الإخلاص: (sincertive): أي أن إخلاص المخاطب في قوله يجعل المخاطب ينجز الفعل المقصود.
- الشّرط الأساس: (sincentielle): التّركيز على التّأثير في المخاطب لينجز الفعل.

ومن الإضافات الأخرى التي قام بها **جون سيرل** أنّه ميّز بين الأفعال الإنجازية في حدّ ذاتها، بعد أن أخضعها لمعايير، رأى بأنّها تساعد الباحث على تصنيفها ومنها[3]:

-الاختلاف في الغرض الإنجازي.

-الاختلاف في اتّجاه المطابقة.

-الاختلاف في الموقف النّفسي.

-الاختلاف في القوّة الإنجازيّة.

-الاختلاف في منزلة كل من المتكلّم والسّامع.

-الاختلاف في ارتباط القول باهتمامات المخاطِب والمخاطَب كالاختلاف بين المدح والذّم.

---

[1] المرجع نفسه، ص90.

[2] ربيعة برباق، حجاجية متضمنات القول في مداخلة الشيخ محمد الغزالي ضمن المناظرة الكبرى (مصر بين الدولة الإسلامية والدولة العلمانية)، ضمن كتاب: الحجاج والهرمينوطيقا في الخطاب أنطولوجيا الهوية والرسالة، أعمال الملتقى الدولي الثالث، يومي، 13-14 نوفمبر 2018م، ص470.

[3] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص75-77.

-الاختلاف في العلاقة بين السّياق الخطابي وعناصره.
-الاختلاف في ربط القول السّابق باللّاحق.
-الاختلاف في المحتوى القضوي.
-الاختلاف في أن يكون القول دائمًا فعلًا كلاميًّا.
-الاختلاف في أن يقتضي أداء الفعل عرفا غير لغوي.
-الاختلاف في أن تكون الأفعال قابلة للأداء.
-الاختلاف في أسلوب أداء الفعل.

كما قد صنّف الأفعال الكلاميّة عمومًا إلى صنفين :

* **أفعال كلاميّة مباشرة:** وفيها يتمّ التّطابق التّام بين المعنى العامّ للجملة ومعناها القولي، أي أنّ "للخطاب معنى مباشر له قوّة إنجازيّة حرفّة تدلّ على ألفاظه كتركيب، وبناء عليه لا يخرج عن قواعد اللّغة"[1]، لهذا فإنّ المقصد منها لا يختلف عن القول المتلفّظ به فيها، بل يطابقه مطابقة تامّة.

* **أفعال كلاميّة غير مباشرة:**ويُعدُّ **سيرل** من أوائل الذين تناولوا الأفعال الكلاميّة غير المباشرة بالدّراسة والبحث، وهي "تتمثّل في مجموع الأقوال الخارجيّة في دلالاتها عن مقتضى الظّاهر، وترتبط بمقام التلفّظ فلا يدرك معناها إلّا من خلال القرائن اللّغويّة وغير اللّغويّة، وكذا أنواع الاستدلال العقلي"[2]؛ إذ في أحيان كثيرة لا يعتبر الإخبار قصدًا يسعى المتكلّم إلى إيصاله للطّرف الآخر، إنّما قد يتعدّاه إلي قصد مضمر[3] لا يمكن فهمه إلّا من خلال السّياق الذي يرد فيه، وبالتّالي يكون المكلّم قد اختار الإستراتيجيّة التّلميحيّة ليدلّ عل القصد الذي ستتعدّد أغراضه وتختلف.

ومن هنا يمكن القول أنّ الأفعال الكلاميّة عند **سيرل** لم تقف عند المعنى الحقيقي فقط، بل تعدّته إلى المقصديّة المضمرة للمتكلّم، وأنّ الوصول إلى تلك المقصديّة لن يتحقّق إلّا إذا كان كلّ من المتكلّم والمتلقي على دراية سابقة بمضمون الكلام والسّياق الذي قيل فيه، حتى يتسنّى الفهم والتّأويل الصّحيح له.

[1] ربيعة برباق، حجاجية متضمنات القول في مداخلة الشيخ محمد الغزالي ضمن المناظرة الكبرى (مصر بين الدولة الإسلامية والدولة العلمانية)، ضمن كتاب: الحجاج والهرمينوطيقا في الخطاب أنطولوجيا الهوية والرسالة، أعمال الملتقى الدولي الثالث، يومي، 13-14 نوفمبر 2018م،ص472.

[2] المرجع نفسه، ص471.

[3] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص367.

2 الفعل الكلامي ومقاصده التّواصلية في الخطب المنبريّة الدّينيّة:

لطالما ارتبطت الأفعال الكلاميّة بالجانب التّواصلي أثناء التّلفّظ؛ فالسّامع لتلك الأفعال يحاول دائمًا الوصول إلى المقصد من وراء تلفّظ المتكلّم بها في سياقها المناسب، لهذا فإنّه ينجز أفعالا كلاميّة يكون قصدها تواصليًّا بينه وبين المتلقي الذي عليه أن يفهم ذلك القصد دون الاعتماد على المعنى الحرفي فقط، بل عليه البحث عن القصد المزدوج على حدّ تعبير **سيرل**، حيث" يؤسّس صيغته لنظريّة الأعمال اللّغويّة على مقولة تعتبر أنّ لقائل جملة ما مقصدًا مزدوجًا، يتمثّل في إبلاغ محتوى جملة والإعلام بهذا المقصد الأوّل بموجب قواعد تواضعيّة تتحكَّم في تأويل هذه الجملة في اللّغة المشتركة"[1]، لأنّ المعنى الحرفي للجملة قد لا يوصل المتلقي إلى المقصد المراد، فأحيانا لا تدلّ صيغة الجملة على معناها المتوقّع، إنّما تدلّ على معنى آخر مغاير تمامًا لمعناها الظَاهري، فمثلًا لو قلنا: "هل بإمكانك مدّي بكذا؟"[2] فظاهرها استفهام لكن المقصد التّواصلي منها هو الطّلب...

وبالرّجوع إلى الخطب المنبريّة الدّينيّة نجد أنّ الخطيب غالبًا ما يسعى فيها إلى إيصال مقاصد تواصليّة معيّنة إلى الجمهور السّامع الذي قد يعتقد أنّه فهمها، لكن سرعان ما يدرك أنّه فهم الظّاهر فقط، ومن بينها: المقاصد الإخباريّة، المقاصد الموضعيّة، وكذا المقاصد الإجماليّة.

2-1 المقصدية الإخباريّة:

تُعنى هذه المقاصد بالغايات والمضامين التي يريد الخطيب إيصالها إلى جمهوره كي يقنعهم بفكرته التي يدافع عنها منذ البداية، والتي تحمل قصدًا إخباريًا في ذاتها؛ هذا لأنّ " القصد شرط في بلوغ الكلام تمامه"[3] ، فكلّ كلام يحمل غالبًا خبرًا قد

[1] آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص54.

[2] فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص71.

[3] عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحاضرة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1981م، ص152.

يصرّح به الخطيب بطريقة مباشرة أم غير مباشرة، فالأصل فيه الفائدة أو الإفادة، أي الإخبار بالإثبات تارةً وبالنّفي تارةً أخرى.

وبالعودة إلى مباحث الدّرس التّداولي اللّغوي نجد أنّ المقاصد الإخباريّة يمكن تقصّيها لغويًا من خلال العمل الذي قدّمه الفيلسوف الانجليزي **جون أوستين (jhon austin)** والخاصّ بالأفعال اللّغوية التي عدّها أفعالًا قوليّةً يُتوسّل بها تحقيق أغراض إنجازية [1]، ليأتي بعده **جون سيرل (john searl)** فيطوّر النّظرية أكثر ويقسّم الأفعال اللّغوية بحسب منظوره إلى خمسة أصناف ومن بينها الإخباريّات أو التقريريّات. وبالبحث في الإخباريّات نجد أنّ جلّها تحمل في طيّاتها قصدًا إخباريًّا بغرض إقناع المتلقي عن طريق اللّغة، وذلك بأن ينقل المتكلّم واقعةً أو حدثًا معينًا بدرجات مختلفة إلى طرف آخر، له مطلق الحقّ في تصديقها أو تفنيدها على اعتبار أنّ الإخباريّات تحتمل الصّدق والكذب.

فالمرسِل إذن نجده يستخدم الفعل الإخباري التّقريري من أجل التّعبير عن وجهة نظره، وليستطيع تحديد موقفه من قضيّة معيّنة، وبالتّالي يستطيع إيصال تلك المقاصد إلى جمهوره، وهو ما سنحاول الوقوف عنده في المقاصد الإخباريّة والبحث عنها من خلال الخطب الأربع التي بين أيدينا.

لقد عثرنا في الخطب المنبريّة (مدونة الأطروحة) على العديد من الأفعال اللّغوية سواء أكانت مثبتة أم منفيّة، والتي تحمل مقصدًا إخباريًّا بحسب مقتضى سياق الخطبة، والمحور المتطرّق إليه فيها. ويمكننا اختيار بعض النّماذج وتلخيصها في الجدول الآتي:

العبارة الإخباريّة (التّقريريّة)	عنوان الخطبة	المقصد الإخباري (الفائدة أم الإفادة)	نوع الفعل اللّغوي
- قرّر الإسلام ابتداء وحدة الأصل بين الذّكر والأنثى، وأنّ المرأة كالرّجل في الإنسانيّة سواء بسواء. - ولقد فقه سلف الأمة وخيارها هذه الحقوق فرعوها حقّ رعايتها بأقوالهم وأفعالهم.	المرأة في الإسلام	- تقرير حقّ المساواة بين المرأة والرّجل في الدّين الإسلامي، وتفرّده وتميّزه بهذا القرار دون التّشريعات الأخرى. - الاعتراف بحقوق المرأة التي قرّرها الدّين الإسلامي والعمل على تطبيقها كما وردت دون	مثبت مثبت

[1] ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص54-55.

		نقص أو زيادة.	منفي+ مثبت
-لا تقف عناية الإسلام بالمرأة عند هذه الحدود السّابقة، بل يأمر الإسلام بإكرام المرأة أمًّا، وبنتا، وزوجة، وأختا، وعمّة، وخالة، منذ ولادتها وحتى مماتها.		- قصد الخطيب من ذلك أنّ للمرأة حقوق كثيرة فهي لا تتمثّل في التي ذكرها في خطبته الأولى فقط، إنّما تتعدّاها إلى حقوق أخرى منها إكرامها مهما كانت رتبتها ومهما كان سنّها.	
	أهميّة النّصيحة وآدابها		مثبت
- إن الفرق واضح والبون شاسع بين مجتمع تغشاه الن<صيحة على قبول وترحاب وبين مجتمع آخر يجعل أصابعه في آذانه ويستغشي ثيابه ويصرُّ ويستكبر استكبارًا؛.		-المقارنة بين المجتمعات التي تتقبّل النّصيحة وترحّب بها وبين أخرى رافضة وناكرة لها وشتاتا بينهما.	مثبت
-لقد كانت مبايعة الصّحابة – رضوان الله عليهم- للنّبي-صلّى الله عليه وسلم- قائمة على ركائز عُظمى ومقرّرات جليلة؛ كان من أهمها: بذل النُّصح للمسلمين والإشفاق عليهم، والحرص لهم؛.		-التصريح بأهمية النصيحة وأنها ركيزة من ركائز الإسلام، وأن البيعة قامت عليها .	منفي
-لا خير في مجتمع أفئدة بنيه في التَّناصح هواء، ولا خير في مجتمع آذان ذويه كالأقماع يدخل النُّصح مع اليمنى فلا يلبث أن يخرج مع اليسرى.		-نفي الخيرية عن المجتمعات التي لا تناصح بين أفرادها أو أنها لا تطبق النصيحة.	مثبت
-النُّصح ينبغي أن يقوم على آداب جلّى وسمات غداف، تجعل الحقّ من خلاله مقبولًا والنُّصح بين النَّاس منشورا وباذله والمتسبّب فيه مأجورا غير مأزور.		-تقبل النصيحة والعمل بها ونيل رضا الله فيها، لا يكون إلا من خلال التحلي بآدابها.	مثبت

-فينبغي للنّاصح أن يقوم بالنيّة الخالصة لله، وإلّا كان نفاقا ورياء، كما ينبغي أن ينطلق نصحه من باب المحبّة والاشفاق بالآخرين، فهو أحرى لأن يبارك الله فيه ويبلغ المقصود،	التداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشريعة الإسلامية	-على الناصح أن ينوي نية النصح لله تعالى لا يريد من خلالها جزاء ولا شكورًا، حتى يستطيع الوصول إلى هدفه ومبتغاه (إقناع المنصوح)، إضافة إلى أنّه يجب أن تكون هذه النّصيحة نابعة من قلب محبّ مشفق رحيم وإلا رُدّت.	مثبت
-كما ينبغي للنّاصح أن يصابر ويجاهد نفسه على تحمّل أعباء هذا الميدان وما قد يناله فيه من صور الشّماتة و الاستكبار .		-النّصيحة تحتاج صبرًا ومجاهدة للنّفس أولا، ثمّ للغير ثانيًا، والمفلح من قابل الإساءة بالإحسان.	مثبت
-ومن الوسائل كذلك لنا خاصة نحن أهل الإيمان من الوسائل التي نتصدّى بها للإمراض ونتصدّى بها للأوبئة والأسقام والهموم والأزمات والشّدائد، التّداوي بالقرآن الكريم التّداوي بكلام ربّ العالمين التّداوي بسور القرآن وآياته تلاوة وسماعا واسترقاء.		-الحثّ على الاستشفاء من الأمراض والأوبئة، خاصّة وباء كورونا بالقرآن الكريم أي العلاج الرّوحي. ويكون هذا طبعًا بعد العلاج الطبّي، لأنّ الحديث تكملة لخطبة سابقة تمّ فيها التطرّق إلى الاستشفاء بالعقاقير.	مثبت
-لقد كان السّلف لقد كان التّابعون يستشفون ويسترقون بالقرآن والصّدقة يرون القرآن خير شفاء؛ إذ أنّه كلام ربّ العالمين ويرون الصّدقة خير وقاء؛ إذ أنّها أفضل ما يتقرّب إلى الله سبحانه وتعالى به ألا وهو ماله وفضله،		-الاقتداء بالصّحابة والتّابعين؛ إذ أنّهم إذا أصيبوا بمرض أو وباء استعانوا عليه بالل<ه (بالقرآن والصّدقة).	
-هذه أدوية ثلاث: القرآن وقيام اللّيل أفضل العبادات لأنّها أو لأنّهما تقرّب من الله بأحبّ		-على المسلم أن يتّخذ من قراءة القرآن وقيام اللّيل والصّدقة علاجًا روحيًّا للأمراض والأسقام	

الطّاعات إليه، والصّدقة قرب من عباد الله بمال الله.		والهموم...التي تعتريه في حياته.	
-الآن لا يوجد بأي اتفاقية طفولة حقوق للجنين. - حقّ الجنين على أمّه أن تُفطر في رمضان، وهو شهر الصّيام، وهو ثاني أكبر عبادة في الإسلام، أن تُفطر إذا كانت حاملًا أو مرضعًا، هذا حقّ للجنين . -ليس للأب حقّ أن يُقبّل واحدًا دون الآخر، ولا أن يُضحك بوجه واحد دون الآخر، ولا أن يضمَّ واحدًا دون الآخر.	حقوق الطّفل في الإسلام	-اقرار حقوق الطّفل وهو جنين لم تتحدّث بها أي اتفاقية طفولة قبل الإسلام. -الإفطار للمرأة الحامل أو المرضع في شهر رمضان حقّ من حقوق الطّفل. -الإسلام يدعو للعدل بين الأبناء في كلّ شيء، وينهى عن التّفريق بينهم.	منفي مثبت منفي

إنّ توظيف الأئمة الأربعة لهذه الأفعال اللّغوية كان بدافع التّأثير في الجمهور السّامع وإبراز تلك المقاصد التي بيّناها، و التي هي في أصلها متضمّنة إمّا لتقرير أو طلب أو حثّ أو نصح ...يعود بالفائدة والنّفع الدّنيوي و الأخروي على هذا المتلقي.

3-2 المقاصد الموضعيّة:

يمكننا تقصي المقاصد الموضعيّة التّوجيهية بناء على الأفعال اللّغويّة الإنجازيّة الصّريحة، التي يقوم فيها المتكلّم بتوجيه المخاطب إلى فعل شيء ما [1] أو الانتهاء عن فعله بلغة مطابقة تمامًا لقصد المرسِل[2]،الذي يروم الوصول إلى إقناع السّامعين، بمعاني وأفكار واضحة وبأسلوب مباشر.

وبما أنّنا أمام خطاب ديني(خطب منبريّة دينيّة) قائمة على الحجاج بالدّرجة الأولى، فقد يحتاج الخطيب إلى مقاصد موضعيّة توجيهيّة دون أخرى لأنّ المرسِل

[1] ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص78.

[2] ينظر: أن ربول، جاك موشلر، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص206.

"لا يستعمل جميع أصنافها، وذلك لطبيعتها التي لا تناسب ما تقتضيه طبيعة النّقاش، إذ لا يتطلّب السّياق استعمال بعض الأنواع منها"[1] ، لهذا فإنّنا لم نعثر على جميع التّوجيهيات في الخطب التي بين أيدينا، بل وجدنا أنّ الأئمة يستعملون منها: النّداء، الأمر والاستفهام، أحيانًا لأغراضها الحقيقيّة، وأحيانًا أخرى قد تخرج إلى أغراض أخرى تُفهم من السّياق الذي وردت فيه،ويمكننا توضحها على النّحو الآتي:

2-3-1النـــــــــداء:

يُمكن تتبّع المقاصد الموضعيّة التّوجيهيّة من خلال الفعل اللّغوي " النّداء"؛ إذ يقوم المتكلّم بتوجيه الدّعوة إلى المخاطب لتنبيهه كي يستمع إلى ما يُلقى عليه[2] ، وقد عرّفه **ابن يعيش** بقوله: " النّداء هو تنبيه المدعو ليقبل عليك"[3] ، وبما أنّ غايته لفت انتباه السّامع فإنّه يستخدم بحروف خاصة تجعل منه مميّزًا عن بقيّة الأفعال اللّغوية الأخرى منها : يا- أيا- أيْ- (وهي الأكثر شيوعًا) ، إلا أنّه يمكن الاستغناء عنها في كثير من الأحيان؛ هذا لأنّ المخاطب غالبًا ما يكون ليس في حاجة لاستعمال الأداة لمناداته؛ فقط لأنّه أمامنا أو قريب منّا.

"وللنّداء دور حجاجي كبير، فهو وسيلة لطلب انتباه السّامع، وفيه توجيه له، وبالتّالي فيه تأثير عليه. وتتحكّم طبيعة المنادي والمنادى عليه في أسلوب النّداء وفي الغرض منه، فالنّداء الموجّه لله يُعتبر دعاء، والموجّه للذي هو أعلى مقامًا يدخل في مجال الالتماس، أمّا الموجّه لمن هو أدنى فيدخل في مجال الأمر، حيث أنّ المجالات الدّلالية للخطاب في أسلوب النّداء تتعدّد وتتنوّع حسب سياق الخطاب"[4].

وكثيرًا ما يتردّد النّداء في الخطب المنبريّة الدّينيّة لأنّه خطاب توجيهي وعظي يعتمد النّداء وغيره من الأفعال اللّغوية بهدف إيصال المقاصد للمتلقي والتّأثير فيه، فيحاول الخطيب شدّ انتباهه عن طريق ندائه، وفهم المقاصد المراد تبليغها إيّاه منوط بشدّة انتباهه وتركيزه في كلام الخطيب، لهذا فقد تنوّعت سياقات النّداء في الخطب الأربع المختارة وتعدّدت أطرافه، فأحيانًا هو موجّه للنّاس عامّة، وأخرى لخاصّة النّاس المسلمين والمؤمنين، وأحيانًا أخرى يُوجّه النّداء إلى الإخوة الكرام، وكلّ ذلك للفت انتباه المخاطب نحو قضايا دينيّة تهمّه في حياته الدّنيا وحتى في الآخرة.

ولو عُدنا إلى الخطب الأربع لوجدنا أنّ النّداء تمّ توظيفه من قبل الأئمة بعبارات مختلفة وفي سياقات مختلفة أيضًا نورد منها على النّحو الآتي:

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص482.

[2] ينظر: حسن عباس، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ج4، ط3، (دت)، ص1.

[3] يعيش بن علي بن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، (دط)، (دت)، ج8، ص120.

[4] عبد الواحد بن السيد، الحجاج في الخطابة، ص165.

النّداء بـ : " أيّها "	الخطبة	النّداء بـ: " يـا "	الخطبة	النّداء بصيغ أخرى	الخطبة
-فأوصيكم –أيّها النّاس- ونفسي بتقوى الله. -أيهّا النّاس: النّفرة والتّدابر سمة من سمات المجتمعات المنفكّة. -أيّها المسلمون: لقد كانت مبايعة الصّحابة – رضوان الله عليهم- للنّبي- صلّى الله عليه وسلّم- قائمة على ركائز عظمى ومقرّرات جليلة.	أهميّة النّصيحة وآدابها أهمّية النّصيحة وآدابها	-فيا أيّها النّاس: لقد جاءت عبارات النّبي- صلّى الله عليه وسلّم- حثيثة في جوامع الكلم هي قليلة في المبنى، ولكنّها عظيمة المعنى. -فاعلم –يا أخي- أنّ من كره الصّواب من غيره ونصر الخطأ من نفسه لم يؤمن عليه أن يسلبه الله ما علمه وينسيه ما ذكره.	أهميّة النّصيحة وآدابها أهميّة النّصيحة وآدابها	-يضاف إلى ذلك- عباد الله – الصّدق في النّصيحة والسّتر وإرادة الإصلاح.	أهميّة النّصيحة وآدابها
-أيّها الإخوة المؤمنون : لا عجب أن يكثر الحديث عن المرأة، فهي تمثّل نصف المجتمع أو تزيد. -أيّها المؤمنون والمؤمنات على طريق العلم والمعرفة(...) أعرض لكم اليوم شيئا من عناية	المرأة في الإسلام			-فاتقوا الله معاشر المسلمين والمسلمات، فتلك وصيّة الله لكم ولمن سبقكم	المرأة في الإسلام

الإسلام بالمرأة. -أيهّا المسلمون والمسلمات: لا تقف عناية الإسلام بالمرأة عند هذه الحدود السّابقة.					
-أيّها الإخوة حينما يؤذى الصّغير يحاسب عنه الكبير. -أيّها الإخوة، ومنها: حقّه في الحفاظ عليه وعدم لعنه وسبّه والدّعاء عليه. -أيّها الإخوة الكرام، حقيقة أردّدها لم يبق في أيدي المسلمين من وقة رابحة إلّا أولادنا.	حقوق الطّفل في الإسلام			-إخوة الإيمان أوصيكم ونفسي بتقوى الله العظيم اتّقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون. -إخوة الإيمان إنّ من أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلم لنا " احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز".	التّداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشّريعة الإسلامية

يتّضح ممّا سبق أنّ الأئمة الأربعة نوّعوا من صيغ النّداء في خطبهم التي يغلب عليها النّداء بـ: " أيّها " ثمّ يردفونها بـ: النّاس -الإخوة – المؤمنين والمؤمنات- المسلمين والمسلمات-الإخوة الكرام، وحتى بصيغ النّداء الأخرى، وكلّ ذلك لجعل المتلقي في هيئة استعداد لتلقي ما سيُملى عليه خاصّة لمّا يحذف الخطيب أداة النّداء " يا" وبالتّالي يضمن قُربه منهم، لهذا نجد الأئمة يختارون ما يناسب جمهورهم السّامع لاستمالة قلوبهم، والاستحواذ على عقولهم.

وتبدو مقاصد الأئمة في خطبهم من خلال النّداء مرتبطة بسياق الخطبة ومن خلال الكلام الذي يلي النّداء إن كان تقريرًا أم أمرًا أم نهيًا ...

2-3-2الأمـــــــــــر:

يندرج " الأمر" ضمن نوع من الأفعال اللّغوية التي صاغها **سيرل** واصطلح عليها بالأفعال التّوجيهيّة، وهي" كل المحاولات الخطابيّة التي يقوم بها المرسل بدرجات مختلفة للتّأثير في المرسَل إليه ليقوم بعمل معيّن في المستقبل"[1]، أمّا الأمر فهو " طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء حقيقيًّا كان ذلك الاستعلاء أو ادعائيًّا"[2]، وتظهر إفادته في الخطاب من خلال السّياق الذي يرد فيه، فمنها: التّهديد والتّعجيز، التّمني أو الحثّ على القيام بالفعل، كما قد يدلّ على الدّعاء في كثير من الأحيان ...وكلّها يمكن أن تظهر في العمليّة الخطابيّة أثناء التّداول، ممّا تساعد على فهم المقاصد وفهم المضامين التي يريد الخطيب إيصالها لجمهوره، خاصة وأنّ فعل الأمر" يُمارس تأثيرًا على المستمع بجعله يُدرك أنّ ما طالبه به المتكلّم أمر جدّيٌ وهامٌ"[3].

وبما أنّنا أمام خطب منبريّة دينيّة فإنّ المقاصد من أفعال الأمر ستختلف بحسب السّياق المتطرّق إليه، وبالجملة فقد ورد الأمر في الخطب الأربع بأغراض مختلفة لكن يغلب عليها الدّعاء، وذلك أمر مفروغ منه في كلّ الخطب الدّينيّة، وبالتّالي سيكون الأمر من الأدنى رتبة إلى الأعلى، والقصد منه الالتماس مع الخضوع والتّذلّل والانكسار وطلب الإجابة، وهو صادر من ذات الخطيب (إمام المسجد) وجمهوره السّامع، على اعتبار سلطته عليهم، إلى الله تعالى.

من ذلك نورد قول النّابلسي: **" اللّهم اهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت وتولّنا فيمن توليت وبارك لنا فيما أعطيت وقنا واصرف عنّا شرّ ما قضيت"**[4].

وقول أحمد بن علي سعود:**" اللّهم انصر الإسلام وأعزّ المسلمين"**[5] .

أمّا أفعال الأمر الإنجازيّة التّأثيريّة فنجدها بمقاصد مختلفة :

***طلب القيام بالفعل(النّصح والإرشاد):** يتجلّى ذلك في قول الشيخ النّابلسي :**" أرضعن أولادكن"**[6]،في سياق حديثه عن حقّ الطّفل في الرّضاعة الطّبيعية. وفي قول سعود بن إبراهيم الشريم: **" فاتّقوا الله معاشر المسلمين، واعلموا أنّ الأمّة لا يزال فيها النّاصح والمنصوح والرّادّ والمردود عليه"**[7]في سياق حديثه عن أهميّة النّصيحة والتّرغيب فيها، والحثّ على تطبيقها.

***التّهديد والوعيد:** نجد أنّ الخطيب كثيرًا ما ينوّع في الأغراض التي يوظّفها تحت الفعل اللّغوي المسمّى بالأمر؛ هذا لأنّ حاجته لها تتفاوت، وبما أنّ الموضوع في

[1] جان سيرفوني، الملفوظية، ص41.
[2] حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، (دط)، (دت)، ص89.
[3] عبد الواحد بن السيد، الحجاج في الخطابة، ص168.
[4] محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام.
[5] أحمد بن علي سعود، خطبة: التداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشريعة الإسلامية.
[6] محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام.
[7] سعود بن إبراهيم الشريم، خطبة: أهمية النصيحة وآدابها.

الخطاب المنبري الدّيني دائمًا ما يكون حول أمور فصل فيها الشّرع، فإنّ التّرغيب فيها لا يكفي، فيوظّف المحاجج في بعض الأحيان لغة التّهديد والوعيد خلف عباءة أفعال الأمر كي يُحدث وقعًا في نفس المتلقي[1] ، ونجده في قول النّابلسي: **"حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزن عليكم واعلموا أنّ ملك الموت قد تخطَّانا إلى غيرنا، وسيتخطَّى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا"**[2].

***التّرغيب والتّحبيب:** نجده في قول أحمد بن على سعود: **" فإن استطعت أن تكون ممّن يذكر الله في تلك السّاعة فكنْ"**[3]، في سياق حديثه عن قيام اللّيل وما له من فائدة في الاستشفاء من الأمراض والأوبئة . وفي قوله أيضا:**" مَنْ أحبّ أن يُبسط له في رزقه ويُمدَّ في أجله فليصل رحمه"**[4]، أثناء حديثه عن مكانة صلة الرّحم في زيادة رزق وعمر الإنسان.

2-3-3الاستفهـــــــــام:

إنّ استعمال الاستفهام يُعدّ من الآليات اللّغوية التي يُوظّفها المخاطَب قصد توجيه المتلقي إلى الإجابة عنه ولإقناعه نحو القضية المدافع عنها منذ البداية، وذلك بالسّيطرة على ذهنه والتّحكم فيه وجعل الخطاب يسير نحو اتّجاه واحد أراده ذلك المخَاطَب، وبالتّالي كلّما كان الاستفهام محدّدًا أكثر خادمًا للسّياق استطاع المرسِل من خلاله التّحكّم في زمام الأمور.

الاستفهام هو طلب المعرفة بشيء لم يكن معلومًا من قبل، وله دور كبير في العمليّة الحجاجيّة نتيجة " لما يعمله من جلب القارئ أو المستمع في عمليّة الاستدلال بحيث أنّه يُشركه بحكم قوّة الاستفهام وخصائصه"[5] ، وهو بذلك" نمط يستلزم تأويل القول المراد تحليله انطلاقا من قيمته الحجاجيّة"[6].

وله أدوات عدّة يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام: قسم يُستفهم به عن التّصور والتّصديق، وهو(همزة الاستفهام)، وقسم يُستفهم به عن التّصديق فقط، وهو الحرف(هل)، وقسم آخر يُستفهم به عن التّصور فقط ، وهو سائر أدوات الاستفهام، وهي أسماء(ما، من ، أيّ، كم، كيف، أين، أنّى، متى، أيّان)[7].

وبما أنّنا أمام خطاب ديني (خطب منبريّة دينيّة) فإنّنا سنجد حضورًا للاستفهام الذي ستختلف أغراضه التّداوليّة تبعًا للسّياق الوارد فيه، وتبعًا للمقاصد التي يروم

---

[1] ينظر: وداد بوصبيع، علي حمودين، المقاصد الحجاجية اللغوية في الخطب المنبرية الدينية – خطبة أهمية اللغة العربية – لمحمد راتب النابلسي أنموذجا، مجلة دراسات معاصرة، جامعة تيسمسيلت، الجزائر، ع2، مج5، ص312.

[2] محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام.

[3] أحمد بن علي سعود، خطبة: التداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشريعة الإسلامية.

[4] المرجع نفسه.

[5] عبد الحكيم بن عيسى، البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم – سورة النبأ أنموذجا – مجلة التراث العربي، ع102، نيسان2006م، ص192.

[6] أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الجديدة، بيروت/ لبنان، ط1، 2010م، ص57.

[7] ينظر: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وشرحه: نعيم زرزور، ص308.

الخطيب إيصالها لجمهوره السّامع، لهذا فإنّه ومن غير الممكن أن يوظّف الخطيب الاستفهام في خطبته من أجل طلب المعرفة بشيء لم يكن معلومًا من قبل بقدر ما سيكون توظيفه له كآليّة أو كحجّة لإثبات فكرته، ومحاولة منه تقريب مقاصده للمتلقي السّامع، وبالتّالي توجيهه ضمنيًّا لفعل شيء معيّن أو الكفّ عنه.

لقد تمّ توظيف الاستفهام في الخطب الأربع التي بين أيدينا عدّة مرّات بأغراض تداوليّة مختلفة تولّد العديد من المقاصد التّواصليّة تبعًا للسّياق الذي وردت فيه.

حيث ورد الاستفهام في قول النّابلسي في " حقوق الطّفل في الإسلام" " **الحامل إذا شربت دواء فألقت الجنين فعليها الديّة والكفّارة تُدفع إلى ورثة الجنين، الآن الحامل إذا ماتت وفي بطنها جنين ما الذي ينبغي أن نفعله؟"**[1].

فالملاحظ من خلال هذا الاستفهام أنّ الخطيب أراد للمتلقي أن يفهم مقصده عن طريق إعلامه بالحكم الشّرعي في هذه القضيّة المهملة من طرف الكثيرين، وبالتّالي توجيهه إلى تعلّم الحكم ثمّ تطبيقه، إذن هو حجّة لكل منكر ومستهين، ولتأكيد هذه الحقيقة والفصل فيها استعمل الخطيب الاستفهام بالأداة " مـــــا" التي تأتي للسّؤال " عن الجنس وللسّؤال عن الوصف"[2]، كما قد تأتي للسّؤال عن" التّعجّب"[3]،وكلّ ذلك قصد إثبات الحكم الشّرعي، ذلك أنّ حروف المعاني تُعدّ " أفعالًا كلاميّة ترمي إلى صناعة أفعال ومواقف اجتماعيّة أو ذاتيّة بالكلمات"[4]، لهذا وظّفها الخطيب قصد التّأثير في المتلقي الذي عليه أن ينتبه إلى هذا الحكم الشّرعي فيفعله ويطبّقه. خاصّة وأنّه أرفق استفهامه بالجواب، فقال: "**ينبغي أن يُشقّ بطنها طولًا وأن يُخرج منه الجنين لقوله تعالى:(ومن أحياها فكأنّما أحيا النّاس جميعًا) [سورة المائدة الآية: 32]**"[5] وظاهرة طرح السّؤال والإجابة عنه غالبا ما نعثر عليها في الخطب المنبريّة الدّينيّة، إذ يحتاج الخطيب إلى ذلك إمّا لإثبات حكم والتّوجيه للتّمسك به أو لتفنيده وبالتّالي تركه والابتعاد عنه...

وفي خطبة "التّداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشّريعة الإسلاميّة" نجد أحمد بن علي سعود يقول:" **ومن الدّواء كذلك الدّواء بالصّدقة الدّواء بإسداء المعروف والصّدقة. لقد وصف تعالى عباده الأبرار قائلا: (ويطعمون الطّعام على حبّه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا إنّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورًا)**

---

[1] محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام.

[2] ينظر: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ، ص310.

[3] ينظر: المرجع السابق، ص310.

[4] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005م، ص217.

[5] محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام.

الإنسان الآية 08-09. ماذا كانت النّتيجة من هذا الإطعام ومن هذه الصّدقة؟ (فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم)"[1].

إنّ استعمال الخطيب للاستفهام هنا إنّما هو بدافع التّرغيب والتّحبيب في هذا العلاج من جهة ومن جهة أخرى هو حجّة لإثبات صحّة فكرته المتمثّلة في أنّ الصّدقة علاج تقي كلّ الشّرور بما فيها الأمراض والأوبئة فاستفهامه بـــ " ماذا" هنا كان بقصد الإقناع وبقصد شدّ انتباه المتلقي وتشويقه لبيان نتيجة التّمسّك بهذا العلاج(الصّدقة) وتفعيله في حياته والأثر النّاجم عنه.

كما وُظف الاستفهام بأغراض ومقاصد مختلفة في خطبة " المرأة في الإسلام"؛ إذ نجد الخطيب يقول:

" ذلك من الأدلة على أهميّة النّساء أيّام نضارة حضارة العرب فهل تُعيد المرأة المُعاصرة تاريخ ومجد أسلافها من المؤمنات العاملات؟"[2].

فاستفهام الخطيب كان بقصد المقارنة بين المرأة المتعلّمة المثقّفة التي اعترف بعلمها وذكائها حتى غير المسلمين خاصّة في العهد العبّاسي في المشرق وفي ظل الأمويين في الأندلس، وبين المرأة اليوم. ويبدو هذا المقصد واضحًا من خلال أجابته عن استفهامه الذي ينفي استحالة ذلك، وأنّ المرأة المعاصرة لا تقلّ شأنًا ولا علمًا أو ثقافةً عن نظيرتها، وأنّ الله قادر على بيان ذلك، فيقول: **" ليس ذلك على الله بعزيز..."**[3]. وهو بذلك يُحاجج المنكرين لأهميّة المرأة ومكانتها العلميّة والثّقافيّة من خلال استحضاره للاستفهام بـــــ " هل" .

ويقول أيضًا في سياق آخر: **" هذه عناية الإسلام بالبنت حتى تُغادر البيت مُعزّزة مُكرّمة، فأين هذا من الحضارة المزعومة المعاصرة التي ترمي بالبنت في قارعة الطّريق لتبحث عن مأوى آخر، تهيم على وجهها في صحراء مهلكة، تُحيط بها الذّئاب في كل جانب؟ "**[4].

فالظّاهر أنّ استفهام الخطيب هنا لا يروم إلى إجابة من خلاله، بل غرضه بيان المكانة المرموقة التي حبا بها الإسلام المرأة، وأنّ هذه المكانة استحالة أن نجدها في شريعة أخرى غير الإسلام، بوصفها شرائع جاءت لتُخرج المرأة من صدفتها وترمي بها في قرار سحيق باسم الحرّية والانفتاح. وبالتّالي فالخطيب باستفهامه هذا يُنكر تمامًا زعم الشّرائع الأخرى المناديّة بحقوق المرأة، ومقصده من ذلك الدّفاع عن حقِّها المشروع الذي كرَّمها به الإسلام.

---

[1] أحمد بن علي سعود، خطبة: التداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشريعة الإسلامية.

[2] أحمد طهراوي، خطبة: المرأة في الإسلام.

[3] المرجع نفسه.

[4] المرجع نفسه.

وفي نفس السّياق يقول :" **فأيّ تشريع غير الإسلام يبلغ بالمرأة هذه المنزلة ؟ وأيّ حقوق يمكن أن يهبها لها البشر فوق ما حباها به ربّ البشر ؟ "**[1].

وهو ما يؤكّد المقصد السّابق للخطيب فكلّ الشّرائع الأخرى قاصرة على إيفاء المرأة حقّها، لأنّ المانح لهذا الحقّ ليس بشرًا بل ربّهم، فالمقصود إذن بيان المكانة العظيمة التي وصلتها المرأة بعد الإسلام والتّأثير في الجمهور وإقناعه بهذه الحقيقة.

ومن هنا يمكن أن ندرك قُدرة إنجاز السّؤال على" الاضطلاع بدور حجاجيّ في سياق ما مع تعويل السّائل على الضّمني المتخفّي وهو ما يجعل السّؤال المطروح غير بريء. إنّه يُثير إشكالًا ويوجّه المتلقي إلى وجهة محدّدة يقصد إليها المتكلّم قصدا"[2]،وهو ما رأيناه في النّماذج السّابقة التي مرّت معنا.

3-2 القرينة والإشارة:

الثّابت في الدّراسة التّداوليّة أنّه لا يمكنها أن تغفل جانبًا مهمًّا أثناء مقاربة النّصوص مهما كانت أنواعها، يتمثّل هذا الجانب في القرينة والإشارة - بالتّحديد الضّمائر والحروف - التي من شأنها أن تُحيل إلى هويّة أطراف العمليّة التّواصليّة ودور كل منهما أثناء تداول الكلام، هذا ناهيك عن مدى ما تضيفه إلى مقصد الجملة في سياقها المناسب، وقد سمّاها **جون كوهن** بالمتحوّلات التي يُقصد بها: "طبّقة من الكلمات تتغيّر معناها تبعًا للسّياق، وعلى الرّغم من أنّ هذه المتحوّلات لم تُوجد في اللّغة كي تُؤدي وظيفة مبهمة، وإنّما لتعبّر عن معنى معيّن وشيء معيّن"[3]، لهذا فهي عديمة المعنى بمفردها، ولا تنطوي على معان مهمّة إلّا داخل السّياق الذي توجد فيه، فهي إذن تحتاج إلى من يوضّح غموضها ويفسّر إبهامها تبعًا لذلك السّياق.

لا يمكن بأيّ حال من الأحوال إهمال دور الإشاريّات ؛ فهي تعمل على تماسك النّص وانسجامه، كما تحافظ على الرّبط السليم بين أجزائه المكوّنة له داخليًا وخارجيًا وبالتّالي فهي: " تُعدّ من التّعابير اللّغوية الإحاليّة التي تمتلك القدرة على ربط النّص بالواقع الخارجي من خلال وحدات الشّخوص والزّمان والمكان، وفي اللّغة يُعدُّ التّعبير إشاريًا في سياق ما، إذا ما كان مرجعه لا يستطيع أن يكون محدّدًا إلّا إزاء الهوية أو إزاء وضع المتخاطبين في اللّحظة التي يتكلّمون فيها"[4]، لهذا فإنّه كلّما أحسن المتكلّم اختيار إشاريّاته اختيارًا سليمًا مراعيًا فيه السّياق فإنّه يسهل على المتلقي فهم مقاصده، لأنّ المتكلّم لا يتكلّم عبثًا من دون قصد معيّن، وهذا القصد من شأنه أن يؤثّر في القول والكلام الذي يتكلّمه، لذا عليه بحسن الاختيار.

---

[1] أحمد طهراوي، خطبة: المرأة في الإسلام.

[2] سامية دريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد/ الأردن، ط2، 2011م، ص145.

[3] جون كوهن، بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1986م، ص185.

[4] داليا أحمد موسى، الإحالة في شعر أدونيس، دار التكوين، دمشق، ط1، 2010م، ص101.

وفي الخطب المنبريّة الدّينيّة التي بين أيدينا نجد أنّ منتجي الخطاب وظّفوا الضّمائر والحروف المختلفة من أجل الحفاظ على تماسك نصوصهم من جهة، ومن جهة أخرى كي يوصلوا مقاصدهم إلى المتلقي إيصالًا سليمًا، وبالتّالي يؤثّرون فيه ويقنعونه بوجهة نظرهم، السّاعية إلى توجيههم وتغيير سلوكهم أو الكفّ عن تصرّفات معيّنة وغيرها...

1-3-2 الضّمائر:

تمنح الضّمائر الخطاب بُعدًا تداوليًا، لما يتمّ تحديد وظيفتها المرجعيّة في سياقها المناسب، وهي تتمثّل في ضمير المتكلّم (أنا)، ضمير المخاطَب (أنت)، وضمير الغائب (هو)، وقد سمّاها العلماء القدامى بالمبهم لأنّها تحتاج إلى بيان وتوضيح[1]،ولهذا فإنّ هذه الإشاريّات الخاصّة بالضّمائر "مبنيّة على التّقابل بين الحاضر والغائب (مقولة الزّمن)؛ لأنّ الضّمير (أنا) لا يُحيل إلّا على المتكلّم؛ أي إلى الذي يقول (أنا)، وبقوله ذلك يفترض حتمًا وجود آخر يوجّه إليه خطابه ويشير إليه بـــ (أنت) كما تبرز العلاقة الوثيقة التي تربط المتكلّم بالمخاطَب إطلاق تسمية (هو) على الشّخص الغائب من العمليّة التّخاطبيّة"[2]، هذا ناهيك عن الإشاريّات الأخرى المكمّلة لتماسك النّص وانسجامه.

لقد وظّف الأئمة الأربعة الضّمائر السّابقة في خطبهم ونوعوا فيها، فنجد النّابلسي يقول:

- " اليوم أعرض على مسامعكم بعض ما في هذا الدّين العظيم...

-من منّا يصدّق أنّ الإسلام ينشئ للطّفل حقًّا على والديه...

- مرة حدّثني أخ كريم سافر إلى باريس...

- صدّقوا أيّها الإخوة...

- حقه في النّفقة..../حقّه في التّربية.../حقّه في الملاطفة والمداعبة.../حقّه في الحفاظ عليه.../حقّه في العلاج...

- أسمعه كلمة طيّبة ينشأ الطفل مؤدبا...

- حاسبوا أنفسكم....

- أولادهم هم المستقبل...

- اللّهم اهدنا لصالح الأعمال ...."[3]

---

[1] ينظر: مهاباد هاشم ابراهيم، الخطاب اللساني في رسائل الجاحظ (مقاربة تداولية)، ص151-152.

[2] حافظ إسماعيلي علوي، منتصر أمين عبد الرحيم، التداوليات وتحليل الخطاب (بحوث محكمة)، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2014م، ص165.

[3] محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام.

كما وظّفها أحمد بن على سعود، حين قال:

- "أوصيكم ونفسي بتقوى الله العظيم اتّقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون...

- تذاكرنا الجمعة الماضية من وسائل التّصدي لهذا الوباء...

- تداووا بالصّدقة...

- اللّهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافاة الدّائمة...

- يعظكم لعلكم تذّكّروا..."[1]

وفي خطبة " أهميّة الصّدقة وآدابها " أورد الخطيب:

- "فأوصيكم – أيّها النّاس-...

- ثم اعلموا – يا رعاكم الله – أنّهلا يضرّ المرء ما يلاقيه...

- ألا فاتّقوا الله معاشر المسلمين...

- بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإيّاكم بما فيه من الآيات والذّكر الحكيم..."[2]

وفي خطبة " المرأة في الإسلام "، يقول الخطيب:

" –فاتّقوا الله معاشر المسلمين والمسلمات، فتلك وصيّة الله لكم ولمن سبقكم...

- أعرض لكم اليوم شيئا من عناية الإسلام بالمرأة...

- وأعتذر لكم سلفًا عن الاختصار بما يقتضيه المقام...

- وإذا تجاوزنا أمثال عائشة – رضي الله عنها – نموذج العلم والفقه الأوّل..."[3]

وبعد إطلالة على الضّمائر التي وظّفها الأئمة في خطبهم، نلاحظ أنّها متنوّعة بين المتكلّم والمخاطب والغائب أحيانًا، وأنّهم يستخدمون ضمير المتكلّم تارةً بالمفرد (أنا)، وتارةً أخرى بضمير الجمع (نحن)، وهو الغالب ، ولعلّ مردّ ذلك هو تقريب المسافة بين الأئمة ومتلقيهم فهم في الحكم سواء وفي المصير أيضًا، لذلك غالبًا ما نجد الأئمة يخاطبون جمهورهم السّامع بضمير الجمع (نحن)، وبالتّالي ترتفع درجة التّأثير ويتمّ الإقناع.

أمّا ضمير المفرد (أنا) لا يمكن إغفال دوره البارز في إثبات شخصيّة الخطيب(ذاتيّة الخطيب) وسلطته العليا على متلقيه،" والذّاتية هي قدرة المتكلّم على فرض نفسه ذاتيًا...، إنّ الوعي بالذّات لا يكون إلّا إذا تمّ التّحقق منه بالنّقيض، فأنا لا أستعمل ضمير (أنا) إلّا عندما أتوجّه إلى شخص ما يكون (أنت) في خطابي،

[1] أحمد بن علي سعود، خطبة: التداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشريعة الإسلامية.

[2] سعود بن إبراهيم الشريم، خطبة: أهمية النصيحة وآدابها.

[3] أحمد طهراوي، خطبة: المرأة في الإسلام.

إنّ شرط الخطاب هذا أساسي للشّخص؛ لأنّه شرط يلتزم التّبادل"[1]، وعلى هذا الأساس يتمّ توظيفه أيضا للتّأثير في المتلقين، وضمان إذعانهم.
أمّا ضمير الجماعة (كُمْ) الظّاهر في النماذج السّابقة فهو المعبّر عن الجمهور السّامع، متلقي الخطاب، وفي جلّ الخطب يتمظهر العنصر التّواصلي القائم بين ثنائية (أنا أو نحن)و (أنت أو أنتم)، وهي تبدو جليّة من خلال الأوامر والتّقريرات التي تليها في السّياق الذي وضعت لأجله، وهي بحق مساعدة على كشف مقاصد الأئمة من خطبهم، كل حسب موضوع الخطبة والسّياق الذي ورد الضمير فيه.

2-3-2 الحروف:

لقد وظّف الأئمة مجموعة من الحروف التي تنوّعت بين **لا النّافية، لا النّاهية، الفاء السببيّة، لام الأمر، ...**والتي يمكننا الوقوف على بعض منها من خلال الجدول الآتي:

نوع الحرف	العبارة	عنوان الخطبة	المقصد
فاء السببيّة	-كما ينبغي أن ينطلق نصحه من باب المحبّة والإشفاق بالآخرين، **فهو** أحرى لأن يبارك الله فيه... -السّتر في النّصح من سمات المؤمن الصّادق، **فإنّ** المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعيّر.	أهميّة النّصيحة وآدابها	-النّصح يكون بمحبّة وخوف على المنصوح كي يكون سببًا لحلول بركة الله على العبد. -ما يميّز النّاصح المسلم عن غيره هو النُّصح مع ستر المنصوح.

[1] صابر الحباشنة، لسانيات الخطاب (الأسلوبية والتلفظ والتداولية)، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ط1، 2012م، 137-138.

	-...**فاجتمعن** فأتاهنّ فعلمنهنّ ممّا علّمه الله.	المرأة في الإسلام	-تعليم النّبي صلّى الله عليه وسلّم للنّساء بعد أن طلبن منه ذلك
	-...أكثر حالات سرطان الثّدي تصاب به نساء أبين إرضاع أولادهن من أجل شكلهن، **فالعقاب** الإلهي ورم خبيث في الثّدي.	حقوق الطّفل في الإسلام	- سبب أمراض الثّدي التي تصيب معظم النّساء يتمثّل في أنّهنّ يرفض إرضاع أولادهن طبيعيا فيحرمون أبناءهم من حقوقهم.
	-فإن استطعت أن تكون ممّن يذكر الله في تلك السّاعة فكن	التّداوي من الأمراض والأوبئة	-مكانة قيام اللّيل في القضاء على البلاء والدّاء، والدّعوة إلى التّمسك بهذه العبادة.
لا النّافية	-**لا يوجد** بأي اتّفاقية طفولة حقوق للجنين،.../ الإنسان حينما **لا ينفق** على أولاده يخسرهم...	حقوق الطّفل في الإسلام	-نفي إيجاد شرائع واتفاقيّات تهتمّ لحقوق الجنين من غير الإسلام./- عدم الاهتمام بالشّؤون الماديّة للأولاد تؤدّي إلى خسارتهم، فعلى الآباء الانفاق من أجل الحفاظ على أبنائهم.
لا النّافية	-**لا يمنع** من التّمادي في النّصح والإكثار فيه عدم القبول من المخالف.../والنّقد الموجّه.....الذي تجتمع قلوب بنيه على رعاية الصّالح العامّ...**لا رضا** الأهواء والشّهوات والأنفس التي تألف ما	أهميّة النّصيحة وآدابها	-لا يجب الاهتمام برأي الطّرف الآخر أو رفض النّصيحة عموما. - خاصّة لما تكون النَّصيحة مبنيّة على ركائز ودعائم صحيحة، هدفها نيل رضا الله وتتنافى مع ما يسخطه ويغضبه.

	يسخط الله لا ما يرضيه. -والحقّ الذي **لا غبار** عليه أنّه **لا خير** في مجتمع أفئدة بنيه في التّناصح هواء، و**لا خير** في مجتمع آذان ذويه كالأقماع يدخل النّصح مع اليمنى ف**لا يلبث** أن يخرج مع اليسرى.	أهميّة النّصيحة و آدابها	-نفي الخيرية عن أي مجتمع لا يستمع للنّصيحة ولا يأخذ بها، بل ويرفضها رفضا قاطعا.
	-**لا عجب** – والحال تلك- أن يكثر الحديث عنهن...	المرأة في الإسلام	-المكانة التي كرّم بها الإسلام المرأة، جعلت الحديث عنها يكثر، وهو أمر لا ينبغي الحيرة منه، لأنّ الإسلام وضعها في المكانة اللّائقة بها.
	-من لم يستشف بالقرآن بالقرآن ف**لا شفاء** له.	التّداوي من الأمراض والأوبئة	-أهميّة القرآن الكريم في الشّفاء من الأمراض والأوبئة.
لا النّاهية	-**لا تدعوا** على أنفسكم و**لا تدعوا** على أولادكم/ **لا تعذّبوا** صبيانكم..	حقوق الطّفل في الإسلام	-الابتعاد عن دعاء المسلم على نفسه أو ولده لما فيه من ضرر وشرّ، ونهي الخطيب عن ذلك.
	-...استعن بالله **ولا تعجز**	التّداوي من الأمراض والأوبئة	-أهميّة التّوكل والاستعانة بالله، والنّهي عن العجز واليأس والتّواكل...

	فقد كتب معاوية – رضي الله عنه – إلى عائشة – رضي الله عنها – أن اكتبي إليّ كتابا توصيني ولا تكثري عليّ...	أهميّة النّصيحة وآدابها	-الدّعوة إلى الاعتدال في النّصيحة والنّهي عن الاكثار، أي النّصح بما قلّ دلّ.
عليكم	-**عليكم** بالقرآن و**عليكم** بقيام اللّيل و**عليكم** بالصّدقة...	التّداوي من الأمراض والأوبئة	-الحثّ على التّمسك بالقرآن وقيام اللّيل والصّدقة، لأنّها شفاء لكل داء.
لام الأمر	-ف**لنتخذ** حذرنا...	حقوق الطّفل في الإسلام	-وجوب التزام الحذر في الأمر؟

يتبيّن من خلال هذا الجدول أنّ الحروف الموظّفة من قبل الأئمة عملت على اتّساق النّص وتماسكه، فلولاها لما تحصّلنا على نص، إضافة إلى دورها البارز في تحقيق المقاصد التّواصليّة بين الأئمة وجمهورهم السّامع، فبإيرادهم للفاء السببيّة، ولاء النّافية، ولا النّاهية، وعليكم، ولام الأمر – وهي الأكثر بروزا مقارنة مع الحروف الأخرى- استطاعوا إقناع المتلّقين بالقضايا التي يدافعون عنها، إمّا حثًّا وتوجيهًا إلى فعل أمر والتّمسك به (لام الأمر- عليكم)، أو النّهي عنه لما فيه من ضرر يُصيب المسلم (لاء النّاهية)، أو نفي حقيقة أو معلومة معيّنة (لاء النّافية)، أو ذكر للسّبب (فاء السّببيّة)، وليس ذلك بغريب، فغالبًا ما نجد ذلك في جلّ الخطب المنبريّة الدّينيّة لأنّ طابعها وعظي إرشادي.

2-4المقصديّة الإجماليّة:

سبق وأن أشرنا إلى هذا النّوع من المقاصد، فإذا كانت المقاصد الموضعيّة تهتمّ بالأغراض المباشرة والصّريحة، فإنّ المقصديّة الإجماليّة تهتمّ بالمعاني غير المباشرة والمضمرة التي يمكن استنتاجها عن طريق المعاني الأولى...وهي ذاتها التي عبّر عنها **سيرل** بالأفعال غير المباشرة التي يعتمدها المتكلّم لقول شيء في حين أنّ مقصده شيء آخر[1]، والتي يمكن الوقوف عندها في الخطب المنبريّة الدّينيّة

[1] فضيلة يونسي، مفهوم المقاصد وعلاقتها بالخطاب تناول تداولي لخطاب ثوري، مجلة الخطاب، دورية أكاديمية محكمة، المركز الجامعي البويرة، الجزائر، ع06، ص294.

من خلال تتبّع الافتراضات المسبقة والأقوال المضمرة، حيث يتمّ فيهما الانتقال من المعنى الحرفي المباشر إلى المعنى المستلزم غير المباشر أو يمكن تسميتّه بالمقصد الإجمالي.

2-4-1 الافتراضات المسبقة:

نأتي في هذا العنصر على توضيح المعاني الخفيّة أو غير الصّريحة التي أدرجها الأئمة خطبهم المنبريّة أثناء إلقائها على السّامعين، فأحيانا يحتاج المخاطِب إلى عدم التّصريح ببعض المعاني ويفضّل تركها للمتلقي حتّى يقدّم استنتاجات لها مراعاة للسّياق الذي قيلت فيه، وهنا تظهر مهارة المتلقي في القبض على المعاني المرادة، وهو ما يخوّل له فهم مقاصد الإمام، ومن ثمّ التّأثر والاقتناع.

فالافتراضات المسبقة يوظفها الخطيب من أجل توضيح الرّسالة للمتلقي من خلال الخلفيّة التّواصليّة في سياقها الكلامي[1]، "حيث يوجّه المتكلّم حديثه إلى السّامع على أساس ممّا يُفترض سلفًا أنّه معلوم له، وقد لوحظ أنّ الافتراض السّابق قد يكون مرتبطا ببعض العبارات اللّغوية دون البعض. فإذا قال رجل لآخر: أغلق النّافذة، فالمفترض سلفا أنّ النّافذة مفتوحة، وأنّ هناك مبررًا يدعو إلى إغلاقها، وأنّ المخاطب قادر على الحركة، وأنّ المتكلّم في منزلة الأمر، وكلّ ذلك موصول بسياق الحال، وعلاقة المتكلّم بالمخاطب"[2].

إنّ إمام المسجد أثناء خطبته لا يقول كلّ شيء، لأنّه قد يضطرُّ إلى عدم التّصريح ببعض الأمور بحكم الأضرار التي من الممكن أن تنجرّ عن التّصريح بها، كما يمكن أن يعود ذلك لأسباب أخرى نجملها فيما يأتي:

1 تدخّل السّياق العامّ للخطبة والظّروف المحيطة بشتّى أنواعها، فهي من شأنها أن تدفع بالإمام إلى التّلميح لا التّصريح دفعًا لأيّ خطر أو ضرر...

2لكوْن الإمام يفضّل التّلميح في بعض الأحيان لأنّه قد يوصل القصد أكثر من التّصريح.

4اختبار قدرة المتلقي في الكشف عن المقاصد الحقيقيّة بعيدًا عن الإيهام من خلال خاصيّة التّلميح.

وعليه يمكن القول أنّ الافتراضات المسبقة هي" إخبار المخاطَب بجميع المعلومات التي يحويها السّياق دون أن يُصرَّح له بشيء يحمله على التّفكير في كلامه، أو يجعله يفكّ تلك الرّموز اللّغوية وبذلك يتوصّل إلى فهم ما أراد المتكلّم"[3].

إذن نستنتج من هذا التّعريف أنّ الافتراض المسبق يُحيل المتلقي إلى كلام لم يتمّ التّصريح به من قبل المتكلّم، إلّا أنّه حاضر وبقوّة فيه "فهو المعلومات وإن لم

[1] جان سرفوني، الملفوظية، ص07.

[2] ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص66.

[3] إبراهيم إيدير، القصدية في " الأدب الكبير" لابن المقفع – دراسة تداولية-، ص99.

يُصرّح بها فإنّها وبطريقة آلية واردة ومدرجة في القول الذي يتضمّنها أصلًا بغضّ النّظر عن خصوصيّته في إطار الحديث الذي يتجلّى فيه"[1]، وهو ما يجعل المتلقي أحيانًا يقع في الخطأ جرّاء عدم فهمه واستيعابه للقول غير الصّريح، وبالتّالي فإنّ فهم مقاصد الخطيب منوط بمدى قدرة المتلقي على الاستنتاج المنطقي، وفكّ الشّفرات غير المصرّح بها أثناء تلقي الخطاب.

لقد وظّف الأئمة الافتراضات المسبقة في خطبهم المنبريّة، فهذا محمد راتب النّابلسي يقول: **"مرّة حدّثني أخ كريم سافر إلى باريس رأى شابا على نهر السّين ساهم الوجه قال له مالك وما تتمنّى؟ قال له أتمنّى أن أقتل أبي، كإنسان مسلم صُعق، لما؟ قال أحبّ فتاة فأخذها منّي، أمّا آباء المسلين همّه الأول تزويج أولاده، همّه الأول يبيع بيته في دمشق ليسكن خارج دمشق كي يزوّج أولاده، أنا أتمنّى على الإخوة الكرام لا تغفل عن ميزات المسلمين، تتمتّع بتماسك أسري، الأب مقدّس، الأم مقدّسة، الأولاد مقدّسون"**[2].

لقد ضمّن الخطيب كلامه أنّ الأبناء في العالم الغربي لا يتمتّعون بالاهتمام والرّعاية الأبويّة التي يتمتّع بها أبناء المسلمين؛ فالأب غير المسلم هدفه إرضاء نفسه ورغباته ونزواته وإن على حساب سعادة ابنه، وهو ما لا نجده عند الآباء المسلمين الذين يضحّون بسعادتهم من أجل سعادة أبنائهم، وهو أمر ليس بالغريب، فأنّى للعوالم الأخرى ذلك وهم يفتقرون إلى دين قويم ينظّم أمور حياتهم، ويسيّرها على نهج سديد، فحياتهم لا تختلف عن حياة الحيوانات في الغابة، همّهم الوحيد إشباع رغباتهم، وبالتّالي فإنّ الخطيب يضمّن كلامه هذا الافتراض المسبق كي يجعل المتلقي ينظر إلى ما في يده، ولا ينخدع لما يروّج له العالم الغربي من حقوق للطفل بأسماء زائفة.

ويقول أيضا: **" ومنها: احترام شخصية الصّغير: هناك شيء يكاد لا يُصدّق، احترام شخصية الصّغير، طفل يجلس على يمينه وعلى يساره أشياخ كبار صحابة، جاءت الضّيافة، قال له: أتأذن لي يا غلام، أتأذن لي أن أعطيه الأشياخ؟ سيّد الخلق يستأذن طفلا صغيرا، قال له: لا والله لا آذن لك، أعطاه إيّاه، في مثل هذه التربيّة؟ طفل تستأذنه؟ أحيانا الأب العاقل يستشير ابنه يمنحه ثقة، يضع المال بمكان، بابا خذ وسجل حتى نضبط أمورنا، تعمل ثقة كبيرة بالطفل، لما تمنح ابنك ثقة يمنحك روحه. قال له: أتأذن لي يا غلام أتأذن لي أن أعطيه الأشياخ؟ فقال الغلام ما كنت لآثر بفضلي منك أحدا يا رسول الله فأعطاه إيّاه"**[3].

---

[1] المرجع نفسه، ص100.

[2] محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام.

[3] المرجع السابق.

يتّضح للمتلقي من خلال هذا القول أنّ النّابلسي يضمّن في كلامه أنّ المجتمعات الإسلامية ورغم تقيّدها بتعاليم الدّين الإسلامي غير أنّها في الواقع لا تحترم شخصيّة الطفل الصّغير، ولا تراعي حقّه من هذه النّاحية خصّيصا، فالآباء غالبا ما يهملون استشارة أبنائهم، والأخذ برأيهم في بعض الأمور التي لا يحدث فيها ضرر إن تمّت استشارتهم، وهو ما يجعل الطفل يعاني التّهميش وعدم الإحساس بالثّقة التّامة بنفسه، وبالتّالي ستتولّد فيه التّبعية للآباء أو لمن هم أكبر منه سنًّا، وهذا الافتراض المسبق أتبعه الخطيب بتعامل النّبي - صلّى الله عليه وسلم - الذي كان يحترم شخصية الأطفال الصّغار قصد الإقناع ومحاولة تغيير نظرة الآباء وتغيير سلوكهم اتّجاه أبنائهم.

وفي خطبة "التّداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشّريعة الإسلاميّة" يقول الخطيب: **"ومن الدّواء كذلك الدّواء بالصّدقة الدّواء بإسداء المعروف والصّدقة. لقد وصف تعالى عباده الأبرار قائلا: " ويطعمون الطّعام على حبّه مسكينا ويتيما وأسيرا إنّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا" الإنسان/08-09. ماذا كانت النّتيجة من هذا الإطعام ومن هذه الصّدقة؟ "فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم""**[1]، فالمستمع لهذا الخطاب سيدرك أنّ هناك كلامًا فضّل الخطيب عدم البوح به مباشرة، يتمثّل في أنّ المتلقي قد يتصدّق ولكن لا يدرك أنّ للصّدقة فوائد عظيمة، قد تُبعد عنه الأمراض وتحميه من الأوبئة ومن كلّ البلاءات في الدّنيا والآخرة، شرط أن تكون النيّة فيها خالصة لوجه الله تعالى، ودون إتباعها بالمنّ للطّرف المتصدَّق عليه، وإيراد الخطيب لهذا القول المضمر ليس بدافع الإخبار أو التّذكير فحسب، بقدر ما هو تصحيح لسلوك المتلقين واهتمامهم بهذه المسالة التي قد لا يوليها الكثير منهم أيّ اهتمام.

أمّا في خطبة "المرأة في الإسلام" فقد أورد الخطيب هذا الكلام **"فأين ذلك من بعض تشريعات البشر وقوانينهم التي تعتبر المرأة مع الصّغير والمجنون محجورًا عليهم؟ كما في القانون الرّوماني والفرنسي سابقًا!... هذه عناية الإسلام بالبنت حتى تغادر البيت معزّزة مكرّمة، فأين هذا من الحضارة المزعومة المعاصرة التي ترمي بالبنت في قارعة الطّريق لتبحث عن مأوى آخر، وتهيم على وجهها في صحراء مهلكة، تحيط بها الذّئاب من كلّ جانب؟...فأيّ تشريع غير الإسلام يبلغ بالمرأة هذه المنزلة؟وأيّ حقوق يمكن أن يهبها لها البشر فوق ما حباها به ربّ البشر؟ "**[2]، الذي ضمّنه قولا فضّل إضماره على أن يصرّح به؛ يتمثّل في أنّ غالبية المتلقين من الجمهور السّامع يسيرون خلف ادّعاءات وإغراءات العالم الغربيّ من جهة، والغالبيّة الأخرى ما زالت تنظر للمرأة نظرة الجاهلية الأولى؛ فلا تعترف

[1] أحمد بن علي سعود، خطبة: التداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشريعة الإسلامية.

[2] أحمد طهراوي، خطبة: المرأة في الإسلام.

بحقوق المرأة فتسلبها إيّاها وتمارس ضدّها الاحتقار والامتهان باسم فوقيّة الذّكر ودونيّة المرأة، وفي خضمّ هذا التّباين والتّضارب يأتي الخطيب بكلامه هذا ويضمّنه قولًا مضمرًا نابعًا من مساواة الإسلام بين الرّجل والمرأة، ضاربًا كلّ ما تدعو إليه العوالم الغربيّة من حقوق للمرأة باسم الحرّية والانفتاح عرض الحائط.

وفي خطبة "أهميّة النّصيحة وآدابها" يقول الخطيب: **"وجماع الأمر في هذا هو العدل والإنصاف، ورحم الله الإمام أبا عبد الله ابن بطّة حينما تحدّث عن النُّصح وقبول الصّواب من الغير فقال:" واغتمامُك بصوابه – أي: بصواب ناصحك – غشّ فيه وسوء نيّة في المسلمين، فاعلم – يا أخي – أنّ من كره الصّواب من غيره ونصر الخطأ من نفسه لم يؤمن عليه أن يسلبه الله ما علِمه وينسيَه ما ذكره، بل يُخاف عليه أن يسلبه الله إيمانه؛ لأنّ الحقَّ من رسول الله إليك افتُرِض عليك طاعتُه، فمن سمع الحقَّ فأنكره بعد علمه له فهو من المتكبّرين على الله""**[1]، نستنتج من هذا الخطاب أنّ سعود بن إبراهيم الشريم مرّر خطابًا غير مباشر استعان فيه بحجّة جاهزة أولا، ثمّ بلغته الأدبية الجميلة التي قد تجعل المتلقي يستحسنها ظاهرًا، تاركًا له حرّية الاستنتاج والتّأويل؛ حيث قصد من كلامه أنّه على المسلم تقبّل النّصيحة من الطّرف الآخر إذا كانت صائبة وفي محلّها، لأنّه يعدّ من المتكبّرين على الله إذا لم يتقبلها وبقي مصرًا على خطئه.

كما يقول أيضا: **"ولقد أحسن بن قتيبة أيضا وهو يشكو أهل زمانه في القرن الثّالث الهجريّ وما يعانيه من بعض الآبين للنّصح والمستنكفين عنه وما يلاقيه النّاصح في أوساطهم، فيقول – رحمه الله -: "إنّ النّاصح مأجور عند الله، مشكور عند عباده الصّالحين الذين لا يميل بهم هوى ولا تدفعهم عصبيّة ولا يجمعهم على الباطل تحزّب ولا يلفتهم عن استبانة الحقّ حدٌّ، وقد كنّا زمانا نعتذر من الجهل فصرنا الآن نحتاج إلى الاعتذار من العلم، نؤمَل شكر النّاس بالتّنبيه والدّلالة، فصرنا نرضى بالسّلامة، وليس هذا بعجيب مع انقلاب الأحوال، ولا ينكر مع تغيّر الزّمان، وفي الله خلفٌ وهو المستعان""**[2]، نلاحظ من خلال هذا الخطاب الذي اعتمد فيه الخطيب أيضًا على حجّة جاهزة لابن قتيبة، أنّه لا يودّ مواجهة المتلقي مواجهة مباشرة ويخبره بأنّه يعاني هو أيضًا من الرّافضين للنّصيحة، بل والشّامتين منه أحيانًا، وأنّ المسلم لا يجب أن يهتمّ لرفضهم ذلك، لأنّ هدفه من النّصيحة رضا الله وحده لا غير.

لهذا يمكن القول أنّ الأئمة وظّفوا الافتراض المسبق في خطبهم المنبريّة حتى يستطيع الجمهور المتلقي فهم مقاصدهم من خلالها؛ ذلك أنّطبيعة الافتراض المسبق يفرضها الخطيب على جمهوره على أساس المعطيات المعترف بها من قبل، ولا

[1] سعود بن إبراهيم الشريم، خطبة: أهمية النصيحة وآدابها.

[2] المرجع السابق.

يصرّح بها، إلاّ أنّها أساسيّة أثناء التّواصل، بل هي تشكّل خلفيّة ضروريّة لنجاح أية عملية تبليغيّة.

إنّ الأئمة يعتمدون على الافتراضات المسبقة بدرجة كبيرة في خطبهم؛ إذ أنّها تساعدهم على إيصال مقاصدهم التي من أجلها أنتجوا تلفّظهم، لكن وجب عليهم إعادة بناءها كي يتسنّى فهم المعنى الكلّي للخطب، ولكي يصلوا إلى هذه المرحلة وجب عليهم أن يدركوا " أنّ معنى الملفوظ ليس هو القصد الدّال على المتكلّم بالذّات، بل هو المعنى الذي يستخرجه المخاطب من الملفوظ منطلقًا في ذلك من بنيته الدّالة، ومعتمدا على مجموع الكفايات التي يمتلكها هو، ومقدار الكفايات التي يمتلكها المتكلّم وحادسا قصده الدّلالي"[1]، لهذا فإنّ الافتراضات المسبقة موجودة فعليًّا في أيّ خطاب لكنّها غير مقرّرة جهرًا، إلا أنّها تنتج تلقائيا من صياغة القول التي تكون مدونة فيه بشكل جوهري بغضّ النّظر عن خصوصيّة النّطاق التّعبيري الأدائي، وتقول **أوريكيوني** أنّها " المعلومات المدسوسة خفية، أيّ أنّها تكون مزودة بملائمة تواصليّة أقلّ شأنًا من تلك التي تتمتّع بها المعلومات البيّنة، كما أنّها تحتلّ مركزًا أدنى مرتبة داخل البنية الرّقائقية التي يتألّف منها محتوى الأقوال الإجمالي"[2].

2-4-2 الأقوال المضمرة:

تعرّف **أوريكيوني** الأقوال المضمرة بأنّها: "كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث"[3]، لهذا فهي مجال لتأويلات عدّة يُخضعها المتلقي للخطاب الذي يُلقى أمامه، إلّا أنّه لا يمكن له تحديد التّأويل الأدقّ ما لم يضعه في سياقه ومقامه المناسب، والتي من خلالها يكون استنتاج التّأويل صحيحًا.

ففي خطبة "التّداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشّريعة الإسلاميّة" والتي ألقاها الخطيب في ظلّ انتشار وباء كورونا حين اجتاح العالم، اختار فيها الحديث عن الدّواء الرّوحاني الذي إن اتّبعه المسلم استطاع الحدّ من خطورة الوباء، ومنه تحقّق الهدف المرجو وهو الشّفاء. ومن خلال قول الخطيب: **"لقد كان السّلف لقد كان التّابعون يستشفون ويسترقون بالقرآن والصّدقة يرون القرآن خير شفاء؛ إذ أنّه كلام ربّ العالمين ويرون الصّدقة خير وقاء؛ إذ أنّها أفضل ما يتقرّب إلى الله سبحانه وتعالى به إليه ألا وهو ماله وفضله"**[4]، نستنتج أنّ هذا الخطاب يتضمّن

[1] حافظ إسماعيلي علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، ص128.

[2] كاترين كيربرات أريكيوني، المضمر، تر: ريتا خاطر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، ديسمبر 2008م، ص44-45.

[3] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص32.

[4] أحمد بن علي سعود، خطبة: التداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشريعة الإسلامية.

قولًا مضمرًا يتمثّل في عدّة تأويلات يمكن أن تقع في خلد المتلقي بحسب الخلفيّات التي يمتلكها والسّياق الذي قيلت فيه؛ إذ أنّ استحضار الخطيب لتجارب السّلف والتّابعين إنّما هو بدافع التّحلي بما كانوا يتحلّون به ليس فقط من ناحية الاستشفاء والاسترقاء بالدّواء الرّوحاني (القرآن، الصّدقة) فقط، بل فيه دعوة بأن يتحلّى بصدق العقيدة والإيمان الرّاسخ في القلوب، ثمّ يليها الأخذ بأسباب الشّفاء، أي قراءة القرآن والصّدقة حتى يتحقّق الشّفاء، فكيف لشخص يقرأ القرآن ويتصدّق من دون إيمان حقيقي ومن دون حسن ظنّ بالله أن يُشفى؟، هذا عن المسألة الأولى، أمّا المسألة الثّانية فتتعلّق بقراءة القرآن والصّدقة، فالخطيب لم يذكر طريقة القراءة والتّصدق كيف كانت عند السّلف والتّابعين، وترك الأمر مفتوحا للمتلقي، فهل القراءة والتّصدق تكون كما في الأيام العادية أم أنّها ترتبط بطلب الشّفاء؟ وهل حضور النيّة في ذلك ضروريّ أم حتى بغيابها يتحقّق الشّفاء؟ وبالتّالي نلاحظ أنّ هذه الأقوال المضمرة يمكن استنتاجها استنادًا لما يمتلكه المستمع من معارف وخبرات سابقة يوظّفها أثناء الاستماع لما يُلقى عليه من كلام، حتى يتمكّن من فهم المقصديّة الإجمالية للخطاب ككل.

كما وظّف الخطيب محمد راتب النّابلسي الأقوال المضمرة في خطبته "حقوق الطفل في الإسلام " في ظلّ التّهميش الذي يُمارس ضدّ الطفل في الكثير من دول العالم، والتّعسّف والظّلم الذي يلاقيه بعد سلبه لحقوقه، والزجّ به في غياهب وظلمات الحياة وهو في سنّ الزهور، فيقول الخطيب: **"من منّا يصدّق أنّ الإسلام ينشئ للطفل حقًّا على والديه، أو على أبيه إن صحّ التّعبير قبل أن يُولد، على الأب أن يحسن اختيار أمّ الطفل، فهذا أول حقّ يترتّب على الأب قبل أن يكون له ابن، لا يوجد نظام في الأرض أشار إلى هذه النّاحية، حقّ الابن على أبيه أن يُحسن اختيار أمّه "**[1]، ففي هذا الكلام أقوال أضمرها الخطيب تاركًا إيّاها للمتلقي كي يكتشفها، وكأنّي به يقول للأب" اظفر بذات الدّين تربت يداك" أي عليك أيّها الأب أن تختار الأم المناسبة لابنك الذي سيأتي في المستقبل، ولا أنسب له في ذلك إلا الأمّ التي تربّت وتعلّمت أمور دينها وحفظت شرع ربّها، فلا المال ولا الجمال ولا النّسب كافين لتربية الابن تربية سليمة، لهذا فإنّ ذات الدّين هي من يُفضَّل للأب اختيارها.

أمّا القول المضمر الثّاني يتمثّل في أنّ الإسلام دين كامل ومكتمل بدليل اهتمامه بالابن قبل أن يولد، وهذه النّقطة بالذّات استحالة أن نجدها في الشرائع الأخرى، إذن وكأنّنا بالخطيب يريد أن يقول للمتلقين تمسّكوا بدينكم وافتخروا بما جاء فيه من تشريعات، ولا تغترّوا بما ينادي به الآخر من قوانين وشرائع بعيدة عنكم.

---

[1] محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام

كما نجد الخطيب يقول في سياق حق الطفل في الرّضاعة الطّبيعية: " **حتى إنّ كل معمل حليب للأطفال أُلزم أن يكتب لا شيء يعدل حليب الأمّ** "[1]، فهذا القول يمكن تأويله من ناحية أخرى تتمثّل في الإشارة إلى الأضرار الوخيمة التي من المحتمل أن يسببها الحليب الصّناعي للأطفال الرُّضَّع، وهذه المقولة التي أُلزم أن يكتبها معمل الحليب ما هي إلّا شاهد ودليل على ذلك "وشهد شاهد من أهلها"، فاستجلاب الخطيب لهذا القول إنّما هو تحذير مضمر أن: ابتعدوا عن الحليب الصّناعي لأنّه مضرّ لصّحة أبنائكم.

ويقول أيضا في سياق ختامه للخطبة الأولى: " **أيّها الإخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أنّ ملك الموت قد تخطّانا إلى غيرنا، وسيتخطّى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيِّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنّى على الله الأماني، والحمد لله ربّ العالمين**"[2]، ففي هذا الكلام أقوال مضمرة يمكن تأويلها على النّحو الآتي:

-لا تهتمّوا بمحاسبة غيركم على أعمالهم الصّغيرة والكبيرة، واهتمّوا بأنفسكم، لأنّ ربّ العباد وحده من يمكنه محاسبة خلقه.

-عليكم الاستعداد للموت في كلّ لحظة، بل اجعلوا ذلك نصب أعينكم دائمًا.

-لا تتمسّكوا بالدّنيا فإنّها فانية، وتمسّكوا بالدّار الآخرة فإنّها الباقية.

-اعملوا لدنياكم كأنّكم تعيشون أبدًا، واعملوا لآخرتكم كأنّكم تموتون غدًا.

وغيرها من التأويلات الأخرى.

ويقول سعود بن إبراهيم الشريم في خطبة " أهمية النصيحة وآدابها " :" **أيّها النّاس: النُّفرة والتّدابر سمة من سمات المجتمعات المنفكّة، ومعرَّة كبرى تأسف لها قلوب المشفقين من ذوي البصائر، وإنّ قلّة الإنصاف وشيوع المذق لهما معولان من معاول تقويض البناء للصّرح الإسلامي الشّامخ، والنّقد الموجّه والنّصح الهادف الموافقان لمراد الله ورسوله – صلّى الله عليه وسلم – هما لبنتان من لبنات الحصن العزيز للمجتمع المسلم المتكامل الذي تجتمع قلوب بنيه على رعاية الصّالح العامّ الخاضع لرضا الله – جلّ وعلا -، لا رضا الأهواء والشّهوات والأنفس التي ما يُسخط الله لا ما يرضيه... ومن هنا فإنّ لكلّ رامق بعين البصيرة أن يقرّر حكمه على المجتمعات سلبًا وإيجابًا من خلال ما يشاهده في السّلوك العامّ والأنماط التي تخضع للمعايير الآنف ذكرها**"[3].

---

[1] المرجع السابق.

[2] محمد راتب النابلسي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام.

[3] سعود بن إبراهيم الشريم، خطبة: أهمية النصيحة وآدابها.

إنّ السّامع لهذا الكلام يمكن أن يجعل له عدّة تأويلات تنسجم معه نلخصها في الآتي:

-في الاتحاد قوّة وفي التّفرق والتّشتت ضعف.

-العدل والإنصاف من الدّعائم والرّكائز الأساسيّة لبناء مجتمع مسلم قويم.

- لا يقوم المجتمع المسلم المتكامل ما لم يأخذ أفراده بيد بعضهم البعض، فيتناصحون ويوجّهون بعضهم خدمة لأنفسهم، بعيدًا عن نزوات الشّيطان التي تغضب الله تعالى.

- لا يمكن الحكم على المجتمع بالإيجابيّة أو السلبيّة ما لم نخضع سلوكه العامّ لمعايير الدّين الإسلامي.

ويقول أيضا: " **ألا فاتّقوا الله معاشر المسلمين، واعلموا أنّ الأمة لا يزال فيها النّاصح والمنصوح والرادّ والمردود عليه، والحقّ والحكمة ضالّة المؤمن أنّى وجدها أخذ بها، وليس بضاره ما يتّبعُه ما دام قصده الإصلاح ما استطاع، ولقد صدق الله: (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنّما يتّبعون أهواءهم ومن أضلّ ممّن اتّبع هواه بغير هدى مّن الله إنّ الله لا يهدي القوم الظّالمين) {القصص: 50}**"[1].

فبمجرّد سماع الجمهور لهذا الخطاب يستطيع أن يبني له عدّة تأويلات فكأنّ الخطيب يقول لهم: أطيعوا الله، وامتثلوا لأوامره وانتهوا عمّا نهاكم عنه، واسعوا لنيل الحكمة، لأنّ من نالها فقد أوتي خيرًا كثيرًا، واصبروا وصابروا في إتّباع الحقّ وأداء النّصيحة قدر الاستطاعة ولا تنظروا إلى نتيجة ذلك لأنّ الهداية بيد الله وحده.

كما قد وظّف الإمام أحمد طهراوي أقوالا مضمرة في خطبته "المرأة في الإسلام" نذكر منها قوله: "**فاتّقوا الله معاشر المسلمين والمسلمات، فتلك وصيّة الله لكم ولمن سبقكم**"[2]، أي اعبدوا الله ولا تعصوه أبدًا وتمسّكوا بدينكم الإسلام كما تمسّك به من كانوا قبلكم .

ويقول أيضا: "**كما ضمن الإسلام الأهليّة للمرأة في الحقوق الماليّة، مهما كان نصيبها... بل وفوق ذلك جعل الإسلام للمرأة الرّعاية في بيت زوجها، وحمّلها مسؤوليّة رعايته "والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيّتها" "**[3]، وكأنّه يقول للمتلقين: لا تستهينوا بالمرأة وتضيّعوا عليها حقوقها الماليّة التي أقرّها الإسلام لها، خاصّة حقّها في الميراث، كما يجب أن تعترفوا بمكانتها في بيت زوجها، لأنّها ستحاسب إن أهملت رعاية بيته، وماله، وعرضه...

لهذا يمكن القول أنّ القول المضمر مهمّ جدًّا في الكشف عن المقاصد المضمرة في الخطب المنبريّة الدّينيّة، لأنّ الخطيب في أحيان كثيرة يقول كلامًا غير صريح،

---

[1] المرجع السابق.

[2] أحمد طهراوي، خطبة: حقوق الطفل في الإسلام.

[3] المرجع نفسه.

ويترك المتلقي يؤوله استنادًا لخبراته السّابقة والمختلفة، إضافة إلى السّياق الذي تمّت فيه عملية التّلفّظ.

خلاصة الفصل:

وقفنا في هذا الفصل على المقصديّة التي تمنحها الأفعال الكلاميّة المنجزة للخطب المنبريّة الدّينيّة، مسلّطين الضّوء على المقاصد التّواصليّة أثناء عمليّة التّخاطب، وقد توصّلنا إلى النّتائج الآتيّة:

-الفعل الكلامي المنجز في حقيقته مرهون بالخطيب (إمام المسجد)؛ فهو الذي يضفي عليه تفاعلًا وتواصلًا معتمدًا في ذلك على الآليّة التي يختارها في توصيل خطابه، والمقصديّة التّواصليّة التي يهدف من خلالها الإقناع والتّأثير في الجمهور السّامع، فيضمن تسليمهم وإذعانهم لما يريد.

-من بين المقاصد التّواصليّة التي وظّفها الأئمة في خطبهم: المقاصد الإخباريّة، فكلامهم الذي يتوجّهون به إلى المصلين المستمعين سواء أكان مثبتًا أم منفيًا يحمل في طيّاته خبرًا ضمنيًّا، ذو فائدة معيّنة لهم، فإن كانوا على علم به فإنّ غرضه التّذكير والتّنبيه، وإلا فإنّه للإعلام والإفادة والإخبار، المهم أنّه يحمل معنى الفائدة والإفادة للمتلقي السّامع، وهذه الإستراتيجية اتّبعها الأئمة الأربعة في خطبهم كما بيّنا سابقًا.

-تتألّف الأفعال الكلاميّة المنجزة من بنيتين، إحداهما سطحيّة مباشرة تحتوى على مقصديّة موضعيّة وظّف منها الأئمة: النّداء والأمر والاستفهام، والأخرى عميقة تجلّت في المقصديّة الإجماليّة من خلال توظيف الأئمة لـــ: الافتراض المسبق والأقوال المضمرة.

-لقد ساعدت القرائن والإشاريّات بنوعيها (الضّمائر والحروف) في تقوية دعائم الخطب المنبريّة وحافظت على تماسك وانسجام متتالياتها، وهو ما ساعد على إيصال المقاصد التّواصليّة للجمهور السّامع.

خـــــــــــاتمـــــــــــة

خـــــــاتمة:

من النتائج التي توصل إليها البحث:

- للكشـف عـن مقصـديّة الخطـب المنبريّـة الدّينيّـة وجـب الوقـوف عنـد أول عتبـة مـن عتباتهـا المتمثّلـة فـي العنـوان، فقـد يكشـف لنـا عـن بعـض المسـكوت عنـه، ويخبرنـا عـن بعـض المعـالم التـي تقودنـا إليهـا، وهـو مـا لاحظنـاه فـي عنـاوين الخطـب؛ فقـد ضـمّنها الأئمـة وظـائف كـــ: الانفعاليّـة فـي خطبـة حقـوق الطّفـل فـي الإسـلام، والإغرائيّـة فـي التّـداوي مـن الأمـراض والأوبئـة فـي ضـوء الشّـريعة الإسـلاميّة، والمرجعيّـة فـي أهميّـة النّصيحة وآدابها، وكذا الاختزاليّة في خطبة المرأة في الإسلام.

- لا يمكـــن للمتلقـــي فهـــم مقاصـــد الخطيـــب إلا باستحضـــاره للسّـــياق الاجتمـــاعيّ والثّقـافي والـدّيني والسّياسي...السّـائد فـي منطقـة معيّنـة وزمـان معـيّن، لهـذا فـإنّ فهـم أي

خطاب مرتبط بتلك السّياقات المحيطة به والتي من شأنها الكشف عن كثير من الأمور والخفايا المتوارية عن المتلقي.

- لقد أحسن منتجو الخطاب للخطب المنبريّة الأربع اختيار الإشاريّات الزّمانيّة والمكانيّة ووظّفوها وفقًا للمقصد العامّ للخطب والسّياق التلفّظي الخاصّ الذي وردت فيه، فأثناء حديث الخطيب محمد راتب النّابلسي عن حقوق الطّفل في الإسلام، والخطيب أحمد بن علي سعود عن التّداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشّريعة الإسلاميّة، والخطيب سعود بن إبراهيم الشّريم عن أهميّة النّصيحة وآدابها، وكذا الخطيب أحمد طهراوي عن المرأة في الإسلام وجدناهم اختاروا إشاريّات زمانيّة ومكانيّة ساعدتهم على إيصال مقاصدهم إلى جمهورهم السّامع، والتي لولاها لالتبس الأمر ولأُشكل على المتلقي تحديد تلك المقاصد بدقّة.

- وظّف الأئمة الأربعة عدّة آليات حجاجيّة لغويّة وتداوليّة مناسبة للموضوع الذي يتحدّث فيه كلّ منهم؛ هذا لانّ تحديد المقاصد منوط باستثمار تلك الآليّات التي هي في حدّ ذاتها تحمل مقاصد تنسجم مع السّياق التّداولي التّلفّظي الذي قيلت فيه، فعلى سبيل المثال نجد الأئمة يستدعون أدوات التّعليل: لأنّ، لام التّعليل، المفعول لأجله قصد الدّفاع عن قضايا معيّنة تقع كلّها في صالح المتلقي، كدّفاع محمد راتب النّابلسي عن حقوق الطفل التي سنّها الإسلام، ودفاع أحمد طهراوي عن المكانة التي صارت المرأة تحتلها بعد إلغاء الإسلام وتحريمه للكثير من العادات التي كانت تمارس ضدّ المرأة، والتي آثار البعض منها مازالت تعاني منه المرأة حتى في وقتنا الحالي، ودفاع سعود بن إبراهيم الشّريم عن أهميّة النّصيحة وفائدتها لدى المجتمعات، إضافة إلى دفاع أحمد بن علي سعود على قضيّة حاجة المسلم للعلاج بالدّواء الرّوحاني الذي نصّت عليه الشّريعة الإسلاميّة.

- إنّ استحضار الأئمة لأدوات الشّرط: إذا، إنْ، حيثما، في خطبهم المنبريّة إنّما كان لرهن النّتائج بأسبابها وهو ما من شأنه أن يقنع الطّرف الآخر بالقضيّة المدافع عنها، لهذا فهي مساعدة في إبراز المقصديّة الإقناعيّة.

- لقد كان للصّفة بأنواعها أيضًا دورًا بارزًا في إجلاء القصد التّوضيحي الإقناعي، وذلك عن طريق استدعاء الأئمة للنّعت واسم الفاعل واسم المفعول، وتوظيفها حجاجيًّا من أجل التّأثير في المتلقي وضمان إذعانه.

- أمّا عن تحصيل الحاصل فمن الطّبيعي توظيفه في الخطب المنبريّة الدّينيّة من قبل منتجي الخطاب، وذلك لما يحمله من مقاصد تُفهم من سياقه، وهي كثيرة ومتعدّدة.

- للآليّات التّداوليّة (السُّلميّات الحجاجيّة، والرّوابط) أهميّة كبرى في مساعدة المتلقي على إبراز المقاصد لاهتمامها بمبدأ التّدرج في توجيه الحجج المؤديّة لنفس النّتيجة انطلاقًا من الأضعف وصولًا إلى الأقوى، ولما تقوم به الرّوابط من ربط

بين الوحدات الدّلالية وربط بين المقدّمات والنّتائج داخل الخطاب الواحد، إضافة إلى تحقيق أفعال حجاجيّة تجبر المخاطِب على تفسير الملفوظات على أنّها حجج لفائدة نتائج يقصدها المتكلّم، ممّا يضمن الانسجام داخل الخطب المنبريّة الدّينيّة؛ إذْ كان توظيف الأئمة منصبًا على الرّابطين: الفاء، بـــل؛ الفاء لترتيب الحجج وربط النّتائج بالمقدّمات، وبـــــل لأجل الإضراب عن الحكم الأوّل والانتقال للحكم الثّاني.

- يؤسّس المجاز بأنواعه (الاستعارة، التّشبيه، الكناية) لبناء حوار ضمني بين منتجي الخطاب (الأئمة) / وجمهورهم السّامع، فدورهم منوط بإنتاج القول والتّلفّظ به، والجمهور عليه أن يتلقّاه مع مساهمته في إنتاج الدّلالة من خلال قيامه بعمليّة التّأويل، وذلك من أجل إدراك المعاني التي يقصدها المتكلّم بعدوله عن القول الصّريح إلى القول المجازي، وبالتّالي فإنّ الاستعارة والتّشبيه والكناية تعزّز من الجانب التّفاعلي من جهة، ومن جهة أخرى تُعدُّ وسيلة تسلّح بها الأئمة لتقريب مقاصدهم للمتلقين وإقناعهم.

- صحيح أنّ الخطب المنبريّة الدّينيّة لا يمكنها أن تغفل جانب المحسّنات البديعيّة على اعتبار أنّها تدخل في جانب الأسلوب الذي له دور هامٌّ في استمالة المتلقي ولفت انتباهه، كالطّباق والمقابلة والجناس والسّجع، إلّا أنّ الغرض الأساسيّ من توظيفها من قبل الأئمة لم يكن الجانب التّحسيني فحسب بقدر ما كان إثباتًا منهم للدّور الأساسي لها في خدمة المقاصد الإقناعية التي يريدون إيصالها إلى الجمهور السّامع، ومن ثمّ يضمنون إذعانهم واقناعهم بما يدعون إليه.

- تستمدُّ البلاغة الجديدة قوّتها من حسن تفعيلها لآليّات وتقنيّات الحجاج التي أرسى دعائمها الفيلسوف **شاييم بيرلمان** بعد أن حدّد أنّ جميع أنواع الحجاج تهدف إلى حثّ أذهان المخاطَبين على التّأييد والتّعزيز نحو فرضيات أو أطروحات أو اعتقادات وآراء يقترحها المخاطِب من أجل الموافقة عليها، وهو ما قام به منتجو الخطاب في خطبهم المنبريّة الدّينيّة، حيث عمدوا إلى إثبات أطروحاتهم ودفعوا بالمتلقي للموافقة عليها، بل والأكثر من ذلك كانوا قادرين على الاستناد إلى توافقات تتعلّق بقيّمٍ ومراتبَ هرميّةِ وأقوال مرجعيّة عامّة يمثّل استحضارها عنصرًا كافيًّا لتوجيه خيارات الجمهور السّامع كاستدعاء آيات من القرآن الكريم، وبعض المقولات والقصص وهلمّ جرًّا.

- تزخر الخطب المنبريّة الدّينيّة الأربع بالحجج القائمة على الوصل والفصل، لكنّنا ركّزنا على البارز منها فقط، لأنّنا لسنا في مقام التّفصيل فيها، بقدر ما حاولنا الوقوف على وظيفتها في إجلاء وكشف المقاصد الإقناعيّة .

- لقد طغت حجّة السّلطة على جميع حجج الوصل، وليس ذلك بغريب، فالخطب المنبريّة الدّينيّة يكثر فيها هذا النّوع من الحجج بداية بسلطة القرآن الكريم والحديث

النّبوي الشّريف، ثمّ تليها أنوع أخرى من السّلطات التي يعزّز بها الخطيب موقفه وأطروحاته،فيكسب بها المتلقي ويسهل عليه التّأثير فيه، بل وقد يضعه أمام خيارات عديدة تخدم هدفه المرجو من خطابه، كسلطة كبار العلماء والشّخصيات والمؤسّسات، إضافة إلى سلطة إمام المسجد اللّتين تمّ توظيفهما بكثرة في المدونة، وهي في معظمها حجج جاهزة لا يمكن دحضها، وبالتّالي ستكون عاملًا مساعدًا على إجلاء المقاصد.

- دافعُ الأئمة من توظيف حجج الفصل إنّما كان للتمييز والفصل بين المفاهيم، وكشف الحقيقة بعيدًا عن الزّيف والتّلفيق، خاصّة لمّا تكون الموضوعات المختارة نابعة من صميم المجتمع ونظرته القاصرة عن فهم الحقائق المتعلّقة بأمور دينيّة قد يجهلها البعض عن قصد أو من غير قصد، كما قد يرفضها البعض الآخر بدعوى عدم القدرة على تطبيقها في الواقع؛ لهذا نجد أنّ الأئمة حاولوا كشف تلك الحقائق وإيضاحها للمتلقي قدر الإمكان، والدّفع به لفهم مقاصدها الإقناعيّة التي تخوّل له تطبيقها والأخذ بها من دون شوائب تشوبها.

- تعدُّد الآليّات الحجاجيّة سواء اللّغوية أو التّداوليّة أو البلاغيّة الموظّفة في الخطب المنبريّة التي بين أيدينا أمر طبيعي يتماشى مع طبيعة الخطاب نفسه، فهو خطاب مبنيّ على الإقناع والتّأثير في المتلقي وبالتّالي فإنّه لا وصول لمقاصد الأئمة من دونها.

- لا يمكن بأيّ حال من الأحوال إغفال دور الأفعال الكلاميّة في إجلاء المقاصد في الخطب المنبريّة الدّينيّة، ذلك أنّ انجاز أيّ فعل كلاميّ مرتبط بالمقصد الذي حدّده المتكلّم وفقًا للموقف والسّياق...ومن المقاصد التّواصلية التي وجدناها في الخطب: المقصديّة الإخباريّة، والمقصديّة الموضعيّة، والمقصديّة الإجماليّة.

- غالبا ما تُحقّق المقصديّة الإخباريّة فائدة أو إفادة للجمهور السّامع، المهم أن توظيفها ليس اعتباطا من طرف الأئمة، بل لتقرير حقيقة أو نفيها أو للتّذكير أو للتّنبيه...

-لقد كان للمقاصد الموضعيّة التّوجيهيّة أهميّة بارزة في الخطب المنبريّة الدّينيّة الأربع، نظرًا لطبيعة الخطاب في حدّ ذاته، ونظرًا للمقاصد التي يريد الأئمة إيصالها لجمهورهم السّامع، فنجدهم يستدعون النّداء والأمر والاستفهام، أحيانًا لتحقيق أغراضها الحقيقيّة وأحيانا أخرى لتخرج إلى أغراض أخرى ، فنحصل على أمر بغرض النّصح والإرشاد، وأمر للتّهديد والوعيد، وأمر للتّرغيب والتّحبيب، واستفهام يتمّ الإجابة عنه واستفهام إنكاري على سبيل المثال.

- يتمّ الكشف عن المقصديّة الإجماليّة من خلال المعاني غير المباشرة أو المعاني المستلزمة، والتي يمكن أن تتجلّى من خلال الافتراضات المسبقة والأقوال

المضـمرة التـي وظّفهـا الأئمـة فـي خطـبهم مـن أجـل إصـلاح الأمّـة أخلاقيًّـا ودينيًّـا وسلوكيًّا ولكنّ فهمها يبقى رهين قدرات المتلقي في الاستنتاج والتّأويل.

-عمومًـا يبقـى البحـث فـي مقصـديّة الخطـب المنبريّـة الدّينيّـة مفتوحًـا لمـن أراد الاسـتزادة وارتيـاد مجالـه، فخـوض غمـاره مـن زوايـا مختلفـة ربّمـا سـيفتح أفاقًـا أخـرى تكون أعمق وأشمل وأكثر دقّة.

ملاحـــــــــــــــــــــق

الملحق الأول:

عنوان الخطبة	حقوق الطّفل في الإسلام
عناصر الخطبة	1- الإسلام دين عظيم نظم جميع شئون الحياة. 2- حقوق الطّفل في الإسلام. 3- ضرورة الاعتناء بحسن تنشئة الأطفال.
الشيخ	د. محمد راتب النّابلسي

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده، ونستعين به، ونسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلّ له، ومن يضلل فلن تجد له وليّاً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيّته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر.

وأشهد أنّ سيّدنا محمداً - صلّى الله عليه وسلّم - رسول الله، سيّد الخلق والبشر، ما اتّصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللّهم صلِّ وسلم وبارك على سيّدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطّيبين الطّاهرين أُمناء دعوته وقادة ألويته و ارضَ عنّا وعنهم يا ربّ العالمين، اللّهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم، إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشّهوات إلى جنّات القربات.

أيّها الإخوة الكرام، اتّفاقيات كثيرة، كاتّفاقية المرأة، واتّفاقية حقّ الطّفولة، هم يأخذون مشكلاتهم ويعمّمونها على العالم كلّه، والمسلم حينما يتابع أمر دينه، ويرى ما في هذا الدّين العظيم الذي هو وحي السّماء، ومنهج خالق الأرض والسّماء يشعر بألم شديد، لأنّ الذي عندنا يفوق ما عندهم بآلاف المرات، إن في حقوق الإنسان، وإن في حقوق المرأة، وإن في حقوق الطّفل.

اليوم أعرض على مسامعكم بعض ما في هذا الدّين العظيم من حقوق للطّفولة لا يحلم بها الطّرف الآخر، من منّا يصّدق أنّ الإسلام ينشئ للطفل حقاً على والديه، أو على أبيه إن صحّ التّعبير قبل أن يُولد، على الأب أن يحسن اختيار أمّ الطّفل، فهذا أول حقّ يترتّب على الأب قبل أن يكون له ابن، لا يوجد نظام في الأرض أشار إلى هذه النّاحية، حقّ الابن على أبيه أن يحسن اختيار أمه.

في اتّفاقية حقوق الطّفل لا يوجد أبداً إشارة إلى أنّ من حقّه أن يكون ابن أبوين، أربعون بالمئة من الأطفال لقطاء، لا يوجد إشارة بالقانون والاتفاقية إلى أنّ هذا الطّفل من حقّه على مجتمعه أن يكون له أب يعترف به، وأمّ تعتني به، اللّقطاء بحدائق الجامعات في بلد غربي ثلاث مئة وخمسين ألفاً، بينما في بلد كبلدنا المسلم الذي فيه بقيّة مروءة، بقيّة عفّة، أربعون حالة فقط، هذا فضل الدّين، فضل الانضباط، فضل الحياء، فضل العفّة، لنا ميزات لا يعرفها إلا من غادر هذا البلد ؛ تماسك الأسرة، الأب مقدّس.

مرّة حدّثني أخ كريم سافر إلى باريس رأى شابًّا على نهر السّين ساهم الوجه قال له مالك وما تتمنّى؟ قال له أتمنّى أن أقتل أبي، كإنسان مسلم صُعق، لما؟ قال أحبّ فتاة فأخذها منّي، أمّا آباء المسلمين همُّه الأوّل تزويج أولاده، همُّه الأوّل يبيع بيته في دمشق ليسكن خارج دمشق كي يزوّج أولاده، أنا أتمنّى على الأخوة الكرام لا تغفل عن ميزات المسلمين، تتمتّع بتماسك أسري، الأب مقدّس، الأمّ مقدّسة، الأولاد مقدّسون، لذلك أوّل حقّ للطّفل على أبيه أن يحسن اختيار أمّه.

الآن لا يوجد بأيّ اتّفاقية طفولة حقوق للجنين، حقّ الجنين على أمّه أن تُفطر في رمضان، وهو شهر الصّيام، وهو ثاني أكبر عبادة في الإسلام، أن تُفطر إذا كانت حاملًا أو مرضعًا، هذا حقٌّ للجنين كي يستطيع أن ينمو، وكي يستطيع بعد الولادة أن يرضع، إذًا سمح للأم أن تفطر من أجل جنينها إنْ كانت حاملًا، ومن أجل وليدها إن كانت مرضعًا، لذلك يقول النّبي عليه الصّلاة والسّلام: "لا تجني أمّ على ولدها"

(النّسائي وأبو يعلى وأبو نعيم عن طارق المحاربي)

أيّها الإخوة، حينما يؤذى الصّغير يُحاسب عنه الكبير، الآن من تعدّى على الجنين فأسقطه فعليه ديّة، ديّة، شيء بسيط يقول لك عملت كورتاج إجهاض، وكلّ مؤتمرات السّكان تدعو إلى الإجهاض الآمن، يعني تحمل فتاة تذهب إلى مستشفى تطلب عمليّة إجهاض دون أن تُسأل لماذا زنت؟ مثلًا، الإجهاض عندنا ممنوع في الإسلام بل إنّ إسقاط الجنين يُوجب ديّة لأنّه أزهق نفسًا.

أيّها الإخوة، في حياة الصّحابة أنّ امرأة رمت الأخرى بحجر فأصابت بطنها وهي حامل فقتلت ولدها الذي في بطنها، فاختصموا إلى النّبي عليه الصّلاة والسّلام فقضى بديّة للجنين.

لا يوجد بأي اتّفاقية أنّ إنسانًا أساء لامرأة فمات الذي في بطنها عليه ديّة، ديّة قتيل.

أيّها الإخوة، الحامل إذا شربت دواءً فألقت الجنين فعليها الديّة والكفّارة تُدفع إلى ورثة الجنين، الآن الحامل إذا ماتت وفي بطنها جنين ما الذي ينبغي أن نفعله؟ ينبغي أن يُشقَّ بطنها طولًا وأن يُخرج منه الجنين لقوله تعالى: (وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا)**[سورة المائدة الآية: 32]**.

لازلنا والجنين في بطن أمّه؛ حفظ حقّ الجنين في الميراث إن مات والده و هو لم يُولد بعد: الآن مات أبوه ترك أموالًا يا ترى هذا الجنين ذكر أم أنثى؟ لو أنّه أنثى وحيدة تأخذ نصف المال، قال: يُفرض أن تكون أنثى حفظًا لحقّ الجنين، الورثة يقتسمون الإرث على أنّ الذي في بطن الأمّ أنثى لأنّه أعلى نسبة لها، فإذا جاء ذكرًا وزّعوا الفرق على البقيّة، هذا من أحكام توزيع الإرث.

أيّها الإخوة، أمّا السَّقْطُ يُصلّى عليه ويُدعى لوالديه بالمغفرة والرّحمة، أمّا إذا نُفخ فيه الرّوح يُغسّل ويُصلّى عليه، احترامًا للسّقط هكذا جاءت الشّريعة، الآن المولود وُلد أولًا ينبغي أن يحنّك، أن نأتي بتمرة نأخذ قطعة منها نحنّك بها فمه، كي يذوق طعم الحلوّ مع قراءة الفاتحة والإخلاص وما شابه ذلك، ثم يُدعى له بالبركة، الآن أهمّ حقٍّ حقّه في النّسب لذلك قال تعالى:

(ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ) [سورة الأحزاب: 5]. يعني أوّل حقّ للابن أن يعرف من أبوه من أنجبه.

ومنها: عدم الشّك بنسبه أو رفضه: أيّها الإخوة، الطّفل حينما يكون له أب وأمّ مع الحليب يرضع الرّحمة والحبّ للمجتمع، أمّا هذا الذي يقسو على النّاس قسوةً لا حدود لها، هذا الذي يقصف ليدمّر شعوبًا لعلّه لقيط، لعلّه لم يذق طعم الحنان، صدّقوا أيّها الإخوة حدثنا أستاذ في الجامعة قال: لو أنّ الأم أرضعت ابنها بقسوة لكان المولود قاسيًا، يشرب الحنان مع حليب أمّه فإذا كان في المجتمع أربعون بالمئة من المواليد لقطاء أين الرّحمة؟ الآن القويُّ يذبح الضّعيف بالعالم كلّه، والغنيّ يأكل الفقير، لا يوجد رحمة أبدًا، ومن أجل حسم الخلافات جاء الحديث الشّريف: "الولد للفراش" (مسلم عن أبي هريرة).

مادامت زوجتك وهذا فراشك فالذي وُلد هو ابنك، ولو كنت أبيض اللّون وهو أسود، وكأنّ النّبي عليه الصّلاة والسّلام يقول تعلّم علم الوراثة، فحينما وُلد لإنسان غلام أسود عرض بأمّه، فقال النّبي عليه الصّلاة والسّلام: لعلّ ابنك هذا نزعة عرق فخرج لجدٍّ قديمٍ من أجداده.

موضوع الشّك والاتّهام الولد للفراش والذي يرفض ابنه يكفر، كفى كفرًا بامرئ ادّعى نسبًا لا يعرفه، أو جحده، هذا الذي يدعي نسبًا لا يعرفه أو يجحده كان كافرًا، أمّا في العالم الغربي شاب أحبّ فتاة استأذن والده في الزّواج منها، قال له: لا يا بني إنّها أختك وأمّك لا تدري، أبوه كان زير نساء، فلما أحبّ ثانية قال يا أبي هذه فتاة أحببتها، قال له: أيضًا هذه أختك وأمّك لا تدري، الثّالثة كذلك فضجر من أبيه، وشكا إلى أمّه، قالت له: خذ أيًّا شئت أنت لست ابنه وهو لا يدري، هذا العالم الغربيّ نراه قبلة لنا نقلّده، نراه الحضارة.

أيّها الإخوة، والله أحيانًا يخجل الإنسان أن ينتمي لهذه المجتمعات، كفى كفرًا بامرئ ادّعى نسبًا لا يعرفه، أو جحده وإن دقّ كفر، إذا رفضت ابنك، أحيانًا يكون زواج خارج المحكمة يقول ليس ابني، يعرف بماذا يتكلّم أمام القاضي؟ لا يوجد دليل، هذه العقود خارج النّطاق الشّرعي لها مشكلة، إذا قال ليس ابني انتهى الأمر لأنّه لا يوجد دليل.

ومنها: حقّه في الرّضاع: (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ) **[سورة البقرة: 233]**.

على كلّ أمّ أن تُرضع ابنها لأنّ التّدبين هديّة من الله تعالى.

أيّها الإخوة، يُرضعن أولادهنّ صيغة جاءت في معرض الخبر بمعنى الأمر، أيّتها الوالدات أرضعنّ أولادكنّ، لذلك الفرق بين الإرضاع الطّبيعي والصّناعي فرق كبير جدًّا، أكثر الأطفال الذين يرضعون صناعيًّا كحليب البقر يُصابون بآفات قلبية ووعائية حينما يكبرون، لأنّ حليب البقر فيه خمسة أضعاف الحموض الأمينيّة التي في حليب الأمّ تتبدّل نسبه في أثناء الرّضعة الواحدة، يبدأ بأربعين بالمئة دسم وستّين بالمئة ماء، ينتهي بستّين بالمئة دسم أربعين بالمئة ماء، معقّم، بارد في الصّيف دافئ في الشّتاء، فيه مواد حافظة، فيه مواد تمنع التّصاق

الجراثيم بالمعدة، أكثر الأمراض الإنتانيّة بسبب الإرضاع الصّناعي، بالقرآن الكريم: (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ) **[سورة البقرة: 233]**.
حتّى إن كلّ معمل حليب للأطفال أُلزم أن يكتب لا شيء يعدل حليب الأمّ: (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) **[سورة البلد: 10]**. قال ابن عباس: الثّديين هديّة من الله.
العقاب الإلهي للنّساء اللّواتي أبين إرضاع أولادهن ورم خبيث في الثّدي: بالمناسبة أكثر حالات سرطان الثدي تُصاب به نساء أبين إرضاع أولادهنّ من أجل شكلهنّ، فالعقاب الإلهي ورم خبيث في الثّدي، أمّا فطام الابن لا يمكن أن يكون قرارًا من أمّه وحدها ولا من أبيه، قرار مشترك بالأحكام الفقهية.
ولمّا سيّدنا عمر حرس قافلة سمع بكاء طفل فنبّه أمّه، فبكى ثانية نبّه أمّه، فبكى، فغضب: قال: أرضعيه، قالت ما شأنك بنا؟ إنّي أفطمه، قال: ولم؟ قالت لأنّ عمر لا يُعطي العطاء إلّا بعد الفطام، تروي الرّوايات أنّه ضرب جبهته وقال ويحك يا بن الخطاب كم قتلت من أطفال المسلمين؟ وصلّى الفجر في أصحابه لم يفهم أصحابه قراءته من شدّة بكائه، لكنّه دعا فقال يا رب هل قبلت توبتي فأهنئ نفسي أم رددتها فأعزيها؟
ماذا اتّهم نفسه؟ كم قتلت من أطفال المسلمين، لأنّه أعطى التّعويض العائلي على الفطام لا على الولادة، ثم أمر أن يكون التّعويض فور الولادة.
ومنها: أن يحسن الأب اختيار اسم ابنه: حقّه في التّسمي في أمر نبوي أن يحسن الأب اختيار اسم ابنه، لذلك النّبي -عليه الصّلاة والسّلام- غيّر بعض الأسماء واحدة اسمها عاصية قال: بل أنت جميلة، شخص اسمه أصرم قال له: أنت أزرع، غيّر النّبي -عليه الصّلاة والسّلام- الأسماء، من حقّ الابن على أبيه أن يختار له اسم يتباهى به، ثم يُعقُّ له أي يُذبح عقيقة تكريمًا لهذا المولود، ولإشعاره أنّه كبير يُسنُّ أن يُكَنَّى بكنية، يا أبا عمير، طفل صغير يلعب بعصفور، يا أبا عمير ما فعل النّغير؟ تُذبح له عقيقة وتختار له اسمًا حسنًا وتكنه.
أيّها الإخوة، ويُحلق رأسه ويُتصدّق بوزن شعره ذهبًا إكرامًا له ويُغتل الذكر وجوبًا، كلّها أحكام شرعيّة.
ومنها: حقّه في الحضانة: حقّه في الحضانة، الولد يحتاج إلى حنان، إلى عطف، إلى رعاية، والشّريعة قد كفلت له ذلك، حضانته حتى يستقلّ بأمره، يحُفظ ويُوقى من جميع الأضرار والشُّرور، والأمّ هي الحاضنة الأولى، وقد نصّ عليها في التّشريع الإسلاميّ وفي حال السّفر يُختار له أفضل امرأة بعد أمّه كي تكون حاضنة له، هناك ترتيب جاء به الفقهاء الأمّ أولًا، ثمّ أمّهات الأمّ، ثمّ الأب ثمّ أمّهاته، ثمّ الجدّ ثمّ أمّهاته، ثمّ الأخت من أبوين، ثمّ الأخت من أب، ثمّ الأخت من أمّ، ثمّ الخالة، ثمّ العمّة، ثمّ الأقرب فالأقرب.
حقّه في الحضانة امرأة ترعاه، تعتني به، تُحبّه، تقبّله، تشمّه، تضمّه، تطعمه، تنظّفه من حقّه، حدّثني طبيب في شيكاغو أقسم بالله في ليلة واحدة ليلة الأحد هو كان في مستشفى بشيكاغو طبيب إسعاف.

الآن طبيب أطفال كبير في دمشق، قال لي والله خمس عشرة حالة أطفال ضُربوا بآلات حادّة من آبائهم وأمّهاتهم لأنّهم نغّصوا عليهم ليلتهم، فجيء بهم إلى المستشفى، الآن في العالم الغربي الطّفل الصّغير يُضرب يُضغط على الصّفر، تأتي الشّرطة يشتكي على أبيه وأمّه من قسوتهم، من بُعدهم عن الله، من سوء تربيتهم، هذا القانون ليس لنا هذا لغيرنا، أي طفل في أستراليا أو أوربا في صفر أو واحد تأتي الشّرطة يأخذون الأب يحاسبونه، وقد يأخذونه منه لستة أشهر، أطفالنا المسلمون في حفظ، وحماية، ورعاية، وحضانة، وكفالة، والنّبي الكريم قال لأمّ أنت أحقّ به ما لم تنكحِ، إذا تزوجت تأت امرأة أخرى، ما دام أنت غير متزوجة وانفصلت عن زوجك أنت الحاضنة الأولى.

هل تصدّقون أنّ النّبي -عليه الصّلاة والسّلام- استشار طفلًا نفسه، سأله من تريد اختر؟ فاختار الابن أمّه، يعني النّبي -عليه الصّلاة والسّلام- استشار الطّفل بالسّنة السّابعة مع من تحب أن تكون؟ حتى السّابعة من حقّ أمّه حصرًا لكن بعد السّابعة يُستشار، مرة اختار الابن والده، قالت الأمّ للقاضي سله لما اختار والده؟ فسأله القاضي، قال أمّي تأخذني إلى تحفيظ القرآن والمعلّم يضربني، أمّا أبي يدعني ألعب مع الصّبيان، فأمر القاضي أن تكون الأمّ هي الحاضنة.

ومنها: حقّه في النّفقة عليه: حقّ النّفقة عليه، أفضل دينار ينفقه الرّجل دينار ينفقه على عيّاله، أحيانًا يقول النّاس العمل عبادة، أنا أؤمن بهذا الكلام، إذا كان الشّاب اشتغل، وهيّأ مالًا لأولاده، أطعمهم، ألبسهم، أكرمهم، أي جعلهم يحسّون أنّهم في بحبوحة، وفي جنّة عمله هو عبادة، أمّا أب كسول لا يعمل، ما معه شيء دائمًا، فأولاده خرجوا من حاضنته، التصقوا بأصدقائهم الأغنياء، فالإنسان حينما لا ينفق على أولاده يخسرهم، من هنا كان العمل عبادة وقد قال النّبي -عليه الصّلاة والسّلام-: "كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ" (أبو داود عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو).

ومنها: حقّ الطّفل في المساواة بينه وبين إخوته: يطعمه لكن لم ينتبه إلى دينه، ولا إلى إيمانه، ولا إلى أخلاقه، ولا إلى عقيدته، بل إن زكاة الفطر تجب على الصّغير، بل تجب على الجنين في بطن أمّه، والإسلام يهتمّ بمشاعر الصّغار، فأمر بالعدل التّام بين الأولاد، ليس للأب حقّ أن يُقبّل واحدًا دون الآخر، ولا أن يَضحك بوجه واحد دون الآخر، ولا أن يحمل واحدًا دون الآخر، ولا أن يضمَّ واحداً دون الآخر، إلى هذا المستوى، اتّقوا الله واعدلوا بين أولادكم.

ومنها: حقّه في التّربية: له حقّ التّربية، يقول النّبي -عليه الصّلاة والسّلام-: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" (متفق عليه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا).

"مُروا أولادكم بالصّلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرّقوا بينهم في المضاجع" (أحمد والبيهقي والدّار قطني عن عمرو بن شعيب).

هناك أب عاتب ولده لأنّه كان عاقًّا، فقال الولد: يا أبتِ إنّك عققتني صغيرًا فعققتك كبيرًا، وأضعتني وليدًا فأضعتك شيخًا، والجزاء من جنس العمل، حينما ترعى ابنك في الأعمّ الأغلب بقناعتي تسعة وتسعين بالمئة إلّا بحالات نادرة جدًّا يكون ابنك بارًّا بك، وكان النّبي -

عليه الصّلاة والسّلام- يُعلم الصّغار: "احفظ الله يَحْفَظْك احفظ الله تجده اتجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله..." (أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عباس).
وقال: "يا غلام سمِّ الله وكُلْ بيمنك وكل مما يليك" (صحيح عن عمر بن أبي سلمة).
أحيانًا يكون إنسان بدعوة مع أولاده يتلقطون اللّحم فقط، فيُحرج الأب إحراجًا كبيرًا، النّبي -عليه الصّلاة والسّلام- رأى غلامًا تطيش يده في الصّفحة قال له: "يا غلام سمِّ الله وكل بيمنك وكل ممّا يليك"، علّم الطّفل إن علمته تحبّه، إذا ما علمته تكرهه.
ومنها: حقّه في الملاطفة و المداعبة: هناك حقّ آخر عجيب حقّه بالمداعبة والملاطفة، الأقرع بن حابس أبصر النّبي صلّى الله عليه وسلّم يقبل الحسن، فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبّلت واحدًا منهم، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "من لا يَرحم لا يُرحم" (البخاري و مسلم عن أبي هريرة).
أيّها الإخوة، كان النّبي -عليه الصّلاة والسّلام-، ينطلق من مسجده إلى العوالي، يعني بآخر المدينة إلى ظئر إبراهيم مُرضعة ولده ليُقبّله ثم يرجع.
من ينتقل من المهاجرين إلى المخيّم يركب ساعة ونصف، يُقبل ابنه ويرجع هكذا النّبي علّمنا، كان يأخذ الحسن بن علي والحسين فيقعدهما على فخذه يلاعبهما ويحملهما وحمل أمامة بنت زينب في الصّلاة فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها.
مرة أطال السّجود حتى خشي الصّحابة شيء لعل النّبي مات، فرفع واحد رأسه فوجد النّبي يصلّي ساجدًا والولد على ظهره، فلمّا انتهت الصّلاة سألوه وأخبرهم، قال: إنّ ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله، هذا أكبر داعية في الأرض، أعظم نبيّ، أكبر قائد، يرتحله ابن ابنته على ظهره وهو في الصّلاة ليؤخر السّجود إكرامًا له.
أيّها الإخوة، ومنها: حقّه في الحفاظ عليه وعدم لعنه وسبّه والدّعاء عليه، الآن حقّه في الحفاظ عليه وعدم لعنه وسبّه والدّعاء عليه، ممّا يدعو الآباء على أولادهم الله يعدّمني إيّاك، هذا الكلام القاسي لماذا؟ أسمعه كلمة طيّبة ينشأ الطّفل مؤدبًا، ينشئ الطّفل على حبّ، اجعل البيت جنّة، هدئ حالك، كن حليمًا، هذا السّباب والكلام القاسي هذا يقيم شرخًا في العلاقة بين الأب وابنه، لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم، وإذا استجنح اللّيل فكفّوا صبيانكم، بعد وقت محدّد الابن في البيت، يأتي السّاعة الثّانية ما في، بعد وقت محدّد قد يكون العشاء، قد يكون بعد العشاء بساعة الابن في البيت، وإذا استجنح اللّيل فكفّوا صبيانكم.
ومنها: حقّه في العلاج: حقّه في العلاج، لا تعذّبوا صبيانكم، مثلًا بنت يوجد بأسنانها حالة غير صحيحة تحتاج إلى تقويم، لك أجر كبير هذه بنت، صار في جرح فكانت المعالجة غير متقنة تحتاج إلى معالجة متقنة لا يكون في تشويه بوجهها، هذا من واجبات الأب.
ومنها: احترام شخصيّة الصّغير: هناك شيء يكاد لا يُصدّق، احترام شخصيّة الصّغير، طفل يجلس على يمينه وعلى يساره أشياخ كبار صحابة، جاءت الضّيافة، قال له: أتأذن لي يا غلام، أتأذن لي أن أعطيه الأشياخ؟ سيّد الخلق يستأذن طفلًا صغيرًا، قال له: لا والله لا آذن لك، أعطاه إيّاه، في مثل هذه التّربية؟ طفل تستأذنه؟ أحيانًا الأب العاقل يستشير ابنه يمنحه

ثقة، يضع المال بمكان، بابا خذ وسجل حتّى نضبط أمورنا، تعمل ثقة كبيرة بالطّفل، لمّا تمنح ابنك ثقة يمنحك روحه. قال له: أتأذن لي يا غلام أتأذن لي أن أعطيه الأشياخ؟ فقال هذا الغلام ما كنت لآثر بفضلي منك أحدًا يا رسول الله فأعطاه إيّاه.

حقّه في العلاج أن تعالجه، في أمراض بالبداية سهل معالجتها إذا أهملت أصبحت عاهة دائمة بالطّفل.

أيّها الإخوة الكرام، الموضوع طويل لكن نموذج، هذه حقوق الطّفل في الإسلام، أيّ منها حقوق الطّفل في العالم الغربيّ؟ يتّفقون على حقوق، ونُلزم بها، وإذا ما طبّقناها نعاقب، وإذا تحفظنا عليها تقوم الدّنيا ولا تقعد، وعندنا دين من وحي السّماء.

أيّها الإخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزن عليكم، واعلموا أنّ ملك الموت قد تخطّانا إلى غيرنا، وسيتخطّى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنّى على الله الأماني، والحمد لله ربّ العالمين.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمد وعلى صحابته الغرّ الميامين، وعلى آل بيته الطّيبين الطّاهرين.

أيّها الإخوة الكرام، حقيقة أردّدها كثيرًا لم يبقَ في أيدي المسلمين من ورقة رابحة إلّا أولادنا، أولادهم هم المستقبل، لعلّ الله عزّ وجلّ يُعيد مجد هذه الأمّة على يد أولادنا، الأولاد ثروة كبيرة يحتاج المجتمع إلى قادة في المستقبل، قد رُبوا تربيّة صحيحة، رُبوا تربيّة أخلاقيّة، تربيّة إسلاميّة، تربيّة اجتماعيّة، تربيّة نفسيّة، تربيّة علميّة، فيا أيّها الإخوة، قضيّة تربيّة الأولاد هي العمل الأوّل في حياة المسلمين، لأنّ القنبلة الذَّرية نرجو أن نقابلها بقنبلة الذُّرية.

اللّهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولّنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت، فإنّك تقضي بالحقّ، ولا يُقضى عليك، وإنّه لا يذلّ من واليت، ولا يعزّ من عاديت، تباركت ربّنا وتعاليت، ولك الحمد على ما قضيت، نستغفرك ونتوب إليك.

اللّهم اهدنا لصالح الأعمال لا يهدي لصالحها إلا أنت، اللّهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، اللّهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردّنا، واجعل الحياة زادًا لنا من كلّ خير، واجعل الموت راحة لنا من كلّ شرّ، مولانا ربّ العالمين.

اللّهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمّن سواك، اللّهم بفضلك ورحمتك أعلِ كلمة الحقّ والدّين، وانصر الإسلام، وأعزّ المسلمين، انصر المسلمين في كلّ مكان، وفي شتّى بقاع الأرض يا ربّ العالمين، اللّهم أرنا قدرتك بأعدائك يا أكرم الأكرمين.

والحمد لله ربّ العالمين.

الملحق الثاني:

عنوان الخطبة	التّداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشّريعة الإسلاميّة
عناصر الخطبة	1-التّداوي بالقرآن الكريم(كلام ربّ العالمين). 2- الصّدقة وإسداء المعروف دواء للوباء. 3- أهميّة قيام اللّيل في الشّفاء من الأدواء. 4- صلة الرّحم وما لها من أثر البركة على الأرزاق والأبدان. 5- التّداوي بكثرة الصّلاة والسّلام على رسول الله.
الإمام	أحمد بن علي سعود

الخطبة الأولى:

الحمد لله الحمد لله ربّ العالمين نحمده حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا فيه نحمده حمدًا عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، نحمده حمدًا ملء السّموات وملء الأرض وملء كلّ شيء، نشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نتوسّل بها إليه تعالى أن يكتبنا من الذين رضي عنهم ورضوا عنه ونشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله صلّى الله عليه وعلى آله وصحابته والتّابعين لهم بإحسان إلى يوم الدّين.

أمّا بعد إخوة الإيمان أوصيكم ونفسي بتقوى الله العظيم اتّقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون " يَا أَيُّهَا الذِينَ آَمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ " **التوبة/119** " اتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ" **الحج/01-02** اتّقوا الله وقولوا قولًا سديدًا اتّقوا الله ولتنظر نفس ما قدّمت لغدٍ واتّقوا الله إنّ الله خبيرٌ بما تعملون.

إخوة الإيمان إنّ من أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لنا " احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز" (رواه مسلم) ومن الحرص على ما ينفعنا إتمامًا لكلام خطاب الجمعة الماضيّة "التّصدي لهذا الوباء" والتّصدي لهذا المرض والتّصدي لهذه المحنة التي أُبتليت بها البشريّة جمعاء نسأل الله سبحانه وتعالى أن يُعجّل الشّفاء والدّواء

تذاكرنا الجمعة الماضيّة من وسائل التّصدي لهذا الوباء، الحميّة والوقاية والدّواء والعلاج والتّوكل على الله سبحانه وهي وسائل ماديّة جسميّة ووسائل عقديّة دينيّة. ومن الوسائل كذلك لنا خاصّة نحن أهل الإيمان من الوسائل التي نتصدّى بها للأمراض ونتصدّى بها للأوبئة والأسقام والهموم والأزمان والشّدائد، التّداوي بالقرآن الكريم التّداوي بكلام ربّ العالمين التّداوي بسور القرآن وآياته تلاوة وسماعًا واسترقاءً" وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْآَنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا" **الإسراء/82** . القرآن شفاء للقلوب بزوال الجهل والرّيب عنها والقرآن شفاء للأبدان من الأمراض بالرُّقي والتَّعاويذ قال صلّى الله عليه وسلّم:

" من لم يستشف بالقرآن فلا شفاء له شفاء أمتي في آية من كتاب الله أو لعقة عسل أو شرفة محجم" (أورده القرطبي في تفسيره). روى ابن كثير في تفسيره حديث أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت:" قال لي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: يا عائشة إنّ الله أخبرني بدائي وشفائي قالت: كان صلّى الله عليه وسلّم إذا اشتكى قرأ على نفسه الإخلاص والمعوذتين؛ سورة الإخلاص، سورة الفلق، سورة النّاس. قالت: لمّا اشتدَّ وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه بيده رجاء بركتها" (سنن أبي داوود)." يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ"**يونس/57**.

فالقرآن دواء وصفه له تعالى ودعانا النّبي صلّى الله عليه وسلّم إلى العلاج به وما أعظمه وما أعظمه من علاج إذا ضُمَّ إليه ذكر الله تعالى" من شغله القرآن وذكري من مسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي السّائلين"(أخرجه البخاري).

ومن الدّواء كذلك الدّواء بالصَّدقة الدَّواء بإسداء المعروف والصّدقة. لقد وصف تعالى عباده الأبرار قائلًا: " وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا" **الإنسان/08-09** . ماذا كانت النّتيجة من هذا الإطعام ومن هذه الصَّدقة ؟ " فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ اليَوْمِ". إنَّ الذي يقي عباده بالصَّدقة من شرّ وهول وبلاء يوم القيامة لقادر أن يقي عباده من هموم وبلايا أيّام الدُّنيا بالصَّدقة " تداووا بالصَّدقة " هكذا قال صلّى الله عليه وسلّم : " داووا مرضاكم بالصّدقة فإنَّ الصّدقة برهان تُطفئ الخطيئة وتُذهب غضب الرّب وتردُّ البلاء وتدفع ميتة السُّوء "(حسّنه الألباني) " وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا اِبْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّى إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ" **البقرة/271**.

لقد كان السّلف لقد كان التَّابعون يستشفون ويسترقون بالقرآن والصَّدقة يرون القرآن خير شفاء؛ إذ أنَّه كلام ربُّ العالمين ويرون الصَّدقة خير وقاء؛ إذ أنَّها أفضل ما يتقرَّب إلى الله سبحانه وتعالى به إليه ألا وهو ماله وفضله، " فَاقْرَؤُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُواْ الصَّلَاةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُواْ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا" **المزمل/18** تداووا تداووا بالقرآن والصَّدقة.

نسأل الله سبحانه وتعالى العفو والعافية والمعافاة الدَّائمة في الدِّين والدُّنيا والآخرة. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنَّه غفور رحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الحمد لله ربِّ العالمين أشهد أنَّ لا إله إلا الله وليُّ الصَّالحين وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله صلَّى الله عليه وعلى آله وصحابته والتَّابعين له بإحسان إلى يوم الدِّين ثم أمَّا بعد

إذا علمنا أنَّ من التَّصدي للأوبئة والأمراض والأسقام: الاستشفاء بالقرآن والصَّدقة، فإن من الدَّواء كذلك من الدَّواء الرُّوحاني من الدَّواء كذلك قيام اللَّيل الصَّلاة في جوف اللَّيل الصَّلاة والنَّاس نيام. روى التّرمذي من حديث سيدنا بلال رضي الله عنه وأرضاه كذلك أبو أمامة الباهِلِي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: " عليكم بقيام اللَّيل عليكم بقيام اللَّيل فإنَّه دأب الصَّالحين قبلكم وقربة إلى ربّكم ومنهاة عن الإثم وتكفير للسَّيئات ومطردة للدَّاء عن الجسد "(أخرجه السيوطي)، وهذا هو محل الشَّاهد "ومطردة" قيام اللَّيل

مطردة للدَّاء عن الجسد " تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ " **السّجدة/16-17**. وقرّة العين في الدُّنيا السَّلامة والصِّحة والعافية.

قيام اللَّيل قيام اللَّيل شفاء لأنَّه حال القرب من الله. عن عمرو بن عبسة قال:" قلت يا رسول الله أيّ السَّاعات أفضل ؟ قال: جوف اللَّيل الأخير.أقرب ما يكون الرَّب من العبد أجوبه دعوة. فإن استطعت أن تكون ممَّن يذكر الله في تلك السَّاعة فكن "(ذكره الخطابي)"إنَّهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون " **الذاريات/16-17**.

هذه أدوية ثلاث : القرآن وقيام اللَّيل أفضل العبادات لأنَّها أو لأنَّهما تقرُّب من الله بأحبِّ الطَّاعات إليه. والصَّدقة قرب من عباد الله بمال الله. فعليكم بالقرآن وعليكم بقيام اللَّيل وعليكم بالصَّدقة " إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَا مِنْ ثُلُثَيْ اللَّيْلِ وَنِصْفِهِ وَثُلُثِهِ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ القُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَاقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُواْ الصَّلَاةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُواْ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا " **المزمل/18**.

وما أجمل إذا أضيف إلى التَّداوي بالقرآن والتَّداوي بقيام اللَّيل والتَّداوي بالصَّدقة، ما أفضل إذا أضيف إلى هذا كلِّه التَّداوي بصلة الأرحام؛ التَّداوي التَّداوي التَّداوي التَّداوي التَّداوي التَّداوي بصلة الأرحام. من أحبَّ أ يبسط له في رزقه ويُمدَّ في أجله فليصل رحمه. وما أجمل إذا أضيف إلى ذلك كثرة الصَّلاة والسَّلام على رسول الله . أُبَيْ بن كعب رضي الله عنه الذي سأل النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم عن كثرة الصَّلاة والسَّلام عليه قال له:" إذن تكفى همك ويغفر ذنبك"(رواه الترمذي) تُكفىَ همُّك ويُغفر ذنبُك.

القرآن، قيام اللَّيل، الصَّدقة، صلة الأرحام، كثرة الصَّلاة والسَّلام على رسول الله " إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا " **الأحزاب/56**

اللّهم صلّ وسلّم على سيّدنا محمد وآله. اللّهم أهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت وتولّنا فيمن توليت وبارك لنا فيما أعطيت وقنا واصرف عنا ما قضيت. اللّهم إنَّا نسألك العفو والعافية والمعافاة الدَّائمة في الدِّين والدُّنيا والآخرة والفوز بالجنَّة والنَّجاة من النَّار. اللَّهم إنَّا نسألك الدَّواء والشِّفاء وأن ترفع عنَّا البلاء والوعكاء والوعثاء يا ربَّ العالمين. اللَّهم انصر الإسلام وأعزَّ المسلمين. اللَّهم جنِّبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن. اللَّهم إنَّا نسألك الجنَّة وما يقرِّب إليها من قول أو عمل ونعوذ بك من النَّار وما يقرِّب إليها من قول أو عمل. عباد الله إنَّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغيّ يعظكم لعلَّكم تذَّكرون ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون . سبحان ربِّك ربِّ العزَّة عمَّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربِّ العالمين .

الملحق الثالث:

عنوان الخطبة	أهميّة النّصيحة وآدابها
عناصر الخطبة	1- أهميّة النّصيحة ودورها في بناء المجتمع. 2- خطورة الإعراض عن النّصيحة وعدم قبولها. 3- آداب النّصيحة. 4- الدّين النّصيحة
الشيخ	الشيخ الدكتور: سعود بن إبراهيم الشّريم

الخطبة الأولى:

أمّا بعد: فأوصيكم -أيّها النّاس- ونفسي بتقوى الله –سبحانه-، فهي للنّفس زِمام، وللهوَى خِطام، وللشّهوات والملذّات فِطام؛ (فَاتَّقُواْ اللَّهَ يا أُوْلِى الأَلْبَـابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)**[المائدة:100]**.

أيّها النّاس: النُّفرة والتّدابر سِمةٌ من سِمات المجتمعاتِ المنفكَّة، ومعرَّةٌ كبرى تأسَف لها قلوبُ المشفقين من ذوي البصائر، وإنّ قلّةَ الإنصاف وشيوعَ المذَق لهما معوَلان من معاوِل تقويض البِناء للصَّرح الإسلاميّ الشّامخ، والنّقدُ الموجَّه والنّصح الهادِف الموافقان لمرادِ الله ورسولِه -صلّى الله عليه وسلّم- هما لبِنتان من لبِنات الحِصنِ العزيز للمجتمَع المسلِم المتكامِل الذي تجتمع قلوبُ بنيه على رعايةِ الصّالح العامّ الخاضع لرضا الله -جلّ وعلا-، لا رضا الأهواءِ والشّهوات والأنفس التي تألَف ما يُسخِط الله لا ما يرضيه.

ومِن هنا فإنّ لكلّ رامقٍ بعَين البصيرة أن يقرّر حكمَه على المجتمعاتِ سلبًا وإيجابًا مِن خلال ما يشاهِده في السّلوك العامّ والأنماط التي تخضَع للمعايير الآنفِ ذكرُها.

ألا إنّ الفرقَ واضح والبَون شاسع بين مجتمَع تغشاه النّصيحة على قبولٍ وترحاب وبين مجتمعٍ آخر يجعل أصابعَه في آذانه ويستغشِي ثيابَه ويُصرّ ويستكبرُ استكبارًا؛ (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّـالِحَـاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ)**[ص:28]**.

أيّها المسلمون: لقد كانت مبايعةُ الصّحابة -رضوان الله عليهم- للنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قائمةً على ركائزَ عُظمى ومقرراتٍ جليلة؛ كان من أهمِّها: بذلُ النّصح للمسلمين والإشفاقُ عليهم، والحِرص لهم؛ ففي الصّحيحين من حديث جرير بن عبد الله -رضي الله تعالى عنه- قال: "بايعتُ النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- على إقامِ الصّلاة وإيتاء الزّكاة والنّصحِ لكلّ مسلم".

النّصيحة -عبادَ الله- كلمةٌ يُعبّر بها عن جملةٍ هي إرادةُ الخير للمنصوحِ له، وأصلُ النّصح هو الخُلوص والصّفاء والصّدق وعدمُ الغشّ، ولذا كان لِزامًا على كلّ مجتمعٍ مسلم أن يجعلَ لهذه الشّعيرة محلًا واسعًا في حياتِه اليوميّة واهتمامًا بالغًا لا يقلّ مستوًى عن الاهتمام بالجوانب الصّحيّة والجوانبِ الأمنيّة والجوانبِ المعيشيّة.

والحقُّ الذي لا غبارَ عليه أنّه لا خيرَ في مجتمعٍ أفئدةُ بنِيه في التّناصح هواء، ولا خيرَ في مجتمعٍ آذان ذويه كالأقماعِ يدخل النّصحُ مع اليُمنَى فلا يلبَث أن يخرجَ مع اليُسرى.

إنّ استنكافَ المجتمعات والأفراد عن بذلِ النّصح والتّقويمِ لهو سببٌ للعوَج والتّيه في الدّنيا والعقوبةِ والمقتِ من ربّ العالمين في الآخرة؛ (لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا للَّهِ وَلاَ الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعًا)**[النساء:172].**

إنّ اللّجاجةَ والنّفرةَ من أصواتِ النّاصحين المخلصين ليُعدُّ طبعًا لئيمًا مِن طبائع أعداءِ الأنبياء وخصومِهم، وهو فتوقٌ لا يرقّعه أيّ رتوق لا يكون مصدَره النّصح لله ولرسوله -صلّى الله عليه وسلّم-، ولذا قال الله تعالى عن ثمودَ عليه السّلام: (فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ)**[الأعراف:79].**

إنّ النّصحَ بين المسلمين، أفرادًا ومجتمعًا ليعدُّ أمارةً من أماراتِ الاهتمام بالصّلاح والإصلاح، وبإحياء الشّعيرة المفروضةِ شعيرةِ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر في واقعِ حياتِهم وبيانِ حجّة أهل السنّة والجماعة وجهادهم لنصرةِ الحقّ بالقلم واللّسان؛ كما قد كانت النُّصرة كرّاتٍ ومرّات بالسّيف والسّنان، ولا أقلَّ من ذلك على وجهِ فرض الكفاية، فضلًا عن خطورةِ إهمال هذا الباب والوقوع في مغبّة مجانبته، ومن ثمَّ الاتّصاف بما حذّر منه النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- بقوله: "من لا يهتمّ بأمر المسلمين فليسَ منهم"(رواه الطبراني).

النّصح -أيّها المسلمون- ينبغي أن يقومَ على آدابٍ جُلَّى وسِماتٍ غُداف، تجعل الحقَّ من خلاله مقبولًا والنّصحَ بين النّاس منشورًا وبَاذلَه والمتسبّب فيه مأجورًا غيرَ مأزور.

فينبغي للنّاصح أن يقومَ بالنّية الخالصةِ لله، وإلّا كان نفاقًا ورياءً، كما ينبغي أن ينطلقَ نصحه من بابِ المحبّة والإشفاق بالآخرين، فهو أحرَى لأن يباركَ الله فيه ويبلغَ به المقصود، وقد قال الفضيل -رحمه الله-: "الحبُّ أفضل من الخَوف، ألا ترى إذا كان لك عبدان مملوكان أحدُهما يحبّك والآخر يخافك، فالذي يحبّك منهما ينصحُك شاهدًا كنتَ أو غائبًا لحبّه إيّاك، والذي يخافك عسَى أن ينصحَك إذا شهدتَ لِما يخافك، ويغشّك إذا غبتَ عنه ولا ينصحُك".

يضاف إلى ذلك -عبادَ الله- الصدقُ في النّصيحة والسّتر وإرادة الإصلاح، لا إظهار الشّماتة والتّعيير؛ لأنّ السّترَ في النّصح من سماتِ المؤمن الصّادق، فإنّ المؤمنَ يستر وينصَح، والفاجر يهتِك ويُعيّر.

كما ينبغي للنّاصح أن يصابرَ ويجاهدَ نفسَه على تحمُّل أعباءِ هذا المَيدان وما قد يناله فيه من صُوَر الشّماتة والاستكبار، ولقد أحسنَ ابن القيّم -رحمه الله- حينَ قال: "فالسّعيدُ الرّابح من عامَل الله فيهم ولم يعامِلهم في الله، وخاف الله فيهم ولم يخَفهم في الله، وأرضى الله بسخَطهم ولم يرضِهم بسخطِ الله, وراقَب اللهَ فيهم ولم يراقبهم في الله".

ثمّ اعلموا -يا رعاكم الله- أنّه لا يضرّ المرءَ ما يلاقيه ممّن يشرَقون بالنّصح ويتأفّفون بالتّوجيه والإرشاد ويهوّشون ويشوّشون بادّعاء الكمالِ الزائِف الذي يستنِكرون بسببه نصحَ النّاصحين، بل يعدّونه ضربًا من ضروبِ التّعيير والتدخّل فيما لا يعني، ويا لله ما اعتذارُ المرءِ إذا عُدَّت محاسِنُه التي يدلِي بها ذنوبًا وعُدوانًا؟!

إنّ المسلمَ إذا نظرَ بعين الصّدق والتجرُّد والإنصاف وجعَل طلبَ الحقّ هو الدّيدنَ لقَبِل ما يُوجَّه إليه من نصحٍ ونقدٍ في الحقّ، ولعلِم أنّ الأمةَ الإسلامية لا تقوم إلا بالتّناصح الجادِّ وبقولِها للمصيب: "أصبتَ" وللمخطئ: "أخطأتَ"، وأن لا يكونَ للسّخط والشنآن أو المودّة والقُربى تأثيرٌ في الميزان، وإنّما يكون العدلُ وحدَه في الغضَب والرّضا والمودّة والعداوة كما قال الباري -جلّ شأنه-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء للَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ)[**النساء:135**]، وكقوله –سبحانه-: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ للَّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)[**المائدة:8**].

وإنّه لَيُعلم مِن هذا -عبادَ الله- أنّ عينَ الرّضا قد تكلّ عن كلّ عيبٍ، كما أنّ عينَ السّخط لا تُبدِي إلّا المساوئ، وأنّ المرء قد ينظر بعينِ عداوةٍ لو أنّها عينُ الرّضا لاستحسنَ ما استقبَح.

وجِماع الأمرِ في هذا هو العدلُ والإنصاف، ورحِم الله الإمامَ أبا عبد الله ابن بطّة حينما تحدّث عن النّصح وقبولِ الصّواب من الغير فقال: "واغتمامُك بصوابِه -أي: بصوابِ ناصحك- غشٌّ فيه وسوء نيّة في المسلمين، فاعلم -يا أخي- أنّ من كرِه الصّوابَ من غيرِه ونصَر الخطأ من نفسِه لم يؤمَن عليه أن يسلبَه الله ما علِمه وينسيَه ما ذكره، بل يُخاف عليه أن يسلبَه الله إيمانَه؛ لأنّ الحقَّ من رسول الله إليك افتُرِض عليك طاعتُه، فمن سمِع الحقَّ فأنكرَه بعد عِلمه له فهو من المتكبّرين على الله" انتهى كلامه -رحمه الله-.

ولقد أحسنَ ابن قتيبةَ أيضًا وهو يشكو أهلَ زمانه في القرنِ الثّالث الهجريّ وما يعانيه من بَعض الآبين للنّصح والمستنكفين عنه وما يلاقيه النّاصحُ في أوساطهم، فيقول -رحمه الله-: "إنّ النّاصحَ مأجور عند الله، مشكورٌ عند عبادِهِ الصّالحين الذين لا يميل بهم هوًى ولا تدفعهم عصبيّة ولا يجمعهم على الباطل تحزّبٌ ولا يلفتهم عن استبانةِ الحقّ حدٌّ، وقد كنّا زمانًا نعتذِر مِن الجهلِ فصِرنا الآن نحتاج إلى الاعتذار من العلم، نؤمّل شكرَ النّاس بالتّنبيه والدّلالة، فصرنا نرضَى بالسّلامة، وليس هذا بعجيبٍ مع انقلابِ الأحوال، ولا ينكَر مع تغيّر الزّمان، وفي الله خلفٌ وهو المستعان" انتهى كلامه -رحمه الله-.

فلا إله إلا الله، ما أشبهَ اللّيلةَ بالبارحة واليومَ بالأمس، وها هو التّاريخ يعيد نفسَه.

ألا فاتّقوا الله معاشرَ المسلمين، واعلَموا أنّ الأمةَ لا يزال فيها النّاصح والمنصوحُ والرادُّ والمردود عليه، والحقّ والحكمة ضالّة المؤمِن أنّى وجدَها أخذَ بها، وليس بضاره ما يتبعُه ما دام قصدُه الإصلاحَ ما استطاع، ولقد صدق الله: (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)[**القصص:50**].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعني وإيّاكم بما فيه من الآيات والذّكر الحكيم، قد قلت ما قلت، إن صوابًا فمن الله، وإن خطأ فمن نفسي والشّيطان، وأستغفر الله إنّه كان غفّارًا.

الخطبة الثانية:

الحمد لله وحدَه، والصّلاة والسّلام على من لا نبيّ بعده، وبعد:

فيا أيّها النّاس: لقد جاءت عباراتُ النبيّ -صلى الله عليه وسلم- حثيثةً في جوامعِ كلِمٍ هي قليلةٌ في المبنى، ولكنّها عظيمة المعنى، حيث يقول النبيّ -صلى الله عليه وسلم- : "الدّين النّصيحة" قالها ثلاثًا، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: "لله ولكتابِه ولرسوله ولأئمّةِ المسلمين وعامّتهم"(رواه مسلم).

قال النوّويّ -رحمه الله-: "هذا حديثٌ عظيم الشّأن، وعليه مدارُ الإسلام، وأمّا ما قاله جماعاتٌ من العلماءِ أنّه أحدُ أرباع الإسلام -أي: أحدُ الأحاديث الأربعة التي تجمَع أمورّ الإسلام- فليسَ كما قالوه، بل المدارُ على هذا وحدَه".

فالواجب على العاقلِ -عبادَ الله- لزومُ النّصيحةِ للمسلمين كافّة، وتركُ الخيانةِ لهم بالإضمار والقول والفعل معًا، وخيرُ النّاس أشدُّهم مبالغةً في النّصيحة، كما أنّ خيرَ الأعمال أحمدُها عاقبةً وأحسنها إخلاصًا، وضربُ النّاصح خيرٌ من تحيّة الشانِئ، ولا يمنَع من التّمادي في النّصح والإكثارِ فيه عدمُ القبول مِن المخالِف أو عدمُ رضاه؛ لأنّ العبدَ المسلم مأمورٌ بالتماسِ رضا الله وحدَه ولو كان بسخطِ النّاس، فلقد كتَب معاوية -رضي الله عنه- إلى عائشةَ -رضي الله تعالى عنها- أن اكتبي إليّ كتابًا توصِيني فيه ولا تكثِري عليّ، فكتبَت عائشة إلى معاوية: سلامٌ عليك، أمّا بعد: فإنّي سمعت رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- يقول: "مَن التمسَ رضا الله بسخَط النّاس كفاه الله مؤونةَ النّاس، ومن التمَس رضا النّاس بسخَط الله وكَلَه الله إلى النّاس"(رواه التّرمذي).

ولأجل ذا كان النّاصح العاقلُ -عبادَ الله- مَن مقالُ حالِه ساعةَ يتصدّى للنّصح والإرشاد: (لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا)**[الإنسان:9-10]**.

يقول ابن القيّم -رحمه الله-: "إذا رُزق العقلُ الغريزيّ عقلًا إيمانيًّا مستفادًا من مشكاةِ النّبوّة، لا عقلًا معيشيًّا نفاقيًّا يظنّ أربابُه أنّهم على شيء، ألا إنّهم هم الكاذبون، فإنّهم يرونَ العقلَ أن يُرضوا النّاسَ على طبقاتِهم ويسالِموهم ويستجلِبوا مودّتهم ومحبّتهم، وهذا مع أنّه لا سبيلَ إليه فهو إيثارٌ للرّاحة والدّعَة ومؤونةِ الأذى في الله والمحبّة فيه والبُغض فيه، وهو إن كان أسلمَ في العاجلةِ فهو الهَلك في الآجلة، فإنّه ما ذاق طعمَ الإيمان من لم يحبَّ في الله ويبغِض فيه، فالعقلُ كلّ العقل ما أوصَل إلى رضا الله ورسوله" انتهى كلامه -رحمه الله-.

ولقد صدق الله -جلّ وعلا- إذ يقول: (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[النحل:125]، وقال: (فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)**[فصلت:34]**.

هذا وصلّوا -رحمكم الله- على خير البريّة وأزكى البشريّة محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحبِ الحوض والشّفاعة، فقد أمركم الله بأمرٍ بدأ فيه بنفسه، وثنّى بملائكتِه المسبّحة بقدسه، وحثّكم على ذلك أيّها المؤمنون؛ فقال -جلّ وعلا-: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا)**[الأحزاب:56]**؛ اللّهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنّك حميد مجيد...

الملحق الرابع:

عنوان الخطبة	المرأة في الإسلام
عناصر الخطبة	1-طلب العلم وحبّ العمل. 2-حفاظ الشّعوب والأمم على ماضيها المشرق 3-الصّناعات التّقليديّة سبيل نحو التّقدم. 4-استغلال التّكنولوجيا من أجل الازدهار و التّطور.
الكاتبة	الإمام طهراوي أحمد

الخطبة الأولى:

(الحَمْدُ لِلهِ الَّذِي جّعَل الظُّلُمَاتِ وَالنُّور ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) **[الأنعام: 1]**، وأشهد أنّ لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الحكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) **[القصص:88].**

وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، وخيرته من خلقه، اللّهم صلّ وسلّم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارض اللّهم عن أصحابه وآله وأزواجه أمّهات المؤمنين، ومن تبعهم وسار على نهجهم إلى يوم الدّين، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أمّا بعد: فاتّقوا الله معاشر المسلمين والمسلمات، فتلك وصيَّة الله لكم ولمن سبقكم، (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اِتَّقُواْ اللهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللهُ غَنِيًّا حَمِيدًا) **[النساء: 131]**.

أيّها الإخوة المؤمنون: لا عجب أن يكثر الحديث عن المرأة، فهي تمثّل نصف المجتمع أو تزيد، وهي الأمّ والبنت والزّوج والأخت، هي قمّة شمّاء، وصخرة صمّاء، إذا صلحت واستقامت تحطّمت على أسوارها المنيعة مكائد الكائدين، وهي نافذة واسعة، وبوابة مشرعة للفساد إذا خلص إليها المغرضون، أمر الله لهنّ بحسن العشرة في محكم التّنزيل فقال: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تكرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) **[النساء:19]**. وأوصى النّبي – صلّى الله عليه وسلّم- بهنَّ خيرًا وقال : " استوصوا بالنساء خيرا" متّفق عليه.

ونزل القرآن الكريم معليًا شأنهنَّ، ومؤكدًا حقوقهنَّ، من مثل قوله تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمَ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْض) **[آل عمران: 195].**

بل نزلت سورة كاملة من القرآن تحمل اسمهنَّ، وتُعالج قضاياهنَّ.

ومع ذلك كلّه؛ فهنَّ موضع للفتنة، وأوّل فتنة بني إسرائيل كانت في النّساء، وخاف النّبي- صلّى الله عليه وسلّم- على أمّته من النّساء فقال: " ما تركت بعدي فتنة أضرّ على الرّجال من النّساء" صحيح الجامع.

لا عجب –والحالة تلك- أن يكثر الحديث عنهنّ، وأن توضح الصّورة المتميّزة التي حدّدها الشّرع لهنَّ، ولا عجب أن يكثر الحديث عن المرأة في زمن كثرت أصوات النّاعقين، وامتلأت الأجواء ضجيجًا وزورًا وباطلًا باسمهنّ، ومخادعة لهنّ.

أيّها المؤمنون والمؤمنات على طريق العلم والمعرفة وحيث سبق الحديث عن نماذج من امتهان المرأة في الجاهليّات الأولى، وما كانت تلاقيه من مسخ وخسف وذلة ومهانة، أعرض لكم اليوم شيئًا من عناية الإسلام بالمرأة وبيان مكانتها الحقيقية في شرع الله، وبضدّها تتميّز الأشياء، وأعتذر لكم سلفًا عن الاختصار بما يقتضيه المقام، ومن رام التّفصيل فدونه مطوّلات الكتب، ومؤلفات أهل الإسلام ففيها الإيضاح والبيان.

أولا: يقرّر الإسلام ابتداء وحدة الأصل بين الذّكر والأنثى، وأنّ المرأة كالرّجل في الإنسانية سواء بسواء، ويقول تعالى في محكم التّنزيل: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) **[النساء:1]**، ويقول –صلّى الله عليه وسلّم-: " إنّما النّساء شقائق الرّجال" أحمد وأبو داوود والترمذي وصححه الألباني.

ثانيا: كما ساوى الإسلام في تكليفها بالعبادات مع الرّجل، فلها ثواب الطّاعة إن عملتها، وعليها عقوبة المعصية إن وقعت فيها.

ثالثا: حرّم الإسلام التّشاؤم بالمرأة والحزن لولادتها كما كان شائعًا عند العرب فقال تعالى:(وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) إلى قوله تعالى: (أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) **[النحل:58-59]**، كما حرّم وأدها وشنّع على ذلك فقال:(وَإِذَا المَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) **[التكوير:8-9]**، وقال تعالى:(قَدْ خَسِرَ الذِينَ قَتَلُواْ أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) **[الأنعام:140].**

رابعا: كما ضمن الإسلام الأهلية للمرأة في الحقوق الماليّة، مهما كان نصيبها، قال تعالى: (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا) **[النساء:7]**.

بل فوق ذلك جعل الإسلام للمرأة الرّعاية في بيت زوجها، وحمّلها مسؤوليّة رعايتها:" والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها" متفق عليه.

فأين ذلك من بعض تشريعات البشر وقوانينها التي تعتبر المرأة مع الصّغير والمجنون محجورًا عليهم؟ كما في القانون الرّوماني والفرنسي سابقا!.

خامسا: واعتنى الإسلام بتعليم المرأة، وقال لها وللرّجل:(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)**[الزمر:9].**

وخصّ الرّسول- صلّى الله عليه وسلّم- للنّساء يوما يعلمهنّ ممّا علّمه الله، وكنَّ خير معينات على العلم والتّعليم، ففي الصّحيحين عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه- قال: جاءت امرأة إلى رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم- فقالت: يا رسول الله ذهب الرّجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه تُعلّمنا ممّا علّمك الله، فقال: " اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا"، فاجتمعن فأتاهنّ فعلمنهنّ ممّا علّمه الله.

وأفلح تعليم المرأة المسلمة في عصور الإسلام الزّاهية فكانت نوابغ النّساء في كافة الفنون، تشهد بذلك مدوّنات الإسلام، ويفتخر عدد من الرّجال بمشيخة عدد من النّساء، مع كمال الحشمة والعفّة والوقار، وظلّت المرأة المسلمة نموذجا يُحتذى في العلم والفقه والعزّة بالإسلام، لا في عصر النّبوة فحسب؛ بل فيما تلاها من القرون أيضا.

وإذا تجاوزنا أمثال عائشة – رضي الله عنها- نموذج العلم والفقه الأوّل، فهذه بنت سعيد بن المسيّب رحمهما الله، حين دخل بها زوجها وكان من طلبة والدها، وأصبح أخذ رداءه يريد أن يخرج قالت له زوجه- بنت سعيد -: إلى أين تريد؟ قال: إلى مجلس سعيد أتعلّم العلم، فقالت له: أجلس أعلّمك علم سعيد.

وهذه أمّ الشّافعي –رحمهما الله- كانت باتّفاق النّقلة من العابدات القانتات، ومن أذكى الخلق فطرة، شهدت مع أمّ بشر المريسي بمكّة عند القاضي، فأراد أن يفرّق بينهما ليسألهما منفردتين عمّا شهدتا به استفسارا، فاعترضت عليه أمّ الشّافعي وقالت: أيّها القاضي، ليس لك ذلك؛ لأنّ الله يقول:(أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى) **[البقرة:282]**، فلم يفرّق بينهما.

تلك نماذج – وغيرها كثير- تفاخر بها المرأة المسلمة، ويعترف بها غير المسلمين، وهذا "غوستاف لوبون" صاحب حضارة العرب، يذكر أنّه كثر في العهد العبّاسي في المشرق، وفي ظلّ الأمويين في الأندلس اللّواتي اشتهرن بمعارفهن العلميّة والأدبيّة و...ذلك من الأدلة على أهميّة النّساء أيّام نضارة حضارة العرب فهل تُعيد المرأة المعاصرة تاريخ ومجد أسلافها من المؤمنات العاملات؟ ليس ذلك على الله بعزيز...

هذه عناية الإسلام بالبنت حتى تغادر البيت معزّزة مكرّمة، فأين هذا من الحضارة المزعومة المعاصرة التي ترمي بالبنت في قارعة الطّريق لتبحث عن مأوى آخر، وتهيم على وجهها في صحراء مهلكة، تحيط بها الذّئاب من كل جانب؟.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيّكم أحسن عملًا، وجعل اللّيل والنّهار خلفة لمن أراد أن يذّكر أو أراد شُكورًا، وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له يهبُ لمن يشاء إناثا ويهبُ لمن يشاء الذّكور، أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيمًا إنّه عليم قدير.

وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله علّم النّاس الخير ودعاهم إليه، وبيّن لهم الشّر وحذّرهم منه، اللّهم صلّ وسلّم عليه وعلى سائر النّبيين والمرسلين وعلى الآل والأصحاب والتّابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين.

أيّها المسلمون والمسلمات: لا تقف عناية الإسلام بالمرأة عند هذه الحدود السّابقة، بل يأمر الإسلام بإكرام المرأة أمًّا، وبنتًا، وزوجةً، وأختًا، وعمّة، وخالةً، منذ ولادتها وحتّى مماتها.

فعندما تكون بنتًا ضعيفة لا حول لها ولا طول يأمر أباها وأمّها وبحسن رعايتها وتوفير حاجاتها، ويترتّب على ذلك من الأجر والمثوبة ما يدفع للخدمة والرّعاية دون ضجر أو ملل، ويقول – صلّى الله عليه وسلّم- فيما يقول: " من وُلدت له أنثى فلم يئدها ولم يُؤثر ولده – يعني الذّكر- عليها أدخله الله بها الجنّة" رواه الحاكم وصحّحه و وافقه الذّهبي.

وفي الحديث الآخر:" من كنّ له ثلاث بنات فصبر على إيوائهن وضرّائهن، أدخله الله الجنة برحمته إيّاهن" ، فقال رجل: وابنتان يا رسول الله؟ قال:" وابنتان"، قال رجل يا رسول الله، و واحدة؟ قال: "و واحدة" رواه الحاكم وصحّحه و وافقه الذّهبي.

ويبلغ عائل الجاريتين القمّة والرّسول – صلّى الله عليه وسلّم- يقول له: " من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين". وضمّ أصابعه. رواه مسلم وغيره.

وحين تشبّ البنت عن الطّوق وتصبح زوجة يوليها الإسلام عنايته، ويعتبر بها والأنس معها أفضل ما في الدّنيا:" الدّنيا متاع وخير متاعها المرأة الصّالحة" رواه مسلم.

وجعل الإسلام الحياة الزّوجية ترتكز على دعائم قوّية من المودّة والرّحمة تعجز الأنظمة البشريّة أن تبلغه بتشريعاتها، فهو آية من آيات الله، كما قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [**الرّوم:21**].

وإذا كان أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خُلقًا، كما أخبر الصّادق المصدوق – صلّى الله عليه وسلّم- ففي بقيّة الحديث نفسه قال –صلّى الله عليه وسلّم- :" وخياركم خياركم لنسائهم" رواه التّرمذي وقال حديث حسن صحيح وصحّحه ابن حبان.

فإذا كانت المرأة أمًّا، فهي المنزلة التي لا تدانيها منزلة، وهي أحقُّ ما في الوجود بحسن الصّحبة والرّعاية، والإحسان لها وللأب يقرن بحقّ الله في العبوديّة: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُواْ إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ...)، والوصيّة بهما تنزيل من السّماء: (وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ

بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا)، ويُلفت النّظر إلى حقّ الأمّ لزيادة مشقّتها: (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهًا وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) **[الأحقاف:15].**

والرّسول –صلّى الله عليه وسلّم- يردّدها ثلاثًا: " رَغم أنف، رغم أنف، ثمَّ رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنّة" رواه مسلم.

ولقد فقه سلف الأمة وخيارها هذه الحقوق فرعوها حقَّ رعايتها بأقوالهم وأفعالهم، فهذا بن عبّاس رضي الله عنه يقول: إني لا أعلم عملا أقرب إلى الله – عز و جل- من بر الوالدة.

وهذا ابن عمر رضي الله عنهما يشهد رجلًا يمانيًّا يطوف بالبيت وقد حمل أمَّه وراء ظهره ويقول:

إنِّي لها بعيرها المـــــذلَّل *** إن أُذعرتْ ركابها لم أُذعرْ

ثمّ قال : يا ابن عمر أتُراني جزيتها؟ قال: لا، و لا بزفرة واحدة. رواه البخاري في الأدب المفرد وصحّحه الألباني.

وفي صحيح مسلم قال أبو هريرة – رضي الله عنه- : والذي نفس أبي هريرة بيده! لولا الجهاد في سبيل الله، والحجّ، وبرّ أمي، لأحببت أن أموت وأنا مملوك. قال أحد رواة مسلم: وبلغنا أنَّ أبا هريرة-رضي الله عنه-لم يكن يحجُّ حتى ماتت أمّه ؛ لصحبتها. رواه مسلم.

فأيّ تشريع غير الإسلام يبلغ بالمرأة هذه المنزلة؟ وأيّ حقوق يمكن أن يهبها لها البشر فوق ما حباها به ربّ البشر؟

قائمـــــــــة المصـــــــــادر والمراجـــــــع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع

المراجع باللغة العربية:

[1] ابن جني عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، (دط)، ج2.

[2] ابن سينا، الشفاء(كتاب العبارة)، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، (دط)، 1970م.

[3] ابن قيّم الجوزية، الفوائد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/لبنان، 2000م.

[4] ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، (دط)، (دت)، (مادة خ ط ب).

[5]أبو الحسن علي بن عيسى الرماني،معاني الحروف، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ط3، (1404ه- 1984م).
[6] أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت285هـ)، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق غضمية، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط1، 1994م.
[7] أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الجديدة، بيروت/ لبنان، ط1، 2010م.
[8] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، الدار البيضاء، المغرب، ط1،(2006م- 1426ه).
[9] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ت: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، (1952م-1371ه).
[10] أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، (دط)، (دت).
[11] أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وشرحه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط2، 1987م.
[12] أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (دط)، سبتمبر2003.
[13] أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها، المجمع العلمي العراقي، ج2، (دط)، 1983.
[14] أرسطو، كتاب الخطابة، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2008م.
[15] الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998، ج1،ج2.
[16]الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت.
[17] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور، سلسلة المعاجم والفهارس، ج1،(دط)، (دت).
[18] الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، (1413هـ- 1992م).
[19]الحسين بنو هاشم: نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت/ لبنان، ط1، 2014.
[20] الزمخشري جار الله، تفسير الكشاف، دار المعرفة، بيروت/لبنان، ط3، 2009.
[21] العيد علاوي، إستراتيجية الخطاب الديني عند الشيخ محمد راتب النابلسي، مجلة البدر، جامعة بشار/الجزائر، ع11، نوفمبر2011م.

[22] النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، موسوعة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع، ج1، ط2، 1994م.
[23] آن ربول، جاك موشلر، التداولية اليوم عالم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغموش، محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة، بيروت/لبنان، ط1، 2003م.
[24] أنطوان خوري، مدخل إلى الفلسفة الظاهراتية، دار التنوير، بيروت، ط1، 1984م.
[25] إنعام نوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني، مراجعة: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط2،(1996م-1417ه).
[26] بسام قطوس، سيمياء العنوان، مطبوعات المكتبة الوطنية، عمان/ الأردن، ط1، 2001م.
[27]بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، ط1، 2012م.
[28]تمام حسان، الأصول: دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، دط، 1982.
[29] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة/ مصر، ط4، 2004م.
[30] جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت/لبنان، ط3، 1992م.
[31] جان سرفوني، الملفوظية، تر: قاسم المقداد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (دط)، 1998م.
[32] جمال الدين بن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: بركات يوسف هبود، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/ لبنان، ط6، (1419هـ-1999م).
[33] جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع – الفلسفة في العالم الواقعي- تر: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2006م.
[34] جون كوهن، بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1986م.
[35] حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بلخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت/لبنان، ط2، 1981م.
[36] حافظ إسماعيلي علوي، منتصر أمين عبد الرحيم، التداوليات وتحليل الخطاب (بحوث محكمة)، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2014م.
[37] حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، (دط)، (دت).
[38]حسن عباس، النحو الوافي، دار المعارف، مصر،ج3، ج4، ط4، ط3، (دت).
[39]حسن عباس، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ج4، ط3، (دت).
[40]حسن مغنية، حال العرب سلسلة أخبار العرب، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت/ لبنان، 1981م.

[41]حسين عباس، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، دار المعارف، مصر، ط3، (دت).
[42]حسين عباس، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، دار المعارف، مصر، ط3، (دت).
[43] خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، 2006م.
[44] داليا أحمد موسى، الإحالة في شعر أدونيس، دار التكوين، دمشق، ط1، 2010م.
[45]ذهبية حمو الحاج، بين القصدية التداولية والقيود الاجتماعية، ضمن كتاب: الخطاب والأخلاق مقاربات بلاغية وتداولية مقالات علمية محكمة، تنسيق وإشراف: عبد الفتاح شهيد وآخرون، عالم الكتب الحديث، إربد/ الأردن، 2019م.
[46]ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، تيزي وزو، ط2، 2012م.
[47] ربيعة برباق، حجاجية متضمنات القول في مداخلة الشيخ محمد الغزالي ضمن المناظرة الكبرى (مصر بين الدولة الإسلامية والدولة العلمانية)، ضمن كتاب: الحجاج والهرمينوطيقا في الخطاب أنطولوجيا الهوية والرسالة، أعمال الملتقى الدولي الثالث، يومي، 13-14 نوفمبر 2018م.
[48] روبرت شولز، سيميائية النص الشعري اللغة والخطاب الأدبي، تر: سعيد الغانمي، الدار البيضاء، ط1، 1993م.
[49] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم بنيته وأساليبه حتى نهاية القرن الثاني للهجرة، عالم الكتب الحديث، أربد الأردن، (دط)، 2008.
[50] سامية دريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد/ الأردن، ط2، 2011م.
[51]شكري المبخوت، جمالية الألفة (النص ومتقبله في التراث النقدي)، بيت الحكمة، قرطاج، ط1، 1993.
[52] شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن القيّم، أعلام الموقعين عن رب العالمين، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1987م.
[53] صابر الحباشنة، لسانيات الخطاب (الأسلوبية والتلفظ والتداولية)، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ط1، 2012م.
[54] صالح أحمد الشامي، مواعظ الإمام الفضيل بن عياض ت187ه، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998م.
[55] صلاح إسماعيل، فلسفة العقل دراسة في فلسفة جون سيرل، دار قباء الحديثة للنشر، القاهرة/ مصر، دط، 2007م.
[56] ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد حوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة،ج3، (دط)، (دت).

[57]طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998م.
[58] طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الرباط/ المغرب، ط2، 2000.
[59]عايد جدوع حنون وثائر عمران الجنابي، الحجاج في القرآن الكريم، تقديم: الأستاذ الدكتور أبو بكر العزاوي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، (دط)، .
[60] عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية (دراسة في إنتاج بن باديس الأدبي)، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2014م.
[61] عبد الجليل شعراوي، الحجاج في الخطبة النبوية، عالم الكتب الحديث، إربد/ الأردن، ط1، 2012م.
[62] عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، ط1، (1401ه/1981م).
[63] عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحاضرة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1981م.
[64] عبد السلام عشير، عندما نتواصل نتغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق، المغرب، (دط)، 2006م.
[65] عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، (دط)، 1985م.
[66] عبد الفتاح لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة/مصر، ط1، 1999م.
[67] عبد القادر الغزالي، اللسانيات ونظرية التواصل رومان جاكبسون نموذجا، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2003، سورية / اللاذقية.
[68]عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أسرار البلاغة، تعليق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، (دط)، (دت).
[69]عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، (دط) ، (دت).
[70] عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته (بحث)، من خلال مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتكا ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، سلسلة آداب كلية الآداب منوبة، تونس، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، (دط)، (دت).
[71]عبد الله صولة، الحجاج في القرآن ، دار الفارابي، بيروت/لبنان، ط2، 2007.
[72]عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر، تونس، ط1، 2011م.

[73]عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت/ لبنان، ط1، 2004م.
[74] عبد الواحد بن السيد، الحجاج في الخطابة، تقديم: أبو بكر العزاوي، عالم الكتب الحديث، إربد/ الأردن، ط1، 2020م.
[75]علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط&، (2000م- 1421ه).
[76] علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، (دط)، (دت).
[77] علي بوراس، دور الأساليب البلاغية في تخليق الخطاب، ضمن كتاب: الخطاب والأخلاق مقاربات بلاغية وتداولية مقالات علمية محكمة، تنسيق وإشراف: عبد الفتاح شهيد وآخرون، عالم الكتب الحديث، إربد/ الأردن، 2019.
[78] علي محمد علي سليمان، الحجاج عند البلاغيين العرب، ضمن الحجاج والاستدلال الحجاجي، إشراف: حافظ إسماعيل علوي، دار ورد للنشر والتوزيع، ط1، 2011.
[79] عمر أوكان، اللغة والخطاب، إفريقيا الشرق، المغرب، 2001.
[80] عواطف كنوش المصطفى، الدلالة السياقية عند اللغويين، دار السيّاب، لندن، ط1، 2007م.
[81] فاروق سعد، فن الإلقاء العربي(الخطابي والقضائي والتمثيلي)، شركة الحلبي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/لبنان، ط2، 1999.
[82] فاضل السامرائي، النحو العربي أحكام ومعان، دار ابن كثير، بيروت/لبنان، ط1، 2014، ج2.
[83] فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان/ الأردن، ط1، ج3.
[84]فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء، بيروت، (دط)، (دت).
[85]فيصل أبو الطفيل، شعرية الجناس في القصيدة الصوفية عند عمر بن الفارض، ضمن كتاب: الخطاب والأخلاق مقاربات بلاغية وتداولية مقالات علمية محكمة.
[86] فيليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، ط1، 2011.
[87] كاترين كيربرات أريكيوني، المضمر، تر: ريتا خاطر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، ديسمبر 2008م.
[88] لبوخ بوجملين، شيباني الطيب، العناصر التداولية في العملية التعليمية، مجلة الأثر، ع10، جامعة قاصدي مرباح- ورقلة، الجزائر،2011.

[89] لزهر كرشو، الحجاج والهرمينوطيقا في الخطاب أنطولوجيا الهوية والرسالة، أعمال الملتقى الدولي الثالث يومي 14/13 نوفمبر2018، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، ط1، 2020.
[90] مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، كلمة للنشر والتوزيع، ط1، (1436هـ - 2015م)، تونس.
[91] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، (دط)، (1429ه/2008م)، ص478، مادة (خ ط ب).
[92]مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، (1425ه/2004م).
[93] محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، (دط)، 2005م.
[94] محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجا، إفريقيا الشرق المغرب، أفريقيا الشرق بيروت، لبنان، ط2، 2002.
[95] محمد القاسمي، دراسات معاصرة في اللسانيات والتداوليات، عالم الكتب الحديث، إربد/ الأردن، ط1، 2019م.
[96] محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، دار الفرقان، مؤسسة الرسالة، بيروت/ لبنان، ط1، (1405ه- 1985م).
[97] محمد صلاح إسماعيل، فلسفة العقل دراسة في فلسفة سيرل، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، (دط)، 2007م.
[98] محمد على التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: لطفي عبد البديع، مراجعة: أمين الخولي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط2، 1966م.
[99]محمد فاضل السامرائي، الصرف العربي أحكام ومعان، دار ابن كثير، بيروت/لبنان، ط1، (2013م- 1434ه).
[100] محمد مشبال، البلاغة والأصول دراسة في التفكير البلاغي العربي نموذج بن جني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب2007.
[101]محمد مشبال، محاضرات في البلاغة الجديدة، الرافدين، بيروت/ لبنان، ط1، .
[102] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 1986م.
[103]محمد مفتاح، دينامية النص(تنظير وإنجاز)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت، ط3، 2006م.

[104]محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (دط)، 2002م.
[105]مريم فرنسيس، في بناء النص ودلالته"محاور الإحالة الكلامية"، منشورات وزارة الثقافة، دمشق،1998.
[106] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005م.
[107] مصطفى بوخبزة، المتلقي معيارا نقديا وأخلاقيا في الخطاب البلاغي العربي، ضمن كتاب: الخطاب والأخلاق مقاربات بلاغية وتداولية مقالات عليمة محكمة.
[108] مهاباد هاشم إبراهيم، الخطاب اللساني في رسائل الجاحظ مقاربة تداولية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد/ الأردن، ط1، .
[109] مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرائد، بيروت/لبنان، ط 2، 1986.
[110] موفق الدين أبي البقاء يعيش بن يعيش الموصلي، شرح المفصّل، قدّم له: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2001، ج6.
[111] ميشال فوكو، حفريات المعرفة، تر: سالم يفوت، الدار البيضاء، (دط)، 1989م.
[112] نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2013م-1434ه.
[113] نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب (الأسلوب والأسلوبية) دراسة في النقد العربي الحديث، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، (دط)، (دت).
[114] يعيش بن علي بن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، (دط)، (دت)، ج8.
[115] يوسف أبو العدوس، البلاغة والأسلوبية، مقدمات عامة، الأردن ط1، 1999م.

المراجع باللغة الأجنبية

[116] Philippe breton et Gilles Gauthier, Histoire des théories de l'argumentation, paris,2000.

[117]CHaim perelman, L'empire rhétorique, rethorique et argumentation, librairie philosophique, jvrin, paris,1977

[118] Maingueneau, Pragmatique pour le discours littéraire, Edition bordas, Paris, 1990.

الرسائل والأطروحات الجامعية:

[119] إبراهيم إيدير، القصدية في "الأدب الكبير" لابن المقفع، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة مولود معمري تيزي وزو/الجزائر، (دت).
[120] عبد الحق فرحان شاهين، أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، رسالة ماجيستير، جامعة الكوفة، 2013/2012م.
[121] عفاف سايح، المقصدية في الخطاب الروائي عند إبراهيم سعدي، رسالة دكتوراه في الأدب العربي، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة باتنة01، الجزائر، 2019-2020م.
[122] محمد مدور، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة باتنة1، الجزائر، 2014/2013م.

المجلات العلمية:

[123] إدريس مقبول، في تداوليات القصد، مجلة جامعة النجاح للأبحاث(العلوم الإنسانية)، مج28،ع5، 2014م، ص1212- 1213-1214 - 1215 -1216 .
[124] أرفيس بلخير، الحجاج وآليات الإقناع في الحديث النبوي الشريف، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، مج34، ع1، ص449.
[125] جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، عالم الفكر، 1997م، ص98.
[133]حمادي مصطفى، تداولية الإشاريات في الخطاب القرآني، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة/الجزائر، ع26 سبتمبر2016، ص67.
[126] شيماء بنت خالد الرفاعي، الوسائل الحجاجية في الخطب المنبرية (خطبة الشيخ الدكتور صالح بن محمد أنموذجا)، مجلة AJSP، ع7، 2019/5/2، ص04.
[127] عبد الحكيم بن عيسى، البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم – سورة النبأ أنموذجا – مجلة التراث العربي، ع102، نيسان2006م، ص192.
[128] عبد الحليم عيسى، البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم سورة النمل أنموذجا (بحث)، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع102، 26 نيسان 2006م، ص37.
[129] علجية آيت بوجمعة، التداولية: دراسة في المجالات والفروع ، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري تيزي وزو/ الجزائر، مج3، ع37، سبتمبر 2016م، ص165.
[130] عيشوش نعيمة، الاستراتيجيات الخطابية في القصة القرآنية- خطابات سيدنا نوح عليه السلام لقومه أنموذجا، مجلة علوم اللغة العربية آدابها، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي/ الجزائر، مج13، ع03، ص236.
[131] فضيلة يونسي، مفهوم المقاصد وعلاقتها بالخطاب تناول تداولي لخطاب ثوري، مجلة الخطاب، دورية أكاديمية محكمة، المركز الجامعي البويرة، الجزائر، ع06، ص294.

[132] كاوة جلال قادر، نظرية الوعي عند سارتر، مجلة الفلسفة، جامعة رابه سكول للعلوم الإنسانية، ع10، 201؟م، ص32.
[133] محمد الهادي المطوي، شعرية عنوان الساق على الساق فيما هو الفارياق لفارس الشدياق، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج28، ع1، سبتمبر 1999م، ص457.
[134]موهوب أحمد، المقام أو السياق بين المفهوم العربي والغربي ودوره في فهم مقاصد الخطاب القرآني، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة العلوم الإسلامية، الأمير عبد القادر قسنطينة الجزائر، مج11، ع22، ص199.
[135]ميلود رحمون، التواصل عند الجاحظ، مجلة فصل الخطاب، مخبر الخطاب الحجاجي، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، مج8، ع2، ص152.
[136] وداد بوصبيع، علي حمودين، المقاصد الحجاجية اللغوية في الخطب المنبرية الدينية – خطبة أهمية اللغة العربية – لمحمد راتب النابلسي أنموذجا، مجلة دراسات معاصرة، جامعة تيسمسيلت، الجزائر، ع2، مج5، ص312.
[137] يونسي فضيلة، مفهوم المقاصد وعلاقتها بالخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة ملود معمري، تيزي وزو، ع6، 2010م، ص283.

المواقع الإلكترونية:

[138]السيرة الذاتية للدكتور محمد راتب النابلسي ولادته ونشأته، www.nabulsi.com، تاريخ النشر: 05 جويلية 2020م، تاريخ الزيارة: 02 ديسمبر2021م، على الساعة: 17:35..
[139] سعود الشريم، https://www.marefa.org، تاريخ الزيارة:28 أكتوبر 2021، على الساعة:21:00.
[140] سعود بن إبراهيم الشريم، خطبة أهمية النصيحة وآدابها، https://khutabaa.com ، تاريخ النشر: 2019/01/14، تاريخ الزيارة: 2019/03/15، الساعة: 13:00.
[141]سناء الدويكات، أين ولد الشيخ سعود الشريم، https://mawdoo3.com، تاريخ النشر: 15 نوفمبر2015 م، تاريخ الزيارة: 02 ديسمبر2021م، على الساعة:12:04
[142]محمد راتب النابلسي، خطبة حقوق الطفل في الإسلام، ملتقى الخطباء، https://khutabaa.com، تاريخ النشر: 2016/10/20، تاريخ الزيارة: 2019/08/01 ، الساعة: 20:14 .
[143] هديل نادر، تعريف الحقوق والواجبات، موقع ويب: https://mawdoo3.com، تاريخ النشر: 05سبتمبر 2021م، الساعة: 11:05، تاريخ الاطلاع: 27 سبتمبر2022م، الساعة: 17:14.
[144]https://majles.alukah.net/t36889 تاريخ النشر: 2009/07/06م، تاريخ الزيارة: 2022/07/21م، 10:49.

[145] https://www.marefa.org .تاريخ النشر: 13 أغسطس 2010م، تاريخ الزيارة: 21 جويلية 2022م، 09:00.

اللقاءات:

[146]أحمد بن علي سعود، خطبة التداوي من الأمراض والأوبئة في ضوء الشريعة الإسلامية، سُلمت شخصيا بمسجد الإمام علي رضي الله عنه، حي الزاوية الرباح، الوادي، الجزائر، الجمعة 2021/08/06.

[147] أحمد طهراوي، خطبة: المرأة في الإسلام، سُلمت من عند الإمام في مسجد الزاوية العتيق، يوم 25 مارس 2021م، على الساعة: 13:30 زوالا.

[148] هذه السيرة للإمام أحمد بن علي سعود تمّ الحصول عليها بمقابلة شخصية معه ، يوم 17 فيفري2022م، بمسجد الإمام علي، حي الزاوية، الرباح/الوادي، على الساعة:10:30 صباحا.

[149] هذه السيرة للإمام أحمد طهراوي تمّ الحصول عليها بعد القيام بلقاء شخصي معه وكان ذلك يوم 16 أفريل 2022م، على الساعة: 10:36 صباحا.

فهـــــــــــــــــــــــــــــــــــرس

العنـــــــــــــوان	الصفحة
الإهداء	/
شكر وعرفان	/
مقدّمة	
الفصل الأول: الفصل الأول: مقصديّة الخطاب الافتتاحي واستراتيجيّات التّخاطب	
تمهيـــــــــد	16
1- تقديم المدوّنة	35-16
1-1 في مفهوم القصد والمقصديّة	28-16
1-1-1- لغةً	20-19
1-1-2 - اصطلاحًا	28-20
1-2 دلالة العنوان	31-28
1-2-1 وظائف العنوان	33-31
1-2-2 علاقة العنوان بالمتن	35-33
2- الاستراتيجيّة التّخاطبيّة في الخطب المنبريّة الدّينيّة	51-36
2-1 مفهوم الاستراتيجيّة التّخاطبيّة	39-36
2-1-1 مبادئ العمليّة التخاطبيّة	45-39
2-1-2 تعريف الخطابة لغةً واصطلاحًا	48-46
2-1-3أجزاء الخطبة وترتيب القول فيها	51-49
2-2 مقصديّة المرسِل في الخطب المنبرية الدينية	57-51
2-2-1 الملكات اللّغويّة أو الكفاءات اللّغويّة	56-55
2-2-2 الكفاءة التّداوليّة	57-56
3-السّياق وعناصره في الخطب المنبريّة الدّينيّة	64-58
3-1 حضور المرسِل في الخطاب	66-65
3-2 الإشاريّات الزّمانيّة والمكانيّة	73-66
3-3 المرسَل إليه	77-73
الفصل الثّاني: مقصديّة الإقناع وآليّاتها في الخطب المنبريّة	
توطئة	79

مفهوم الحجاج لغةً واصطلاحًا	81-79
الحجاج عند الغرب	82-81
الحجاج عند العرب	84-82
أولا: الآليّات الحجاجيّة اللّغويّة	111-85
1- الدّفاع بالتّعليل والتّبرير.	90-85
1-1 لأنّ	87-85
1-2 لام التّعليل	89-87
1-3 المفعول لأجله	90-89
2- رهن النّتيجة بالسّبب	94-90
2-1 الشّرط بإذا	91-90
2-2 الشّرط بـــ: إنْ	92-92
2-3 الشّرط بـــ: حيثما	94-92
3- التّوضيح والوصف.	101-94
3-1 الصّفة (النّعت)	96-24
3-2 اسم الفاعل	97-96
3-3 اسم المفعول	101-98
4- تحصيل الحاصل(التّكرار)	111-101
4-1 تكرار لشدِّ انتباه المتلقي والهيمنة على تركيزه	104-102
4-2 تكرار قصد إبراز الحجّة وتجليّاتها	107-104
4-3 تكرار قصد الحثّ والتّوجيه	108-107
4-4 تكرار قصد التّعظيم	111-108
ثانيا: الآليّات التّداوليّة	124-112
1- السُّلميّات الحجاجيّة.	118-112
1-1 مفهوم السُّلم الحجاجي	114-112
1-2 قوانين السُّلم الحجاجي	118-114
2-الرَّوابط الحجاجيّة.	124-118
2-1 الرّابط " الفاء"	121-119
2-2 الرّابط " بل"	124-121

ثالثا: الآليّات البلاغيّة	157-125
1 إشراك المتلقي في بناء المعنى	138-126
1-1 المجاز	138-126
1-1-1 الاستعارة	132-127
1-1-2 التّشبيه	136-132
1-1-3 الكناية	138-136
2الحجاج بالطّابع الجمالي التّحسيني(السّجع- الطّباق والمقابلة- الجناس)	147-138
2-1 السّجع	141-138
2-2الطّباق والمقابلة	146-141
2-3 الجناس	147-146
3تجليّاتآليّات (الوصل والفصل) من منظور البلاغة الجديدة عند " بيرلمان" ودورها في كشف مقاصد الخطب المنبريّة الدّينيّة	175-148
1- آليّات الوصل	168-151
1-1 حجّة السُّلطة	168-151
1-1-1 سلطة القرآن الكريم	158-152
1-1-2 سلطة الحديث النّبوي الشّريف	163-158
1-1-3 سلطة كبار العلماء والشّخصيات والمؤسّسات	167- 163
1-1-4 سلطة إمام المسجد (منتج الخطاب)	168-167
2-آليّات الفصل	173-168
2-2 فصل المفاهيم	173-168
خلاصة الفصل	175-174
الفصل الثّالث: مقصديّة المنجزات الكلاميّة في الخطب المنبريّة الدّينيّة	
توطئة	177
1الأفعال الكلاميّة	189-177
1-1 الأفعال الكلاميّة تأسيسًا وتأصيلًا	189-178

1-2الأفعال الكلاميّة في الدّراسات العربيّة	185-182
1-3الفعل الكلامي عند " جون سيرل "	189-185
2الفعل الكلامي ومقاصده التّواصليّة	229-190
2-1المقصديّة الإخباريّة	196-190
2-2المقصديّة الموضعيّة	216-196
2-2-1 النّداء	201-197
2-2-2 الأمر	203-201
2-2-3 الاستفهام	207-203
2-3 القرينة والإشارة	208-207
2-3-1 الضّمائر	211-208
2-3-2 الحروف	216-212
2-4 المقصديّة الإجماليّة	228-216
2-4-1الافتراض المسبق	223-217
2-4-2القول المضمر	228-223
خلاصة الفصل	229
الخاتمة	237-231
الملاحق	268-239
قائمة المصادر والمراجع	284-270
فهرس المحتويات	291-286

تمت بحمد الله

ملخص الأطروحة

تحاول هذه الأطروحة الموسومة بـــ: المقصديّة في الخطب المنبريّة الدّينيّة – دراسة تداوليّة- مساءلة أربع خطب منبريّة دينيّة تداوليًّا، بهدف الوقوف على الاعتبارات التي من خلالها يتمّ الكشف عن مقاصد الأئمة في خطبهم المنبريّة الدّينيّة، ومدى توفيقهم في توظيف الآليّات التّداوليّة المختلفة المساعدة على كشف المقاصد.

ابتدأت الأطروحة بمقدمة يعقبها ثلاثة فصول تعتمد المزج بين التّنظير والتّطبيق؛ حيث عُنون الفصل الأول بـ: مقصديّة الخطاب الافتتاحي واستراتيجيّات الخطاب. وعُنون الفصل الثاني بـــ: مقصديّة الإقناع وآليّاتها في الخطب المنبريّة الدّينيّة. أمّا الثّالث فعنون بـــ: مقصديّة المنجزات الكلاميّة في الخطب المنبريّة الدّينيّة.

ثمّ خُتمت الأطروحة بخاتمة اشتملت على أهمّ النّتائج المتوصّل إليها.

الكلمات المفتاحية:

Thesis summary

This thesis titled: Intentionality in religious pulpit speeches - a pragmatic study - attempts to interrogate four religious pulpit speeches pragmatically, with the aim of identifying the considerations through which the intentions of the imams are revealed in their religious pulpit sermons, and the extent to which they are successful in employing the various deliberative mechanisms that help reveal the purposes.

The research began with an introduction, followed by three chapters that combine theory and application. The first chapter is entitled: Intentional introductory speech and discourse

Résumé de la these

Cette thèse, intitulée: L'Intentionnalité dans les discours religieux en chaire-une étude délibérative-tente d'interroger de quatre discours religieux en chaire de manière délibérative, dans le but d'identifier les considérations à travers lesquelles les intentions des imams sont révélées dans leurs discours religieux en chaire, et dans quelle mesure ils réussissent à employer divers mécanismes délibératifs pour aider à révéler ces intentions.

La thèse a commencé par une introduction suivie de trois chapitres qui adoptent la combinaison de la théorie et de l'application; le premier chapitre est intitulé: L'Intentionnalité du discours d'ouverture et les stratégies du discours. Le deuxième chapitre est intitulé: L'Intentionnalité de la persuasion et ses mécanismes dans les discours religieux en chaire. Le troisième est intitulé: L'Intentionnalité des réalisations verbales dans les discours religieux en chaire.

La thèse a ensuite été conclue par une conclusion qui comprenait les résultats les plus importants**.**

Mots clés: Intentionnalité -discours religieux en chaire-délibérative-contexte- producteur de discours - destinataire – argumentation**.**